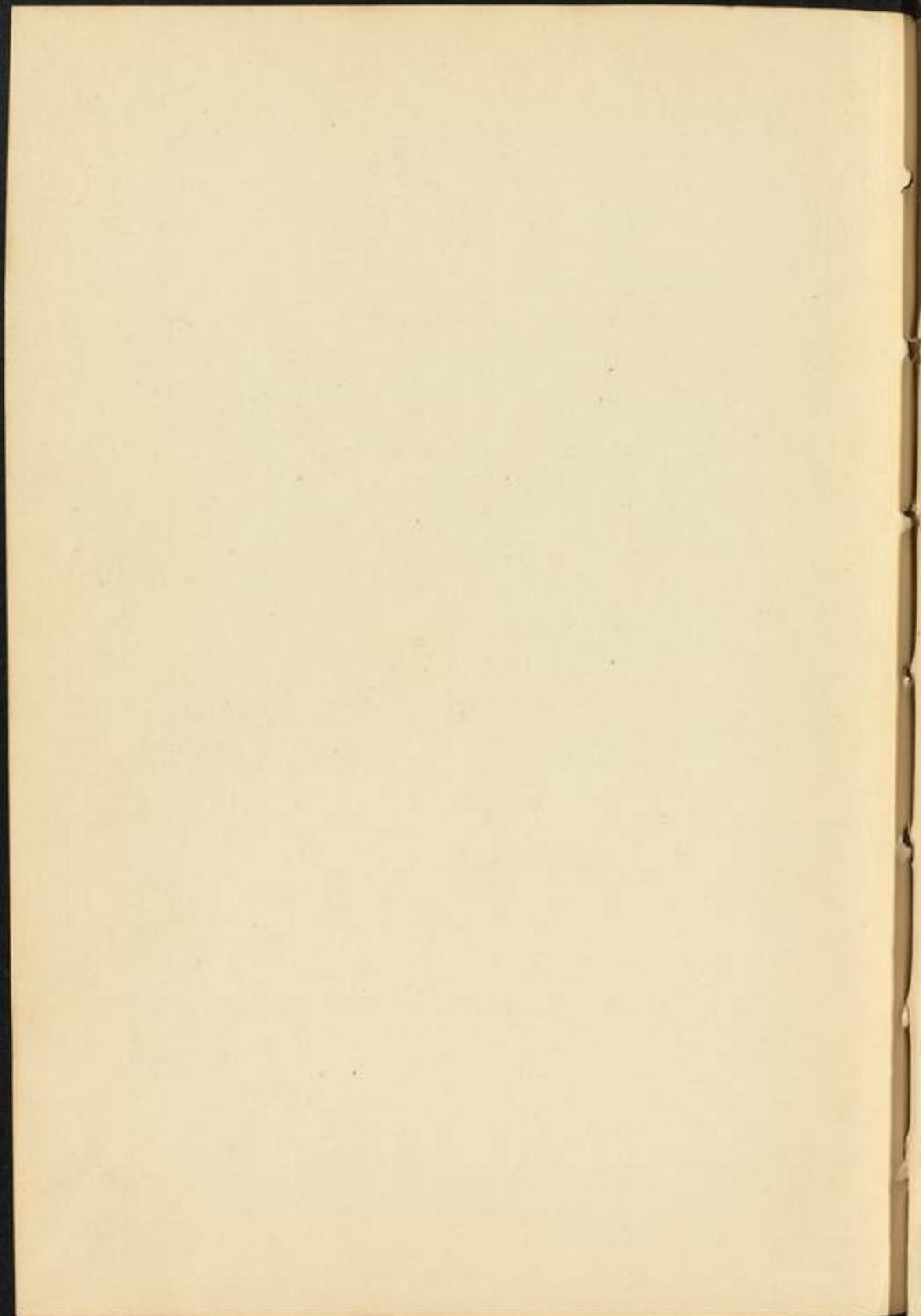
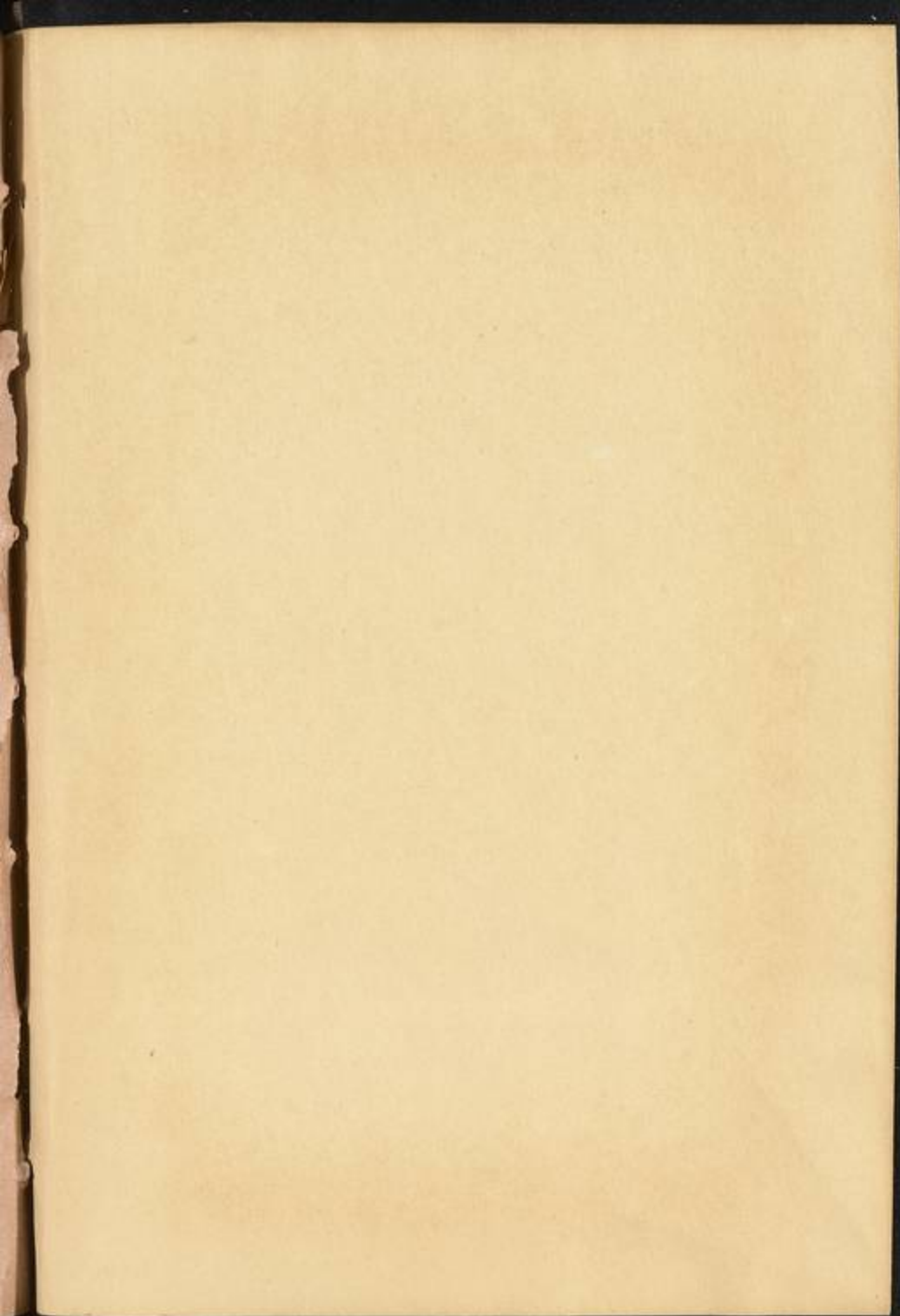


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







الثورات والانتفاضات

« في ذاكرة العالم العربي »

كتاب يتضمن فيما يتضمنه دراسات موجزة اجتماعية
وسياسية وتاريخية واقتصادية عن الثورات والانتفاضات
بالعالم بصورة عامة ويتضمن بصورة خاصة نفس
الدراسة المذكورة عن الثورات
والانتفاضات في سوريا وسائر
أنحاء العالم العربي

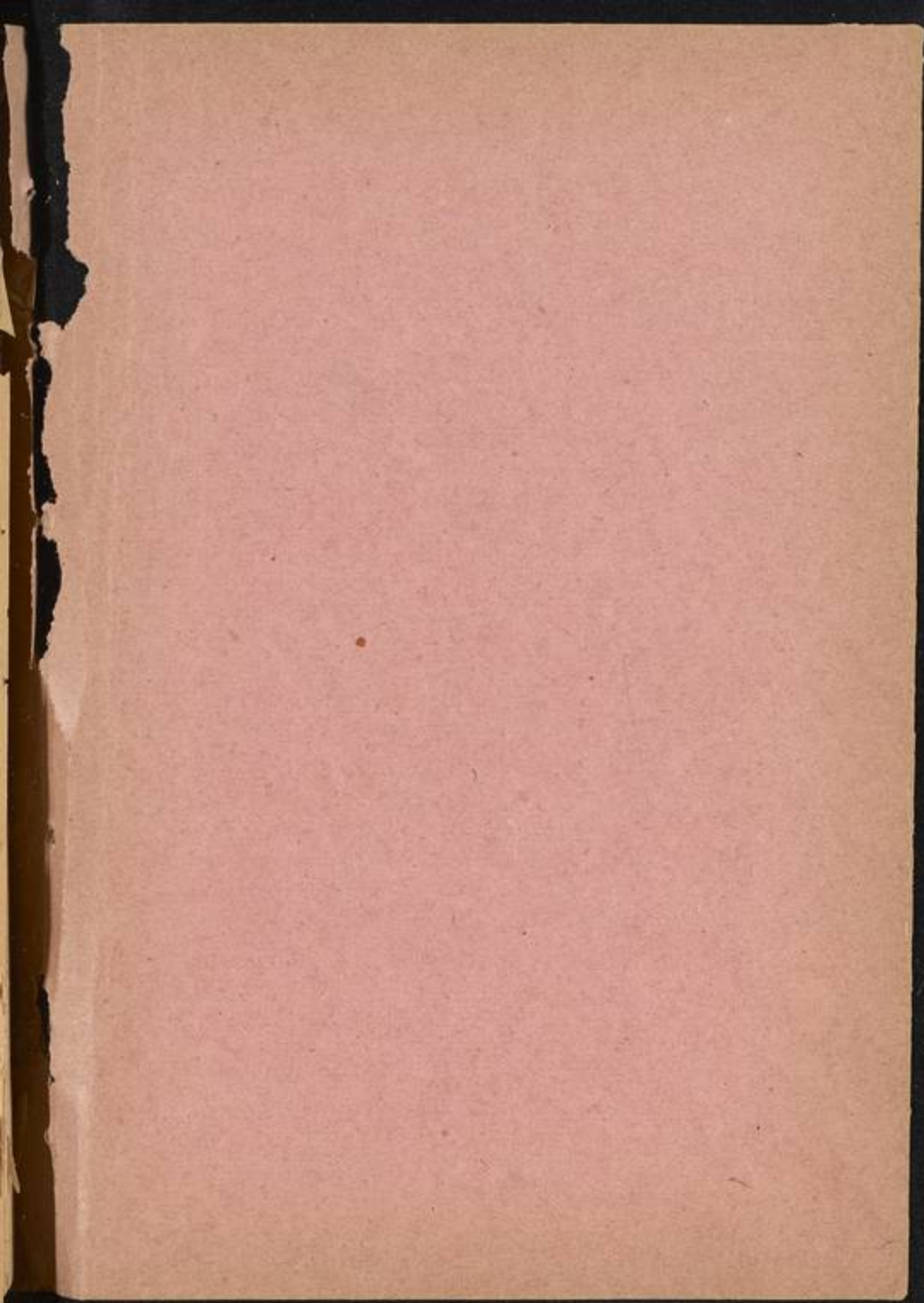
طالع محتويات الكتاب في المقدمة ،

في ١٩٥٤/٥/٦ ،

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ،

ثمان النسخة ايرنان ،

أخرجت هذا الكتاب دار الحداد على حسابها



الثورات والانتفاضات

« في ذاكرة العالم العربي »

كتاب يتضمن فيما يتضمنه دراسات موجزة اجتماعية
وسياسية وتاريخية واقتصادية عن الثورات والانتفاضات
بالعالم بصورة عامة ويتضمن بصورة خاصة نفس
الدراسة المذكورة عن الثورات
والانتفاضات في سوريا وسائر
انحاء العالم العربي

« طالع محتويات الكتاب في المقدمة »

« في ١٩٥٤/٥/٦ »

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

أخرجت هذا الكتاب دار الحداد على حسابها



الثورات والانقلابات

« في ذاكرة العالم العربي »

كتاب يتضمن فيما يتضمنه دراسات موجزة اجتماعية
وسياسية وتاريخية واقتصادية عن الثورات والانقلابات
بالعالم بصورة عامة ويتضمن بصورة خاصة نفس
الدراسة المذكورة عن الثورات
والانقلابات في سوريا وسائر
انحاء العالم العربي

« طالع محتويات الكتاب في المقدمة »

« في ١٩٥٤/٥/٦ »

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

أخرجت هذا الكتاب دار الحداد على حسابها

956.9

556

كلام المؤلف عن محتويات هذا الكتاب

يكاد كتابنا هذا ان يكون خاليا من الابداع ، فكاني كما يقول وايم جيمس عن قسم من كتاب له انه جمعه من هنا وهناك وذلك بقص فصوله من مؤلفات الغير ، بقص حاد ، اقول كآني جمعت انا ايضا ولكن ليس قسما من كتابي فحسب بل كل كتابي تقريبا من هنا وهناك .

ولكن هذا الكتاب اذا خلا من الابداع فإنه غزير بالترجمة والجمع وتدوين الملاحظات الحادة .

« لقد كنت مصورا فوتوغرافيا التقط صوري من انحاء العالم ولكن ليس بواسطة عدسة المصور بل بالملاحظات » .

واذا قصدت شيئا من هذا الكتاب فلنما اقصد خدمة الشرقيين لا اكثر ، لئلا هموا بدورهم في خدمة الانسانية والكائنات الحية المسالمة الوديمة : تلك هي غايتنا الاولى في هذا العالم الصاخب الذي نأمل له الخير .

وقد تجنبت في هذا الكتاب التعميد وجعلت اسلوبه سهلا بسيطا حتى يتمكن الرأي العام من فهمه وادراك غايته ولم اذكر فيه المستندات بصورة عامة حتى لا يشكل الامر وبضيع القارئ والاحظ ان كثيرا من اخبار هذا الكتاب هو ملاحظات المؤلف عن عصرنا الحاضر واستطاعة القارئ ان يدرك اكثرها بنفسه اما بالعين فعليه اذن ان يحول العالم واما بالذاكرة فعليه اذن ان يحدث المطلعين ويقرأ المنشورات والصحف والمجلات العالمية .

المؤلف :

تيسير جيفي

16547E

1 APR 1 1955

MD

أهماء الكتاب

الى الفيلسوف الالمانى فيلسوف كوينسبرغ : ايمانويل (كانت) والى
الفيلسوف اليوناني فيلسوف آثينا : بلاطون ابن اريستوكليس .
كان الاول فيلسوف النظام والقوة والارادة وكان الثاني فيلسوف احترام
القانون .

ولد كانت في عام ١٧٢٤ في مدينة كوينسبرغ في مقاطعة ليتوانيا من روسيا
الشرقية وتنصف روسيا الشرقية منذ القدم بقوة اهلها وجبروتهم وحجهم للروح
المسكرة النظامية وقد تألف فيها اعظم جيش في اوربة بالنصف الثاني من
القرن التاسع عشر من حيث القوة والنظام والفن العسكري . وقد استطاع الرجل
الحديدي ييسارك ان يخلق المانيا بواسطة هذا الجيش اى بالحديد والنار كما قال .
فلا غرابة اذن ان تؤثر بيئة روسيا الشرقية النظامية القوية على شخصية (كانت)
فتجمل منه فيلسوف النظام والقوة والارادة .

قلنا ان كوينسبرغ مدينة في مقاطعة ليتوانيا من روسيا الشرقية ولكن اسم
هذه المدينة قد تبدل اليوم وصارت تدعى كاليمنكراد . وقد توفي (كانت) عام
١٨٠٤ اى عاش ثمانين عاما رغم سوء صحته وضعف بنية . واطن ان حاته النظامية
ساعدته على الاستقرار النفسى والراحة . مما سمح له ان يعيش هذا العمر الطويل
بالنسبة له فلقد وضع مؤلفات قيمة فيها جهد وعذاب منها : نقد العقل المحض ،
ونقد العقل العملي ؛ ونقد الحكم .

بقول (كانت) : اننا نفهم الاشياء بصورة الحوادث بقدر ما تمنحنا لنا كيفية
بالزمان والمكان الذين هما من صور الحساسة ؛ ولكن الاشياء هذه غير قابلة بتاتا

لفهم بقدر ما هي اشياء بذاتها *noumènes* او *choses en soi* .
ويقول (كانت) ايضا : « القاعدة الاخلاقية او القانون الاخلاقي
يفترض الحرية ووجود الله وازليته » .

ان اشد شيء يلفت النظر في هذا الفيلسوف هو حياله النظامية فكان يزن
ثيابه حتى يمرق ضغلها على جسمه وكان يحسب كمية طعامه ويحدد نوعه وكان
ينام عدداً معيناً من الساعات ويتزهد في وقت معين وفي طريق معين حتى ان المواطنين
كانوا يصححون ساعاتهم على مشيته فهو لا يرى بـمكان معين اثناء النزهاء الا
بنفس المحافظة .

واتفق مرة ان جاء ليلقى الدرس بالمدرسة فلم يجد بقاعة الدرس احداً من
الطلاب ولكنه باشر بشرح الدرس كما لو كانت قاعته مليئة بالطلاب ولم ينفك
عن الشرح حتى انتهى منه وانصرف وقد قال بهذا الصدد :

« يجب ان نقوم بالواجب لاجل الواجب لا لغاية اخرى »

ومن الغرائب التي تروي عنه انه لم يبدل طريق زهرته وبأخذ طريقاً اخر الا
مرة واحدة وهي المرة التي جاءه بها خبر الثورة الفرنسية واذا كنت تريد ان تعلم
سبب تبديل الطريق فهو بلا شك حبه لاجبار الثورة الفرنسية فقد كان « كانت »
يعتبر الثورة الفرنسية واعمالها تطبيقاً لافكاره ومعتقداته (وبفض ذلك من
مؤلفاته) .

ان سلوك هذا الرجل ومؤلفاته وخصوصاً في فلسفة الاخلاق والنظام والارادة
قد ادت الى ثورة على القوضى وعدم الاستقرار فقد كانت مؤلفاته اعظم مؤلفات
عرفها التاريخ في تثبيت دعائم النظام . قد اخذت المانيا وسائر الدول في العالم
مفهوم روح النظام وخصوصاً النظام العسكري عن مؤلفات هذا الرجل .
لنا نعتبر (كانت) اليوم المنبع الاول لروح النظام في العالم =

اما بلاتون ابن اريستوكليس ، فقد ولد عام ٤٢٩ قبل المسيح وهو فيلسوف يوناني مشهور وعالم واديب وطبيب ورياضي عاش في أثينا وذهب لاطالية ولبصر وقد أثرت الدياخرات في فلسفته . كان تلميذ سقراط وكان اساتذ المعلم الاكبر اريستوت وقد توفي عام ٣٤٧ ق . م . ألف كتابا قيمة منها محاورات ؛ كريتون فيدون ، فيدر ، جورجياس ، البانكيت ، الجمهورية ، النوايف ؛ وغيرها . وكان يحجل اساتذ سقراط يتكلم في مؤلفاته .

وفي محاورات (البانكيت) يرسم بلاتون صورة بدبعة لاساتذ سقراط وينقل من الجمال الجسماني الى الجمال الروحاني ومنه لفكرة الجمال الكامل الازلي . وطريقة بلاتون طريقة جدلية وقد كللها بنظرية الافكار : فهو يقول : (ان الحقيقة التي هي موضوع العلم ليست موجودة بالحوادث الخاصة والعرضية ولكنها موجودة بالافكار التي هي نماذج محضة لكل مجموعة من الكائنات وان في رأس هذه الافكار توجد فكرة الخير .

وبهنا هنا من هذا الفيلسوف ما ذكره في كتاب (القوانين) فهو وان كان يقول فيه انها موضوعة لمنفعة الحكام (الفئة الحاكمة) ولكنه يرى الحياة الاجتماعية ايا كانت تتطلب احترام القانون والا تحولت الى فوضى ولهذا الرجل نظرة مثالية بالعقاب تستحق الذكر فهو ناشد المارتك والجاني وكل من يطوله القانون بأن يأتي من تلقاء نفسه للحاكم ويطلب منه ان يعاقبه قدر ما يستحق (لا ان يفر) ، وهكذا يصبح العقاب في نظر بلاتون اخلاقيا اما العقاب القسري اي العقاب بدون رغبة داخلية من الجاني فهو عقاب خارجي غير اخلاقي لان الحرية وعدم الاكراه على اتيان او تحمل عمل اي شيء من صفات العمل الاخلاقي وشرط من شروطه

هذا هو بلاتون ، شخصية اخلاقية شخصية مثالية يطلب من المجرم وكل من

ربك ذنبا ان يأتي نفسه لقاعة المحكمة حتى يبقى العقاب مشروطا اخلاقيا في نظره . وحتى يكفر المحرم او المذنب عن سيئاته وحتى يبقى شريفا دا اخلاق مقبولة وحتى يبقى العقاب اخلاقيا وحتى يبقى الحاكم في عقابه غير معترض عليه من الوجهة الاخلاقية .

اني اهدي كتابي الى (كانت) رغم ما في هذا الرجل من ذلات حتى يتذكر العالم وبصورة خاصة جيوش العالم العربي هذه الشخصية النظامية فلعلهم يمدون الى ثكناتهم ولا يخرجون منها ثانية الا للقضايا الخارجية المتعلقة بمصلحة البلاد الخارجية ولعلهم يتركون الحياة المدنية وشأنها .

اني اهدي كتابي هذا الى (بلاتون) رغم ما في هذا الرجل ايضا من ذلات حتى يتذكر العالم العربي وبصورة خاصة مواطنوا العالم العربي هذه الشخصية الاخلاقية فلعلهم يتعظون بها ويخضعون للقانون ويخففون من اثاره الفوضى والشغب ، يتجنبون في حياتهم المدنية احتراق اعنانون وملحقاته ، وارتكاب الجرائم والذنوب ، وبصورة خاصة لمل الجناة الفارين ؛ والمتسترين بأنون وخصوصا الجناة الكبار امثال اتباع ادب الشيشكلي في سوريا بأنون من تلقاء انفسهم الى قاعة المحكمة ويطلبون من الحكام ان يحاكموهم وبماقبوهم كما يستحقون .

اذا مات (كانت) ومات قبله (بلاتون) : فان بعض افكارها لم تمت وستبقى مابقيت البشرية ، مادامت البشرية بحاجة الى بعض امكارها على الاقل والعالم العربي باشد الحاجة اليوم الى الايمان بهذا البعض .
فليتنبه . —

نداء هام :

الى السلطات التشريعية الشرعية بالعالم العربي ، الى المناظرين فيه للوصول لعالم افضل ، الى جيوش العالم العربي ، الى جميع مواطنيه اوجه بصورة خاصة مدائي هذا بلزوم مطالعة هذا الكتاب والامل في غايته التي ترمي الى حفظ استقلاله في هذه الظروف العصيبة ، وتأسيس دولة حقوقية ، وخدمة الانسانية والكائنات الحية المسالمة الوديمة .

مقدمة :

يعاني العالم اليوم ازمت سياسية خطيرة مرتكزة على اسس مادية وهو يتأهب الى حرب ضروس لا تبقى ولا تزر وظهر انه يحاول ان ينقسم الى معسكرين لا ثالث لهما وبماني العالم العربي بصورة خاصة ضغط هؤلاء الدول التي تؤاف هذين المعسكرين واستؤفهما وبماني طامنا ايضا ازمت اقتصادية وازمت سياسية خطيرة قد ينتج عنها اخطار كبيرة وتحدث الانقلابات العسكرية بغزارة ، وبشكل مخيف ويدوم احيانا الحكم العسكري او يذهب ويعود بتأثير انقلابات جديدة . لذلك رأينا ان نصدر هذا الكتاب الى قراء العالم العربي بصورة خاصة لعله يتقي نفسه من النار الخارجية التي قد تلتهمه لعله يتجنب الانقلابات والفوضى ويسهر على نفسه والموضوع الاماسي لكتابتنا هذا هو الانقلابات العسكرية ، ولما كانت كثرة الانقلابات تؤدي الى الفوضى كان لا بد لنا من الدعوة لاحترام القانون والنظام ومعاينة الخارجين على القانون والنظام ولذلك قسمنا كتابنا هذا الى كتابين :

الكتاب الاول : في احترام القانون والنظام

الكتاب الثاني : في العقاب ومعاقبة الخارجين على القانون والنظام .

الكتاب الاول : وقد تضمن الاقسام التالية :

- ١ - نداء الى مواطني العالم العربي والشرق وحكوماتهم لامتثال القانون
- ٢ - ونداء الى الجيوش العربية والشرقية للتحلي بالروح النظامية .
- ٣ - نداء الى الحكومات الشرعية ورجالات البلاد لاعادة طبع هذا الكتاب
- ٤ - مفهوم الدولة الحقوقية .

٥ - حاجة العالم العربي الى امتثال القانون والنظام .

٦ - امثلة من اهم العالم على احترام القانون

٧ - امثلة من جيوش العالم على احترام النظام

٨ - بيان خطأ من يضربون الامثلة على صلاح الحكم العسكري .

٩ - اشورات والاقلابات .

١٠ - الحكم العسكري والحكم المدني والحكم الدكتاتوري .

١١ - المظة والدرس التاريخي من الاقلابات .

١٢ - امكانية احداث انقلاب بطريقة شرعية .

الكتاب الثاني : في العقاب ومعاقبة الخارجين على القانون والنظام : وقد تضمن

الاقسام التالية :

١ - الشبه بين اوضاع فرنسا الغير الشرعية في عهد الجنرال بيتان وبين اوضاع العالم العربي الغير الشرعية .

٢ - كيف تصفت الاوضاع الغير اشترعية لفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية

٣ - كيف يجب ان تصفى الاوضاع الغير الشرعية في كل قطر من اقطار

العالم العربي التي حدثت او تحدث بها اقلابات

٤ - الاعتراف بجميل من اعدوا العهد الشرعي (او ساعدوا على اعادته) او

من لم يعتبروا على العهد الغير الشرعي ، او ناهضوه ، وتقديرهم جميعا كل بقدر ما يستحق ، ونحت التماثيل لرجال العالم العربي وانشاء : مقر او مرقد الاعضاء

٥ - نتائج العقاب

٦ - ذكر ما يتعلق بالعقاب من بيان وزارة السيد صبري العسلي (بدون تعليق)
« ان تصفية العهود الغير الشرعية تصفية قانونية هي من غاية هذا الكتاب وهي امانة في عنق من ادركوها وان طلب تحقيقتها هو وثيقة المؤاف والمؤمنين بذلك . »

القسم « ١ » :- الكتاب الاول

ندائي الى مواطني العالم العربي والشرق ، حكوماتهم لاحترام القانون ايها المواطن :

انك تريد ان تعيش مطمئنا آمنا وهذا لا يتأتى لك الا اذ قمت بواجبك نحو احترام قانون بلادك .
ايها الحكومات

ان من الاسباب الجوهرية التي تودي بالحكومات والتي اودت بالحكومات السابقة في بلادنا ، هي عدم اكتراث هذه الحكومات بواجباتها واحيانا التفاضي عن تنفيذ القوانين وحينما اختراق هذه الحكومات لحرمة الدساتير او القوانين المرعية .

فاذا اردنا جميعا مواطنين ، وحكومة ، ان نستحق اسم الدولة فعلينا اذن الايمان بالقانون وتطبيقه .

ايها الشعب :

ادرك حقوقك وواجباتك السياسية واسهر بنفسك على حقوقك

ودافع عنها ، بقضائكم ، فالقانون يطلب منكم ايضا ان ترعى وتحافظ وتدافع عن حقوق
ايتها الحكومات :

طابقي القانون ، على الكبير والصغير ، والغني والفقير ، والامير والحقير ،
ليتساوى الجميع امام القانون فلعلكم بهذا العمل تقومين بقسم من واجبك .

القسم (٢) : ندائي الى الجيوش العربية والشرقية للتحلي بالروح النظامية .
ان اعظم خطا في تاريخ العالم العربي تركبه الجيوش العربية هو تدخلها
فيما لا يعنيه ، تدخلها في الامور المدنية التي ادت الى التهتير بنا الى الراء ، فقد
اوشكت ان تنتشر الفوضى في بعض الاقطار .

اني اناشد الجيوش العربية ان يعودوا الى ثكناتهم ولا يخرجون منها الا
لمصلحة الوطن الخارجية او حفظ الامن الداخلي عند الحاجة بناء على طلب السلطة
السليما في الدولة . اني اناشدهم ان يفسلوا ما اصابنا واصابهم من طار ، فيلتزموا
حدودهم ويقومون بواجباتهم وبطالبون بحقوقهم . حتى لا تنتشر الفوضى ، فملينا
نحن اليوم مواطنين ؛ وجيوشا ، امة وحكومة ودولة ان نكون يقظين من مناورات
الدول الاستعمارية ، ويجب ان لا تكون جيوشنا اداة لهم في الحرب الالية ولا
مرافقنا مرتعا لاستثمارهم وان نقف اسياذ نفوسنا .

القسم : (٣) - ندائي الى الحكومات الشرعية ورجالات البلاد لاعادة

طبع هذا الكتاب .

لقد اثرت الانقلابات العسكرية في ذاكرة المواطنين (كما ستري في بحث
الانقلابات في هذا الكتاب) والمواطنون سوف يتقلون اخبارها باحاديثهم لابنائهم
وسوف تنتقل من الابناء الى ابناء الابناء والى اخره . . . ان لم تتلاف الخطر .

واري ان محاولة نزع هذه الفكرة بالتوجيه والادراك والارادة ، قبل ان
تصبح مرضا او قبل ان تتخذ لها مكانا ثابتا في اللاشعور وتتركز فيه وتؤثر فيها
بعد بالمناسبات تأثيرا عفيفا وتكرر المأساة التي نلاقيها اليوم ،
اقول اري ان محاولة نزع هذه الفكرة باكرا بالتوجيه والادراك والارادة
هي خير من تركها ان لم تكن خير علاج عاجل لها ، فالملاجات الحقيقية هي
مادية وعلاجنا هذا هو اخلاقي ارادي ولكنه خير من لا شيء ، وعليه يقتضي
علينا ان نجعل على الاقل كل فرد من افراد العالم العربي بشعر بهذه الفكرة
ويدرك اخطارها الكبيرة ، فتنتقل بهذا الادراك من اللاشعور الى الشعور ثم
ينزعها من شعوره بسهولة فتتولد وقد لا تتولد من جديد بعد ذلك وقد نكون تلافينا
كل اخطارها وللوصول لهذه الغاية اقول : حبذا لو تكلفنا حكومات العالم العربي
الشرعية او رجالاته الماملون في خدمته لاعادة طبع هذا الكتاب بشكل تربوي
آخر يصلح اتوجيه الصغار من ابناء الجيل الجديد لتلقينه لثلاثية المدارس . حبذا
ايضا لو تكلفنا هذه الحكومات او هذه الرجالات لاعادة طبع هذا الكتاب على
حائته الراهنة للحصول على ملايين من نسخة وتوزيعها بصورة رسمية على جميع
مواطني العالم العربي بما فيهم افراد الجيوش العربية ، اهلنا عن طريق هذا العمل
نستأصل فكرة الانقلابات العسكرية في نفوسنا استئصالا تاما بالتوجيه والادراك
والارادة فلملنا اذ استطعنا الى ذلك سبيلا لانزع لهذه الفكرة الهدامة مجالا للتمركز
في نفوسنا والفعل فيها بتاتا وعلى مر الزمان

القسم (٤) - مفهوم الدولة الحقوقية « ١ »

تتألف الدولة الحقوقية في شرع العلوم الاجتماعية (اليوم) من ثلاثة عناصر :

١ - ارض معينة

٢ - تعيش عليها امة

٣ - تألفت منها حكومة تسهر على القوانين وتطبقها .

ولا نريد هنا ان نحلل معنى الدولة الحقوقية ولا نريد ايضا ان نحلل معنى الامة لان موضوعنا ليس هنا ولكن لا بد لنا من امداد عناصر الامة واستحسن استعمال كلمة « عوامل نشوء الامة وتكوينها » بدلا من كلمة « عناصر الامة » .

ليست الامة بمجموعة من الافراد ساقتهم الظروف والاقدار ليعيشوا مجتمعين مع بعضهم ، بل ان الامة شخصية جديدة هي غير شخصية افرادها وكيان للحوادث الطبيعية قوانين تهيمن عليها فكذلك الامة قوانين تهيمن عليها وهي غير القوانين التي تهيمن على الفرد والعلم اليوم الذي يدرس الامة والمجتمع والجماعة هو علم الاجتماع وهو علم حديث المهد وحقائقه وقوانينه لا تزال ضئيلة ولكنسه في طور النمو واعظم علمائه في التاريخ هما « او كست كومت (مؤسس علم الاجتماع) واميل دور كهايم صاحب المؤلفات المشهورة بهذا السدد » اما ابن خلدون فلقد لمح تلميحا على هذا العلم ومر عليه مرور الكرام في مقدمته المشهورة .

ونذكر من الباحثين في القضايا الاجتماعية الاسماء التالية :

(١) : سيرد في هذا الكتاب على لساننا كلمة جماعة او كلمة قومية

او كلمة وطن او كلمة امة ، والمؤلف لا يؤمن بهذه المفاهيم الا كواقع فقط فهو يدين بالانسانية والعالمية ولو انه يتصرف تصرفا قوميا وطنيا في كفايه لان تصرفه هذا تصرف عرضي موقت ولن يدوم الا ما دامت النزعات الوطنية والقومية قائمة بالعالم وسيزول حين ما تزول

مونتسكيو ، جان جاك روسو ، كارل ماركس ، هربرت سبنسر ، ارنست
ريبنان ، ادوار ماير ، ماكس شميث ؛ فون لوشان ، والتر سيمرمان ،
بول كريشه ؛ توراييف شيلدروب ، ابيي ؛ الفريد فير كندت ، جوزيف كولر ،
مارتن هارتن ، كوستاف لوبون ،

جوهانيت ، مويلير ، ارنست باركر ، جنكس ، مكيفر ؛ ولف ، ماتسيني ،
هيجل ، كوزدوجل ، الرئيس الاميركي ويلسون ، ديلي ؛ توماس هكسلي ،
هوبهوس ؛ جسدنجز ، لورنس ، بايندر ، جي . جي . انكس ، لوتورنو ،
سبارجو ، فريدريك انجلس ، جون لوك ، مكندوجال ، وغيرهم ، ومن يرغب في
مطالعة اخبار الساعة في هذا العلم ، فليرجع الى سلسلة الاعداد التي تنشرها
اليونسكو تحت عنوان : نشرة المراجع الدولية لعلم الاجتماع ليتهدي بها الى اسماء
علماء حداثين ومؤلفاتهم الحديثة

ومن هؤلاء الباحثين الذين ذكرنا اسماءهم من جاؤوا قبل او كست كومت
مؤسس علم الاجتماع ومنهم من عاصروه ومنهم من جاؤوا بعده . الا ان الاسس
التي وضعها كومت لعلم الاجتماع لم يخلص لها الا قسم من الباحثين بل ان كومت
نفسه الذي طمح الى انشاء هذا العلم دفعة واحدة « وهذا غير معقول فالعلم نتاج
تاريخي لعلماء البشرية » اقول ان كومت نفسه الذي طمح الى انشاء هذا العلم
دفعة واحدة سهى عن اسسه التي لا تزال الاسس المعتبرة الى اليوم .

وقد صدرت مؤلفات عربية (او ترجمات) عن العلوم الاجتماعية وما يدور
حولها وبصورة خاصة عن نشوء الامم بحسن بالقاري . مطالعتها وههذه هي
اسماؤها واسماء مؤلفيها او مترجميها :

نشوء الامم - انطون سمادة

علم الاجتماع - مصطفى فهمي

القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي - الدكتور عبد الرحمن شهبندر
 علم الاجتماع - نقولا حداد
 سر تطور الامم - فتحي باشا زغلول
 الانسان والجماعة - حنا نمر
 روح الجماعات - فتحي باشا زغلول
 علم الاجتماع - انطون المقدسي ورفاقه
 روح اثورات - محمد عادل زعيتر
 وقد اختلف الباحثون المذكورون اعلاه وغيرهم في عوامل نشوء الامة
 وتكوينها . وذكر السيد انطون المقدسي العوامل الاتية :

١ - الارض

٢ - العرق

٣ - العامل السياسي

٤ - العامل الاقتصادي

٥ - العامل الديني

٦ - اللغة

٧ - التاريخ .

اما نحن ، فانا ولو كنا نرى الكفاية في هذه العوامل الا اننا نذكر العوامل
 التالية المقابلة تقريبا لاسابقة :

١ - الوطن او ارضا معينة بمحدودها

٢ - استمرار ارادة الجماعة ان تحيا في ظل القانون مرتؤلف دولة

٣ - العرق ووحدة الاصل ، والسلالة

٤ - الصفات المشتركة الناتجة من الحياة الاجتماعية الواحدة ومن تفاعل

أفراد الجماعة مع بعضها البعض ومن تفاعلها مع الأرض التي يعيشون عليها . ومن قابليتها للتأثر بالعالم الخارجي والتيارات الخارجية الفكرية : الدين ، والتقاليد ، والمعادن الاجتماعية ، والأذواق ، والأزياء ، والثقافة ، والعلم ، والقوانين ؛ والانظمة ، والأداب ، وطريقة الحياة ؛ والمظاهر العامة للثقافة .

٥ - التاريخ والمصير المشترك في الزمان ، النكبة المشتركة بالتاريخ ، المساعدة المشتركة بالتاريخ

٦ - المدى الحيوي والاندفاع الحيوي والحياة البيولوجية الاجتماعية وأدوارها والتطعيم البيولوجي الاجتماعي ، دور الطفولة ؛ دور القوة والفتوحات والتوسع دور الشيخوخة والتقلص ، دور الانقراض والتطعيم وقد يمترى الأمة أو الجماعة التطعيم أيضا في أي دور من أدوار حياتها

٧ - الأمة

٨ - الروح ، وحدة الروح في الحاضر ، في الماضي

٩ - الحياة ، وحدة الحياة البيولوجية في الحاضر ، في الماضي

١٠ - الوضع الطبيعي الذي يساعد أو يعيق صهر الأمة ببعضها البعض عن

طريق الاحتكاك

١١ - الوضع الجغرافي ، الذي يجعل للبلاذ أو بحرهما من مركز عالمي مرموق

بين الأمم

١٢ - المصاحبة الاقتصادية المشتركة الراهنة : الحياة العلمية ، الحياة

الاقتصادية ، الحياة التجارية ، الحياة الصناعية ، الحياة الزراعية ، والتبادل في كل ذلك بين الأفراد .

١٣ - النضال السياسي (كنضال الأسر المالكة)

١٤ - أثر الاستعمار في إيقاظ انشعور القومي وبالتالي في نشوء وفي تكوين

الأمة .

١٥ - العلم والاخلاق والتوجيه والشهـور والوجدان المشتركـان

و قد قال احمد شوقي :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت وان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا ،

١٦ - السعادة المشتركة الراهنة

١٧ - النكبة المشتركة الراهنة

١٨ - الخوف الراهن من خطر خارجي

١٩ - السلامة من الاخطار الطبيعية والغوائل

٢٠ - مبدأ السلامة .

٢١ - التطلع الى المستقبل بنفس النظرة وتصور نفس الامال

« انتهى ذكر وتمداد العوامل »

ويمكن ارجاع بعض هذه العوامل الى بعضها الاخر او دمج عدة عوامل تحت عامل وحيد يكون بمثابة حاصلة لها بحيث يصبح عدد العوامل سبعة كما ورد على لسان المقدسى ورفاقه . ولكن آثرنا هذا الترتيب لانه اوضح من ذاك ولاهـ الباحثين لم يتفقوا على هذه العوامل واختلفوا في نظرهم اليها بل انهم يختلفون حتى في تفسير وايضاح وتحديد العامل الواحد احيانا ولو كانوا متفقين عليه بالاجمال ولذلك اري ان العوامل التي ذكرتها هي خير من العوامل التي يذكرها المؤلفون عادة والتي يكثر الاخذ والرد في تفسيرها لان كل عامل منها على الارجح يتضمن عدة عوامل بدوره ولكن الحقيقة يجب ان يقال وهي ان الاخذ والرد والانكار والموافقة في هذا البحث مسألة لا بد من الاعتراف بها في هذه الايام (ولكن الويل اهون من الويلين) فـكل عالم يمسك برأيه ويأخذ ما يأخذه من هذه العوامل ويسقط ما يسقطه ويفسر العامل احيانا كما يريد

فلقد تمسك النازيون بالعرق اما فون ايهرن فقد تمسك بالارض والى اخره ..

و يرى المؤلف ان بعض هذه العوامل هو سبب في نشوء الامة وتكوينها وبعضها الآخر نتيجة من نتائجها لاسباب اي ان بعضها مؤثر والبعض الآخر نتيجة او صدى لوجود الامة ولكن جميع هذه العوامل (المؤثر والصدى) كلها تؤثر متى وجدت وتعمل في نشوء الامة وتكوينها : فكما ان المادة تؤثر فتولد العقيدة مثلا ثم تعود العقيدة فتؤثر بالمادة فكذلك هو الحال مع هذه العوامل التي بعضها مؤثرة وبعضها ناتجة من وجود الامة ولكنها جميعا تعمل في نشؤها وتكوينها .
ونرى ايضا ان اختلاف العلماء حول عوامل نشوء الامة وتكوينها يعود الى تفكيرهم الشخصي والى انهم لا ينظرون الى الموضوع الذي يبحثون به نظرة وضعية غير متيافيزيكية نظرة موضوعية غير شخصية .
هذا من جهة ومن جهة اخرى فان هذا الاختلاف يعود الى كون علم الاجتماع لا يزال الى اليوم بالمد .

والاحظ انه ليس ضروريا اجتماع هذه العوامل كلها في مجموعة من الناس حتى تنشأ الامة وتتكون بل يكفي بعضها او احدها وحيانا تنشأ الامة وتتكون بواسطة بعض هذه العوامل رغم وجود ضد بعض العوامل الاخرى فيها .
ولكن قوة الامة تقاس في جميع الاحوال بقوة العوامل الموجبة التي تفعل فيها وضعف العوامل السالبة التي تفعل فيها او انعدامها ، سواء اكانت هذه العوامل هي عوامل مؤثرة او عوامل ناتجة من وجود الامة .
اننا نقف عند هذا الحد من البحث في عوامل نشوء الامة وتكوينها مكتفين بذكرها واعطاء لمحة عنها دون تحليلها ومناقشتها وبيان قوة كل منها واهميتها المطلقة والنسبية بالعالم العربي (١)

(١) اقرأ المؤلف : عوامل نشوء الامة وتكوينها في العالم العربي .

لان كل ما يلزمنا من هذه العوامل في هذا الكتاب هو عامل القوانين والانظمة وهذا العامل هو عامل ناتج من وجود الامة ولكنه يفعل بها ايضا وقد ورد ذكره بالبند (٤) من هذه العوامل .

ونلاحظ ان رقي الامة الاخلاقي - الاجتماعي (٢) هو مقدار قد يمكن قياسه بمقدار آخر هو احترام افراد الامة للقانون فكما ان لكل مقدار وحدة قد يقاس بها فالطول مثلا يقاس بوحدة الطول (مثل المتر) والثقل يقاس بوحدة الثقل (مثل الكيلو) كذلك رقي الامة الاخلاقي - الاجتماعي مقدار قد يمكن قياسه بوحدة قياسية نسبيها واحدة احترام القانون :

Unité de respect de la loi

ولما كانت الواحدة القياسية مقدارا ايضا مثل المقدار الذي تقيسه هذه الواحدة فالمتر الذي يقيس الطول هو طول ايضا والكيلو التي تقيس الثقل هي ثقل ايضا فكذلك واحدة احترام القانون التي قد تقيس بها الرقي الاخلاقي - الاجتماعي لامة من الامم هي رقي اخلاقي - اجتماعي اي أن احترام القانون نفسه هو الرقي الاخلاقي - الاجتماعي بعينه

وحتى نتخلص من الجدل والاختذ والرد والانتقاد لنفترض صحة الجملة الاخيرة افتراضا اي لنفترض ان احترام القانون هو الرقي الاخلاقي - الاجتماعي بعينه .

ولنفترض زيادة ايضا : ان العكس صحيح اي ان الرقي الاخلاقي - الاجتماعي هو احترام القانون

(٢) رقي الامة العلمي - الفني - الادبي - الصناعي - الزراعي - التجاري هو حضارتها ولا دخل لها بموضوعنا .

وهكذا يمكننا بعد هذا الافتراض المزدوج ان نقول : ان المقدر الذي يقبس احترام القانون يمكنه ان يقبس الرقي - الاخلاقي - الاجتماعي اي ان واحدة احترام القانون هي صالحة لقياس رقي الامة الاخلاقي - الاجتماعي (وهو ما قلناه سابقا) .

هذا هو مفهومنا التوجيهي للرقي الاخلاقي - الاجتماعي (١) ولعله لن يبقى مفهوما ثابتا ، لعله يتبدل بالمستقبل ولعله يبطل فكما انه لم يكن هذا المفهوم معروفا بالماضي فقد يبطل ويختفي اثره بالمستقبل وعلى كل اننا نستخدمه هنا في هذا العصر .

لاشك انك سمعت بان محاكم سويسرة تبقى اشهر احيانا خالية من الدماوي وقد سمعت ايضا بان سويسرة من ارقى دول العالم .

فاذا صنفنا الامم حسب رقيها الاخلاقي - الاجتماعي واذ اصنفناها حسب احترامها للقانون نتج معنا نفس التصنيف وبالحقيقة : ان مفهوم الرقي الاخلاقي - الاجتماعي مفهوم غامض مفهوم مركب مفهوم معقد ، فلا ابسط من ارجاع هذا المفهوم الى احترام القانون (وهو ما قمنا به) (تخلصا من الجدل والانتقاد والاخذ والرد) .

(١) اذا بقي معنا مدي في آخر هذا الكتاب فاننا سنعود للبحث وعلحق خاص ، في مفهوم الرقي الاخلاقي - الاجتماعي وتعريف الرقي بنوعيه الاخلاقي - الاجتماعي ، والنوع الاخر الذي قلنا عنه انه يمثل الحضارة (وسوف نعرف الرقي بنوعيه بصورة اخرى) وسوف نعرف الحضارة بنوعيه المادية والروحية .

أول بلاد السويد ، وسويسرة . وبلاد السكندنافيا هي القمة من حيث الرقي الاخلاقي - الاجتماعي وهي ايضا في القمة من حيث احترام القانون ، وبالحقيقة يرى المؤلف بصورة قريبة ان اعظم ظاهرة للامة هي القانون فكان القانون هو الامة تقريبا ، نعم ان هناك كما ذكرنا (عوامل نشوء وتكوين الامة) ولكن يمكن ان نتعرف للامة ليس بعوامل وجودها فحسب بل يمكن ايضا ان نتعرف اليها بنتائجها :

فحيث توجد امة يوجد قانون كنتيجة للحياة المشتركة ولا فرق ان يكون القانون قانونا مكتوبا او غير مكتوب ؛ وبقدر ما يحترم الافراد هذا القانون بقدر ما قد تكون هناك افكار مشتركة بينهم ومصالح مشتركة تدفعهم الى احترام هذا القانون وذلك بغض النظر عن مفعول المادة والارادة ومشايخها في احترام القانون . لننتقل الآن الى العالم العربي انرى فيه مدى احترامه للقانون والنظام :

مراجعة العالم العربي الى احترام القانون والنظام

العالم العربي متشابه ولكنه متباين ايضا .

يتألف العالم العربي اليوم كأكثر شعوب العالم من بقايا الامم القارة فهو بلا شك مقبرة الفايحين بمعنى انهم لم يمروا عرورا في هذه الربوع بل قطنوا البلاد ودفنوا فيها شيئا كثيرا من تقاليدهم واداتهم ولا تزال بعض ثارهم الى اليوم ويلاقي الزمان صعوبة في افنائها ويجب علينا ان نفاعل هذه الآثار مع بعضها البعض من اجل جعل الامة اكثر نجاحا فدراسة ملابس المواطنين في سوريا توضح لنا ازياء متباينة ممتدة تمت الى ازياء امم قارة ، كما ان دراسة الاطعمة في سوريا ادت الى تعداد اكثر من الف نوع (١) من الطعام وكذلك دراسة

(١) رقب المؤلف صدور كتاب « وصف اجتماعي للشعب السوري »

التقاليد والمعادن والاديان والملل وغير ذلك تثبت لبناين هذا العالم السوري بصورة خاصة والعربي بصورة عامة فكأنه خليط من كل شيء. ولكن الولايات المتحدة التي هي اقوى دولة في العالم اليوم تتألف ايضا من خليط لا يمد ولا يحصى اذن لا يمكننا اعتبار هذه الصفة التي هي موجودة تقريبا باكثر الشعوب هي كل السبب في ضعف شخصية العالم العربي الاجتماعية وانما هي صفة غير مستحبة وخصوصا اذا لاحظنا ان هذا الخليط من كل شيء ذو اجزاء متبلورة متجمدة تحافظ على صفاتها ولا تتفاعل مع بعضها الا قليلا انها لا تتحلل وعلينا ان نصبرها ونذيبها بنضالنا الاجتماعي لاننا اذا لم نناضل من اجل ذلك وتركناها وشأنها فقد يطول بقاؤها حجرا عسرة في تطور الامة واستكمال شخصيتها الاجتماعية انها كانت ولا تزال بليطة الزوال في بلادنا بخلاف الولايات المتحدة وغيرها مثلا « وذلك لاسباب لا يمكننا في هذا الكتاب شرحها ».

ولا بد من القول ان العالم العربي مدين الى حد غير يسير بوجوده للقرآن والاسلام ولولاها لضاعت على الاغلب ابرز صفات الامة العربية تقريبا ولربما ضاعت حتى اللغة العربية نفسها . فالدين الاسلامي اساس عميق في نفوس المسلمين وقد صلح في التاريخ لتركيز دعامة القانون الاجتماعي عليه في العالم العربي قرونا طويلة ولكن ... هل يصلح الان كما صلح في الماضي؟ وهل ينتأى لمنظومات الاخوان المسلمين في العالم العربي ان يتوقفوا في نضالهم الموصوف بنضال الرجعيين في نظر الاحزاب الجديدة ١٩٢.

واقعد فعلت في عهد الاسلام موجات الصحراء في الشرق الادنى فاخذت تصقل هذا الخليط فنجحت الى حد بعيد في اكثر المناطق ولكن هذه الموجات التي اتتنا من الصحراء لم تكن موجات بسيطة صافية بل موجات مكيفة : موجات مكيفة بتنازع القبائل العربية مع بعضها البعض : فلقد طاش العرب

قبل الاسلام قرونا طويلا يتنازعون كثيرهم على السيادة في اطراف الجزيرة العربية وقلبيها ولما بدأت فتوحاتهم كانت روح السيادة متأصلة بصورة خاصة في نفوس الاسرالكبرى والقبائل المشهورة فاخذ طابع النزاع بينهم شكل التنازع على الخلافة وقد قال بعض المؤرخين : ان تاريخ العرب الداخلي هو تاريخ تنازعهم على الخلافة ونحن لا قبل هذا القول ولكن نترف بان التنازع على الخلافة كان له اثر كبير في تاريخ العرب وقد تسربت عدوى التنازع الى العرب المستعربة وبناني العالم العربي اليوم مشكلة هامة الا وهي :

تنازع رجال السياسة على كرسي الحكم .

فلقد انتهى امر الخلافة وانتهى عهد القبلية في اكثر انحاء العالم العربي ولكن نفسية الاسر القوية (١) في بلادنا تتنازع على كرسي الحكم فكانت النفوس لم تتغير كثيرا فهي تشبه النفوس القديمة رغم مجري الزمان وان اهم ما يبطل في تطور العالم العربي هو عدم تصنيعه فحتى الآن لم تدخل الآلة حياتنا الزراعية والصناعية الا قليلا اما النهضة العلمية ، فلقد توقفت اكثر من ستة قرون دون ان يتمكن العالم العربي من التقدم خطوة واحدة بل بالعكس كان يتراجع الى الوراء .

ولا نريد ان نطيل البحث في هذا الموضوع فهناك عوامل سلبية كثيرة تقفل بالامة العربية ولكن الامل غير ضائع في نهضة العالم العربي بل انه سائر لا محالة الى الامام . والامل معقود على بقية العوامل الايجابية التي تفعل فيه وتدفعه الى الصعود في سلم الرقي .

ومهمتنا نحن الافراد المناضلين ان نمهد للامة التي تشق طريقها المجد وان نختصر لها الطريق بنضالنا السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفني والعلمي .

والآخره ...

لنا تكلمنا عن شيء من عيوبنا بالصفحات السابقة ولكن ليس فابتنا
شجذ المهم ؛ وقطع الامل بل ادراك الداء لتحضير الدواء والانتهاى الى الشفاء :
لقد تصحمت المائلة في ربوعنا وصارت تهدد كياننا الداخلي وكاد القانون
ان لا يكون وسيلة فاجمة :

فكثيرا ما يتمدى احد على فرد من افراد المائلة الفلانية فاذا بالمائلة هذه
لا تدافع عن نفسها قضائيا بتاتا بل تصرف من نفسها وتتمدى على المعتدي وعائلة
المعتدي ومن يلوذون به وقد يتسع الخرق فتتقسم الاحياء او المدينة على بعضها
من جراء حادثة فردية وتكون النتيجة غير محمودة العقبي فكاننا في عصر النار
في العصر القبلي حيث تسود حكومة القوي وحيث لا اثر في السيادة الا للقوي
اما عن منعة الحكم فلا تحمدي فلقد قلنا منذ قليل شيئا عنها ونريد الان
نخلص ما قلناه لاهميته بأسلوب آخر :

اذا برز في ماضي العالم العربي والاسلام تنازع العرب على الخلافة فلقد
اخذ هذا النزاع اليوم طابع النزاع على كرسي الحكم والنفوذ وهذا ما ادى
بالزعيم الخالد فوزي الغزي الى وضع مادة في الدستور السوري الاول تمنع تجديد
انتخاب رئيس الجمهورية .

ونلاحظ على الاغلب ان سكان اي مدينة كانت لا يهتمون الا بمصالح مدينتهم
فيطلبون من الحكومة المطالبات المتعلقة بها ، انهم تارة يطلبون اغلاق الحدود بين
سوريا ولبنان وطورا يطلبون العكس وتارة تطلب المدينة الفلانية المشروع الفلاني
وتضرب من اجله وتهدد وطورا تمنح المدينة الفلانية طالبة كذا وكذا ، فكان
كل مدينة دولة كما كانت سوريا في عهد الفينيقيين وكان العاصمة حكومة منتدبة
اجنبية فلقد اصبحت الروح المدنية مرضا بالمشب ونلاحظ ايضا ان قصبا كبيرا

من الشعب لا ينقاد الا لنفسيته ومصالحته الخاصة فلا يفهم المصلحة العامة الا بمنظار
مصالحته الخاصة وهو يقلب من وقت لآخر وهو مستعد لتترك الحزب الفلاني
والدخول بالحزب الفلاني من اجل الحصول على الطلب الفلاني او الوظيفة الفلانية
وهو يصفق بان يستلم الحكم ويظلم ويذم عن يترك الحكم . فلا تعرفه كما يقول
المثل العامي :

« مهم مهم عليهم عليهم »

واظن انه يوجد الكثير ممن يستهينون بالمفاهيم الاخلاقية في سبيل ما يريدون
ومن يبيعون وجههم من اجل الخطوة .

ونلاحظ احيانا ان اكثر الناس في العالم العربي يهاون بانهم يخترقون
القانون دون ان يلاحقهم القضاء ويهاون بان لهم دالة على القاضي وانهم يعدم
كالخاتم بالاصبع ويمتبرون الوسطاء وأهل الوساطات ويسيرون الرشوى ومتقدين
بانه لا مناص منها ولا سبيل الا اليها والى آخره من الصفات الغير المحمودة .
وهكذا نرى :

ان تركيب العالم العربي في أي مكان منه غير قوي واخلاقه وتقاليده
وعاداته غير مرضية واحترامه للقانون مفقود تقريبا واعتباره الاخلاقية مدمومة
فكيف اذن يمكننا ان نؤلف منه دولة قوية ؟

اننا لسنا على ظهر باخرة نؤلف مجموعة مسافرين حتي نكون مختلفي الاسل
والاراء والمعتقدات و ... و ... لهذه الدرجة

اننا نعيش بصورة دائمة مع بعضنا البعض ولا سبيل الى المجد ان لم
تقدس المصلحة العامة ونخضع للقانون ونقوم بواجباتنا نحو الغير ، ونحو البلاد ،
ونحو الانسانية ونحو الكائنات الحية المسالمة البريئة ، ونحو انفسنا .

لقد استرسلنا في وصف العالم العربي « ومع ذلك لم نسلمه بصورة كاملة »

ولان موضوعنا في هذا الكتاب الصغير لا يمكن ان يتضمن طريقة اصلاح عالمنا وبصورة خاصة سوريا ، لذلك نكتفي بهذه المسحة عن صفات العالم العربي ونفود الى ما كنا نبحث به منذ قليل وهو البحث في حاجة العالم العربي الى احترام القانون والنظام :

مادامت الجماعة او الامة تكاد ان تكون قانونا اجتماعيا كما قلنا ويقاس رقيها بمدى احترامها للقانون اقول مادام الامر كذلك فمن اذن بشد الحاجة الى احترام القانون حتى تتمكن من انشاء دولة حقوقية تستحق هذا الاسم

قال اميل دو كيهيم : والامة هي جماعة انسانية تريد لاسباب (اتية) او تاريخية فقط ان تحيا في ظل قوانين معينة وان تشكل دولة سواء اكانت صغيرة ام كبيرة وانه الان مبدأ مقرر لدى الامم المتحدة انه متى ما ثبتت هذه الارادة الموحدة نفسها باستمرار حق لها ان تعتبر الاساس الثابت الوحيد للدول ، وقللا عن نشوء الامم لانظون سادة .

فالارادة المستمرة لاجاد القانون وتأليف الدولة هذه الارادة هي الامة لاغير في نظر هذا العالم .

فلنتنبه الى القانون وللحترمه اذ نحن اذا كنا نريد ان نكون امة .
ونلاحظ ان المدنيين ليسوا وخدم بعيدت عن احترام هذا القانون :

لما كانت جيوش العالم العربي مؤلفة من افراد هذا العالم كان لابد لهذه الجيوش مهما كانت نظامية ومهذبة من ان تخترق احبانا القوانين ونعم بها القوضى كما هو الحال بالمدنيين .

وهكذا اري ان مستوانا ليس مدنيا فحسب بل مدنيا وعسكريا من حيث احترام القانون والنظام هو مستوى غير لائق بنا .

الانزال في اول درجة من سلم الرقي لانه لا امة بدون قانون ولا جيش بدون نظام فالنظام النظام ايها الجيش هو الذي يحملك قويا قبل كل شيء آخر والقانون القانون ايها الشعب هو الذي يحملك امة قبل كل شيء آخر ايضا ، ولكن مع ادراكك انك وحدك يجب ان تقرر مصيرك الداخلي وان لاتدفع السلطات ثقل من قبضتك وان لاتقف مكتوف الايدي غريبا امام الطغيان او من يتهددك حرمة القانون وقدااسة اعتباراتك وان لاتشعر بضعفك قانت قوي بضامنك السهل وان لاتنصف لاي سلطة غاصبة وان لاتدفع ولا تشرع بتأييد او معارضة اية حكومة كانت وان تتطالب باحترام القانون والنظام الذين وضعتهم بواسطة نوابك وممثليك ولا تنهون في ذلك بل اطلبه من كل سلطة وخصوصا الجيش لانك انت السلطة العليا ولا غيرك وانت وحدك واضع شريعة المجتمع والجيش فاذا شعر كل فرد فيك هذا الشعور واذا اتحدنا على هذا المبدأ جميعنا فانتا سوف تؤلف عندئذ امة عظيمة وجيشا قويا يلزم العالم على احترامنا عند الحاجة .
واليك الان امثلة من اهم العالم على احترام القانون ، ومن جيوش العالم على احترام النظام والقانون :

القسم السادس:

امثلة من اهم العالم على احترام القانون

وقبل الشروع في هذه الامثلة نلاحظ ان القانون والنظام ضرورتان لا يبد منها ايوم في جميع الدول على اختلاف نزعاتها بما فيها الاشتراكية والشيوعية والديكتاتورية والديمقراطية ولذلك سوف تكون امثلتنا متنوعة مأخوذة من عدة دكتاتوريات وطورا من دولة ديمقراطية واحيانا من دولة شيوعية

والى آخره ..

سكان السويد : تعتبر السويد ارقى دولة في العالم اليوم وهي دولة ملكية دستورية وقد تضربك الدهشة اذ كيف يشنى لدولة ملكية ان تكون ارقى من الدول الديمقراطية ولا سيما وانت تعلم ان النظام الجمهوري هو اصلح نظام للحكم لان اكثر اساسية توجد حتى في الانظمة الشيوعية، ولكن قف مقي قليلا عند هذه الملحوظة :

ملحوظة : هناك شبه كبير بين الشعوب وانظمتها (عندما نقول انظمة تقصد الانظمة السياسية). من جهة وبين السوائل وادويتها من جهة اخرى فكما ان السوائل تخذ شكل الوعاء الذي توجد فيه ويقبل شكلها حين نقلها من وعاء الى وعاء اخر متباين الشكل ولكن يبقى السائل قابلا على حاله ، فان كان عصيرا فاسدا مثلا فانه لن يصبح عصيرا نقيا بعد نقله (بل بالعكس قد يفسد اذا كان الوعاء الحديد غير نظيف وقد يصبح ممحا اذا كانت مادة الوعاء قابلة للتفاعل مع السائل المذكور) اقول لن يصبح هذا السائل عصيرا نقيا بعد نقله من الوعاء الاول الى الثاني بل يتغير شكله فقط فكذلك هذه الشعوب البشرية : انها عندما تنتقل من نظام لآخر فان النظام الثاني لن يبدل من صفاتها الخاصة على العموم ولن يقدفها بصورة اتوماتيكية الى الاعلى بسلم الرقي ذلك لان النظام الاول لم يكن هو السبب الجمهوري في تاخر الشعب وانحطاطه بل هناك عوامل اخرى غير النظام الذي هو عامر صغير بالنسبة لساثر العوامل .

الا ان هذا الشبه بين السوائل وادويتها ، وبين الدول وانظمتها ليس تاما فما يتشابه بسوده الثباين في آن واحد . لذلك لا يجوز قبول هذا الشبه الاصح التحفظ وسوف نشرحه في غير هذا المؤلف

ويمكننا ذكر امثله لايضاح هذه النظرية التقريبية « اقول التقريبية لان النظام ليس صفرا من حيث الرقي كالوطا الذي لا يؤثر على ما فيه احبانا وطادة بل ان له تاثيرا ولكنه ليس الكل بالكل (٠) :

توجد دولة صغيرة في اوروبا تسمى اللوكسمبورغ : « ١ »
ونلاحظ في هذه الدولة النظام « الدوقي » ، فهي حتى اليوم تسمى « دوقية »
اللوكسمبورغ وملكيها يسمى دوق اللوكسمبورغ ولكن نظام الحكم لم يجعلها

« ١ » لحة عن اللوكسمبورغ وتاريخ دوقية اللوكسمبورغ : وهي من بقايا دول الاتحاد الالمانى « ١٨١٥ - ١٨٦٦ » ، كانت مستقلة ولكن مرتبطة شخصيا مع البلاد المنخفضة اى يحكمها اسميا فقط ملك البلاد المنخفضة « هولندا وبلجيكا »

ولما توفي غليوم الثالث بدونت وويث ذكر انتقل عرش اللوكسمبورغ الى ادولف دوناو

وفي عام ١٨٣٠ عام الثورات الاوروبية انضمت منطقة اللوكسمبورغ الغربية الى البلجيكي .

تؤلف اللوكسمبورغ اليوم دولة حرة مساحتها ٢٥٨٥ كم وسكانها ٢٨٥٠٠٠ نسمة اى اقل من سكان مدينة دمشق وتقع هذه الدولة الصغيرة بين المانيا وبلجيكا وفرنسا وطاصتها مدينة اللوكسمبورغ وسكانها « ٦٣٦٦٠ »
ويشكل المواطنون في هذه الدولة الصغيرة لغة من اصل جرمانى ، واللغة الالمانية واللغة الفرنسية .

انتهت الخطبة

كلمات البدو في الصحراء العربية مثلا . بل ان الو كسمبورغ دولة راقية اجتماعيا واخلاقيا وقف الى جانب المانية وبلجيكا وفرنسا .
ولكن النظام « الهوفي » و كذلك زميلة النظام الاماري ، لا يضي نظاما راقيا فهناك الى جانب دوقية الو كسمبورغ الراقية امارة اخرى تسمى : امارة الاندورة (١)

وهذه الامارة التي لا يزيد عدد سكانها عن سكان قرية جبلة في سوريا هي بلاد مقآخرة شبيهة كثيرا بامارات البدو من حيث القوضى :
فالمواطنون هناك يمارسون مهنة الطب والصيدلة بدون شهادات رسمية والقوانين لا تمنع ذلك وان اكثر المواطنين يمارسون مهنة التهريب ويرى سكان الاندورة ان الافراد الذين يستنكفون عن مساعدة مهربى البضائع على الحدود

(١) لحة عن الاندورة وتاريخ امارة الاندورة : وهي بلاد صغيرة في الجنوب من منطقة الأريج الافرنسية في البيرنه كانت منذ عام ١٦٠٧ تابعة لملك فرنسا ولاسقف « أرجل » في اسبانيا ، ولا يزال يقوم امير الاندورة حتى اليوم بزيارة تقليدية لرئيس الجمهورية الفرنسية في يوم معين من كل سنة ليملح لها ولأولاده وهو يأتيه حاملا له هدية مؤلفة من شيء مضحك جدا وهو :

سلة من البيض ودجاجتان او اكثر او ماشا كل ذلك من الامور التي يقدمها المرابيون في سوريا مثلا لاسيادم (الاغوات) ومساحة بلاد الاندورة ٤٥٢ كم وسكانها ٦٠٠٠ - ٧٠٠٠ نسمة ويتكلم اللغة الكتالانية وهي متحدة بريدبا فع اسبانيا وجر كيا مع فرنسا وعاصمتها قرية الاندورة لافيجا وعدد سكانها (٧٠٠) نسمة ،
انفت الحاشية

إذا كان بإمكانهم مضاعفتهم ، ليسوا مواطنين اشرافاً ويجب احتقارهم ، فتأمل
بإخلاق هؤلاء البشر .

يتضح من المثلين السابقين ان النظام القوي او الاماري لاعلاقة له بمستوى
الشعب الا قليلا وانما هناك عوامل اهم منه تساعد على الرقي أو التدهور .

وكذلك نرى في الدول الجمهورية دولا راقية كفرنسا واميركا ودولا
متأخرة نسبيا كسوريا وتركيا .

وكذلك نرى في الدول الملكية الدستورية دولا راقية كالسويد وانكلترا
وهولا متأخرة نسبيا كصر واليونان وكذلك نرى في الدول الكتاتورية دولا
راقية كالمانيا الهنبرية (١٩٣٣ - ١٩٤٤) وايتاليه في عهد موسوليني (١٩٢٢ -
١٩٤٣) ودولا متأخرة نسبيا كدولة (بورون) الارجنتينية ودولة فرنكو
الاسبانية هاتان الدولتان محكومتان ظاهرا فقط حكما غير دكتاتوري ولكنها
بالحقيقة محكومتان حكما دكتاتوريا .

وكذلك نرى ايضا واخيرا وراء الستار الحديدي في الاتحاد السوفيتي دولا
راقية وهي القسم الغربي الاوروبي من روسيا ودولا متأخرة وهي القسم الشرقي
من روسيا على العموم .

فكان نظام الحكم ليس الا عاملا ضعيفا في رقي الامة وكان هناك عوامل
مهمة غيره هي التي تؤثر فيها وتدفعها الى الصمود في سلم الرقي او الى التدهور
« انتهت الملاحظة »
لنعد الان الى السويد .

سكان السويد : قلنا ان دولة السويد « ١ » تعتبر ارقى دولة في العالم اليوم وتدل الاحصاءات الجنائية المالية ان عدد القتلى في السويد هو في اى سنة كانت اقل من عدد في اية دولة اخرى نميبا ويزوى عن هذه البلاد ان سكانها يحترمون فيها القوانين الى مدى بعيد وكثيرا ما يأتي الجاني او مرتكب الذنب او المخالف من تلقاء نفسه الى الدوائر القضائية او الحكومية المسؤولة ويعترف بما يعترف ويقبل عن طيبة قلب المقاب الذي يفرضه عليه القضاء او الادارة بموجب ما تقتضيه هناك القوانين والانظمة .

ولا تحدث السرقات في السويد الا نادرا وكثير من الحوادث المنزلية متصلة مع بعضها ليس بينها فواصل او حواجز تذكر بل كل ما هنالك علامات وذلك في المدن الكبيرة والوسطى .

سكان سويسرة : تأتي سويسرة (٢) بعد السويد تقريبا مباشرة بالرقى رغم ان السكان لا يتكلمون لغة واحدة بل لغات متعددة كالالمانية والفرنسية والايتالية

« ١ » لمحة عن السويد وتاريخ دولة السويد :
هي دولة من دول اوربا الشمالية تؤلف الجزء الشرقي من شبه جزيرة
سكاندينافيا الواقع تماما بين بلاد النورفيج وبحر البالتيك ومساحتها (٤٤٨٣٠٠)
ك م م وسكانها ٦ - ٧ مليون نسمة وعاصمتها استكهولم ، اتحدت هذه المملكة
« كما سنذكر » مع النرويج منذ سقوط بونابرت عام ١٨١٤ تحت راية ملك مشترك
ولكن السويد عادت مملكة منفصلة منذ عام ١٩٠٥

(٢) لمحة عن سويسرة وتاريخ دولة سويسرة : تقع سويسرة « او القنيسيا »
في اوربا الوسطى مساحتها (٤١٢٩٨) ك م م وسكانها (٤ - ٥) مليون نسمة وهي

وغيرها ويمشون كجاليات وجماعات وتنفصل بعض الجاليات والجماعات عن بعضها

مؤلفة من اتحاد يسمى الاتحاد السويسري أو الاتحاد (الافيسي) ومركز الحكومة الاتحادية السويسرية هو العاصمة بيرن وتقسم سويسرة الى ١٩ منطقة وست انصاف مناطق ويسمي سكانها الاصليون (الافيس) وهم من العرق السلي ، وقد حكمها الرومان ثم (البوركونديون : برابرة) و (الفرانكيون) ثم اصبحت قسما من المملكة (الكارولنجية) وفي عام ١٢١٨ تبعت مباشرة للإمبراطورية الكارولنجية وكانت انذاك مقسمة في دول ومناطق ، وكان رسل الامبراطرة يظلمون الشعب السويسري فمما كان من بعض المناطق السويسرية الا ان هبت واتحدت في مقاومة الرسل المذكورين وناضلت بشجاعة حتى طردت من بلادها الرسل الاجانب بفضل وليهم آل وامثاله وقد دافعت سويسرة عن حريتها في القرن الثامن عشر ضد شارل لوثير (دوق بوركونيا) وضد (ماكسيميليان) الاول امبراطور المانيا الذي اعترف بموجب معاهدة (يال) باستقلال ثلاث عشرة مقاطعة سويسرية .

وقد عقدت سويسرة في القرن السادس عشر عام ١٥١٦ صلحا دائما مع فرنسا بينما دخلت البروتستنتية بعض المناطق السويسرية على يد (زوينكلي) المعلم البروتستنتي السويسري ، وفي القرن السابع عشر عام ١٦٤٨ اعترفت المانيا وفرنسا والسويد في معاهدة (ويستفالية) باستقلال سويسرة وسيادتها ولما شبت الثورة عام ١٧٩٨ اعلن (برون) سويسرة دولة جمهورية واصبحت سويسرة مسرحا للحروب بين الفرنسيين والاسطرويين - الروسين الذين انكسروا في زوريخ عام ١٧٩٩

انفصالا يكاد يكون نهائيا وذلك في المدينة الواحدة احيانا الا ان السويسريين عرفوا كيف يحترمون بعضهم بعضا ويمشون آمنين بهم بقدرسون القانون، والدوائر القضائية غالبا لا عمل لها واذا تبلت احيانا ودخلت بالدهاوي فربما يتألف من موضوع الدعوى قصة هزلية في نظر العالم وزوي القصة الالمانية من هذه الدهاوي على سبيل التدليل :

اما نابليون الاول فانه جعل في عام ١٨٠٣ ، من الجمهورية السويسرية الموحدة المذكورة جمهورية اتحادية وقد احترم مجلس الكونغرس النمساوي في فيينا هذه الاوضاع السويسرية التي، بدل فيها (بضم الباء) عام ١٨٤٨ ثم عام ١٨٧٤

يعارس السلطة التنفيذية في سويسره مجلس الاتحاد ويسمى بالالمانية « بون ديسرات » الذي يرأسه في نفس الوقت رئيس الاتحاد السويسري ويعاوس السلطة التشريعية مجلس اتحادي مؤلف من مجلس قومي ومن مجلس دول الاتحاد ولكل منطقة حكومتها الخاصة المحلية كما هو الحال في الولايات المتحدة وصلاحيه هذه الحكومة محصورة بالقضايا التي لاعلاقة لها بمصلحة الاتحاد ؛ ولكن هناك فوارق بين الحكومات المحلية في الولايات المتحدة والحكومات المحلية في الاتحاد السويسري.

وابرز هذه الفوارق هو ان الشعب نفسه فيها يؤلف المجلس التشريعي المحلي ويضع الميزانية المحلية ويقرر ويتصرف بنفسه فيحقق بذلك عمليا الحكم الديمقراطي المباشر اي حكم الشعب .

ان سويسرة اليوم دولة محايدة بالنسبة للعالمين الشيوعي والديمقراطي .

الامت امرأة دعوى على زوجها مرة لانه اساء التصرف في نظرها مع الكلب الذي ضربه بفون ذنب .

فهذه الدعوى مع كثير من امثالها تدل على ان الحاكم السويسرية تنسج لمثل هذه المنازعات اي انها لاتنص بالمتنازعين كما هو الحال في سوريا مثلا حيث لايعلم احد الى متى تزداد نسبة المنازعات والخلافات والجرائم والجنح والخالفات في هذه البلاد .

ونذكر من غرائب اوضاع سويسرة وجود مدينة معروفة على الحدود السويسرية الالمانية مقسومة الى قسمين احدهما سويسري والثاني الماني وفيها شارع تابع قسم منه لسويسرة والقسم الاخر لالمانيا ولا يوجد حاجز بين الدولتين في هذا الشارع ومع ذلك ترى الالمان لا يتخطون حدودهم و ترى السويسريين يجارونهم في ذلك فلا يتخطون حدود بلادهم ويلتزمون النظام واوامر القانون .

فلا من يقطع الحدود هاربا من هذا الطريق وحتى لا من يراقب ذلك احيانا فاقامل بهؤلاء البشر بل بهؤلاء الملائكة ثم قارن بينهم وبينتنا ، بين حدودهم ، وحدودنا المراقية السورية او السورية التركية والى آخره . .

وسويسرة دولة انسانية تحترم القوانين الدولية ايضا وهي محايدة ولم تشارك في حرب ١٩١٤ ولا في حرب ١٩٣٩ وهي مركز الصليب الاحمر الدولي وقد كانت مركز جمعية الامم سابقا ولا تزال مركزا لما تبقى من دوائر جمعية الامم .

« اقول جمعية الامم لامنظمة الامم المتحدة ، فلجمعية الامم حتى اليوم بفضل الوظائف والدوائر العالمية العملية المتمركزة في سويسرة ايضا فهذه الجمعية لم تصبح كلها ملفية كما يظن البعض بل ان لها حتى اليوم دوائر لاتزال تعمل الى جانب منظمات هيئة الامم المتحدة »

ونلاحظ ان سكان النورفيج « ١ » والدانمارك « ٢ » يأتون بالدرجة

« ١ » لمحة عن النورفيج وعن تاريخ دولة النورفيج :

النورفيج دولة من دول اوروبا الشمالية تؤلف النصف الغربي من شبه جزيرة سكنديناڤيا . وتؤلف اليوم مملكة مستقلة مساحتها « ٣٢٣٠٠٠ » كم^٢ وسكانها « ٣ » مليون نسمة وعاصمتها اوسلو « قديما كريستيانيا » وقد بقيت بالماضي متحدة مع السويد منذ عام ١٨١٤ الى عام ١٩٠٥ . احتلها الالمان عام ١٩٤٠ ولكن الحلفاء حرروها عام ١٩٤٥ وقد كانت النورفيج احد المسارح لاعمال الحرب العالمية الثانية « ١٩٤٠ - ١٩٤٥ » .. (اقرأ في الصفحات التالية الملحوظة الخاصة بللمحة عن سكنديناڤيا وعن تاريخ دول اسكنديناڤيا)

« ٢ » لمحة عن الدانمارك وتاريخ دولة الدانمارك :

الدانمارك دولة من دول اوروبا الشمالية تقع شمالي المانيا وتتألف من شبه جزيرة وعدة جزر ومساحتها « ٤٢٩٢٧ » كم^٢ وسكانها « ٤ - ٥ » مليون نسمة ان مملكة الدانمارك ذات نظام ملكي دستوري والدانماركيون معروفون تاريخيا في اوروبا بوظيفةتهم في الغزوات النورماندية ، ولقد الف الدانماركيون في القرن الماشر مملكتهم واخضعوا لسلطانهم بلاد النورفيج وقسمها من بلاد الانكليز .

وقد جمعت اتفاقية مدينة كالمار « ١٣٩٧ - ١٥٢١ » جمعت الدول السكنديناڤية الثلاث تحت سلطان واحد ولكن السويد افلتت من هذا الاتحاد واستقلت على يد محررها البطل كوستاف فازا عام ١٥٢٣ ، ولا اعتنقت الدانمارك

الثالثة بعد السويد وسويسرة ويطلق علماء الجغرافيا والتاريخ على دول السويد

البروتستنتية اللوثرية في بدء القرن السادس عشر اشتركت في حرب الثلاثين سنة ثم ادعت الحياذ عام (١٨٠٧) اثناء نزاع الحصار القاري واكن الانكليز تأثروا لنفسهم بضرب العاصمة الدانمركية «كوبن هاك» بالمدافع وقد اعطت الدانمرك بلاد النرويج الى دولة السويد وذلك بعد سقوط نابليون الاول وبموجب اتفاقية مدينة (كال) عام ١٨١٤

وتنازعت الدانمرك مع ملك روسيا عام ١٨٤٨ من اجل قضية الدوقيتين «سليزويك وهولستن» التي كانتا في حوزة ملك الدانمرك ثم انمقدت اتفاقية مدينة لندن عام ١٨٥٢ وهي اتفاقية لصالح الدانمرك لا لصالح روسيا والنمسا ولكن الرجل الحديدى بسمارك انتهك حرمة هذه المعاهدة عام ١٨٦٤ وانقض مع النمسا على الدوقيات «هولستن» «سليزويك» «لاونبورغ» وانزعها من الدانمرك واقتسمها بالاتفاق مع النمسا بول الامر ويذكر المؤرخون ان الدانمركيين اظهروا شجاعة لامثيل لها امام الجبار البروسى . وقد بقي اثر من النار تحت الرماد ولما انتهت الحرب الكونية الاولى عام ١٩١٨ ابطلت الحلفاء واكن جزئيا نقالج نزاع روسيا والدانمرك الذي جري عام ١٨٦٤ ولقد اشغل الالمان الدانمرك في الحرب العالمية الثانية طيلة اعوام «١٩٤٠-١٩٤٥» ولكن الحلفاء حرروها خلال عام ١٩٤٥

والترويج والدائمك اسم دول سكاندينايا ١٤١٠ ودول شبه جزيرة سكاندينايا (١)

(١) لحة عن شبه جزيرة اسكاندينايا وعن التاريخ المشترك لدول اسكاندينايا
الثلاث اي السويد والنرويج والدانمرك .

ان شبه جزيرة اسكاندينايا واقعة في شمال اوروبه لا تحتوي الا على ملكتي السويد
والترويج ولكن الباحثين يلحقون بلاد الدانمرك بشبه الجزيرة المذكورة نظرا لكون
سكان هذه الممالك الثلاث من اصل واحد وبالحقيقة ان تاريخ هذه الدول الثلاث مشترك
تقريبا فيما بينها حتى ان كلمة سكاندينايا تقيد باللفات الاجنبية (شبه الجزيرة
والدول الثلاث المذكورة) وقد اتحدت قديما هذه الدول الثلاث تحت سلطان
واحد بموجب اتفاقية كالمار عام ١٣٩٧ « وقد ذكرنا ذلك »

والعصر التاريخي لشبه جزيرة سكاندينايا اي (العصر الذي يملك التاريخ
له معلومات كافية عنه) يبدأ في عهد الحملات النورماندية على اوروبه هذه الحملات التي
القت الرعب في نفوس السلبة باوروبه .

وقد جاء الى السويد عن طريق روسيا جماعة روسيا الشمالية الغربية
الذين يتسمون بالفنلنديين نسبة الى فنلندة (بصورة خاصة وجاهها ايضا عن نفس
الطريق جماعة لابونيا ويتسمون بالابونيين نسبة الى لابونيا وهي بلاد واقعة شمال
شبه جزيرة اسكاندينايا ، اما جماعة (السفيرس) (ونلاحظ ان
كلمة سويد آتية بالتحريف من كلمة سفيرس) فقد جاءوا السويد من بلاد
الدانمرك .

وقد دخلت الكاثوليكية بلاد النورفيج على عهد اولوف الاول الذي تولى
الحكم من ٩٩٥ الى ١٠٠٠)

اما الالمان فهم شعب نظامي يحترم القانون ويمكن اعتبار النفس الالمانية اول نفس

تابع الحاشية : وانقل عام ١٣١٩ التاج النرويجي الى -الة الفولكوننج (١٢٥١ - ١٣٦٥) التي كانت تحكم السويد وفي عام ١٣٩٧ حدثت اتفاقية كالمار التي قررت كما قلنا اتحاد دول السكندينايا الثلاث اي السويد ، النرويج ؛ الدانمارك وبه د تفسخ الاتحاد المذكور اصبحت النرويج مقاطعة دانمركية بسيطة ولكن احتفظت بمجلسها الذي يسمى مجلس الديت وبلقب مملكة النرويج ؛ ومنذ ذلك الحين اندمج تاريخ النرويج بتاريخ الدانمرك حتى عام ١٨١٤ وهو العام الذي انضمت به النرويج الى السويد ، ودام انضمامها الى السويد حتى عام ١٩٠٥ وقد ولدت الكاثوليكية في بلاد السويد كراهيات ، وان احد رجال الدين الكاثوليكي المدعو (الارشوفيك دو أوبسال) كان يجبي ضرائب فادحة من الشعب وكان ملك الدانمرك كريستيان الثاني رجلا ظالما ارهابيا فادى ذلك الى استياء عمومي ، وسبب قيام كوستاف فازا (كما ذكرنا) الذي حرر بلاد النرويج من نير الدانمركيين واعتنق مع قومه اللوتيرية واسس بالنرويج ملكية مطلقة وراثية عام ١٥٢٣ ؛ وفي عهد كوستاف ادولف ملك السويد الذي حكم من (١٦١١ - الى ١٦٣٢) حظت السويد بمقام مرموق بين الدول المهمة في اوروبا وقد ازدادت عظمة السويد في عهد مليكها شارل ١٢ مزاحم بطرس الاكبر قيصر روسيا ولكن معركة مدينة (كولتافا) في اوكراينا التي وقعت بين بطرس الاكبر وشارل ١٢ ، انتهت عصر العظمة في تاريخ السويد وذلك عام ١٧٠٩ ، فلقد انكسر في هذه المعركة ملك السويد شر كسرة وقد تبع سقوط شارل ١٢ رد فعل داخلي ضد السلطة المطلقة وانتخاب دستور عام ١٧١٩ ولكن ملك السويد كوستاف الثالث وعدو الثورة الاكبر الغني هذا الدستور عام ١٧٧٢ ولما مات الملك شارل ١٣ بدون وريث عرض

نظامية في العالم . ولم يصل الافرنسيون في حياتهم النظامية والقانونية الى الحد الذي وصلته النفس الالمانية ولكن احترامهم للقانون شديد وهم في هذا المضمار لا يفرقون بين الغني والفقير والكبير والصغير والامير والحقير ، فلقد كان فرديناند دوليسبس مهندساً عظيماً وسيامسيا دبلوماسياً افرنسياً قديراً وهو الذي صمم مشروع ترعة السويس بل انه هو الذي اكتشفه وفكر به وهو ايضا الذي قام به وكذلك قام بمشروع قناة بناما ، لقد شبك هذا العبقرى العالم ببعضه البعض بهاتين الترعتين وبذل من وجه التاريخ وخدم الانسانية والملاحة البحرية خدمة كبرى فقد كانت السفن الذاهبة الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح الطريق البعيد المكلف قبل افتتاح ترعة السويس لاتصل احياً نالمالمة بل تعظم على الطريق والى آخره .. والى آخره .. ولكن كل ذلك لم يصنه من سطوة القانون فلقد آتهمه الافرنسيون باختلاس اموال الدولة اثناء القيام بمشروع قناة بناما فحوكم محكمة تاريخية مشهورة دلت على احترام الشعب الفرنسي للقانون وقد سمعت ايضا بمحاكمة اختلاس استافسكي لاموال الدولة في الربع الثاني من القرن العشرين اي منذ عدة سنوات

تابع الحاشية

السويديون العرش على المارشال برنادوت امير « بونت كورفو » « بونت كورفو » مدينة ايطالية وقد نال برنادوت من نابوليون الاول لقب امير بونت كورفو وان العائلة المالكة في السويد تسمى لهذا السبب بسالة بونت كورفو ، فقبل الامير المذكور العرش وصعده عام ١٨١٨ باسم شارل حنا الرابع عشر وقد حصلت السويد بعد سقوط نابوليون الاول وبمساعدة روسيا وبموجب معاهدة « كال » عام ١٨١٤ على بلاد الترفج التي فصلت عن الدانمرك حليفة نابوليون الاول ومما يجدر ذكره ان مجلس الديت الترفجي صوت بالاجماع للاتحاد مع السويد .

وكيف فر هذا الرجل من فرنسا وكيف لاحقته الحكومة الافرنسية والصحف واستعانت بالتفتيش عليه بالبوليس العالمي وكيف اخيراً قبضت عليه وحاصمته محاكمة قانونية لا هوادة بها ولا شفقة. ليس الشعب الفرنسي ملائكة هبعت من السماء بل انه كسائر الشعوب المتوسعة بالرقى فافراده يرتكبون الجرائم ويسرقون و .. و .. ولكن القانون يلاحق الجميع ، فالجنرال دو كول لم يتورع عن افساح المجال لمحاكمة شخصية افرنسية بارزة هي شخصية استاذة في المعهد الحربي ؛ واستاذة بالجبهة هي شخصية بطول الدفاع عن فيردان التي اتقنت سمعة فرنسا عام ١٩١٦ بالحرب الكبرى واخيراً هي شخصية قريب له اي شخصية الجنرال بيتان الرجل المسن الذي قضى عمره في خدمة فرنسا ولقد حكمت المحكمة على بيتان بالخيانة وبالاعدام ثم ابدلت حكم الاعدام بالمؤبد ومات بيتان وهو بالسجن

ان القانون بفرنسا يلاحق الجميع ويحاكم ويعاقب كل شخص على ما اقترف. ليس العيب ان يوجد في الدول مجرمون ولصوص ومحتلسون ومخالفون و .. و .. فهذا امر عام اليوم عند جميع الشعوب تقريباً. ولكن العيب كل العيب في التسامح مع هؤلاء المخالفين الذين لا يزدادون عندما نسامحهم الاتحادي واستمرارا بالاجرام .

والعيب ايضا في عدم الاهتمام بالتفتيش عنهم او تبريرهم قضائياً بأساليب غير شرعية او غير اخلاقية . واذا كان اليوم مستحيلاً منع الجرائم والمخالفات و .. و .. فانه ليس مستحيلاً محاكمة الجناة والمخالفين و .. و .. وفق ما يقتضيه القانون والا فان بذور الفوضى سوف تنبت بل قد نبتت و ربت زيادة على ما في بلادنا

من اصول فوضوية قديمة . قف ايها العربي وتأمل . انك لا تريد ان نمود الى عهد الظلمات الى الفمي سنة للوراء حيث سود القوي وحيث لا اثر للدولة الحقوقية بتاتا .

ان ما يحدث في ارقى البلاد العربية اي في لبنان وسوريا يحذ من فؤادنا فكيف بسائر الاقطار الشقيقة التي هي دوننا بالرقى . فاذا جئت معي في ذهرك للبنان وسوريا ودققت فيما يجري بها رأيت انه لا سيادة للقانون والنظام في كل من هذين البلدين .

لقد اهتم الباحثون كثيرا في قيمة القانون حتى ان جان جاك روسو يدعى (مبالغا) في كتابه (العقد الاجتماعي) ان الانسان بالاصل لم يكن انسانا اجتماعيا بل كان يعيش كالكثير الحيوانات لوحده ولكن ضعفه ومصالحته وخوفه من التعديات الجاه الى تأليف الحياة الاجتماعية وانت الحياة الاجتماعية هي اتفاق بين الافراد على احترام القوانين والانظمة التي يضعها الافراد لمصاحبة مجموعهم . كما ان (مونتسكيو) يطلي لمفهوم الحرية في كتابه (روح القوانين) انها تشأ من احترام القانون . فالانسان لا يشعر حينما يرى المخاكيات : تودي بالرؤوس وتؤدي للسجون ولا يحس عندما يري سيادة القانون والقضاء وبراكمها اقول لا يحس بالخوف او بخنق الحريات بل بالعكس الحرية والاطمئنان والامن والامان والسلامة لانه يشعر بحماية القانون له ولحقوقه فيمارسها مطمئنا .

ولا بد لنا من التلميح عن الروح القانونية التي تحلى بها الدكتور ادوار بنيش رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا فقد كان هذا الرجل عدوا للشبوعية ولكن عدائته لها لم تسمح له باستغلال منصبه لمحاربة الشبوعية ولما اشتد التيار الشبوعي في تشيكوسلوفاكيا واصبح اكثر اعضاء المجلس النيابي شيوعيين وضمو مشروع تشييع البلاد هبت دول العالم الديمقراطية تعرض

المساعدات على بنيش من جميع الانواع المالية والحربية والاقتصادية لسحق الشيوعية . ولكنه لم يقبل هذه المساعدات بل اكنفى بمحاولة اقناع العالم التشيكوسلوفاكي بمبادئه . ولما لم يكن من فائدة من جميع محاولاته وقع قانون تشييع البلاد واستقال وخطب خطابا تاريخيا صفق له جميع سكان تشيكوسلوفاكيا وقد قال فيه بما معناه :

« الديمقراطية هي ارادة الاكثرية واذا كانت الامة بمدكل محالاتي لاترضى الا بما اعتقده خطأ فالتني سوف اوافق على ما تريده لان رئيس البلاد هو خادم البلاد وحق ولو انها لا ترضى بمدكل محالاتي الا بمباداة الاصنام فالتني اكون مضطرا للموافقة على رغبتها عندما اعجز عن اقناعها »

وقد تمسك بهذا الرجل جميع احزاب تشيكوسلوفاكيا وطلب منه الشيوعيون بمد تشييع تشيكوسلوفاكيا ان يبقى اذا اراد على منصة الرئاسة ولكنه لم يقبل وقال : ان مباديء الديمقراطية لا تسمح لي بتسلم زمام البلاد التي اصبح نظامها شيوعيا .

اما الجنرال دوكول عدونا في عهد الانتداب ، فاننا لا نسعنا الا ان نذكر مدى احترامه للقانون في بلاده ، يستعد الجنرال دوكول ان الشيوعيين خونة ويجب محاكمتهم ، ولكنه لم يستغل مركزه لمحاربتهم وطلب من المجلس النيابي الافرنسي عدة مرات وضع قانون لتجريمهم حتى يتمكن من ملاحقتهم ولكن المجلس الافرنسي لم يوافق على رغبته وقد جرت انتخابات تأسيسية في عهده فكانت هذه الانتخابات انتخابات قانونية زهية بريئة مئة بالمئة .

ولما كان دوكول عدوا شريفا لاشيوعية فلقد انتخبه المجلس التأسيسي الفرنسي بالاجماع (ما عدا صوتا واحدا) ولم يستنكف النواب الشيوعيون عن انتخابه بل انتخبوه ايضا بالاجماع ، انه عدوهم ولكن احترامه للقانون وشخصيته

الاخلاقية فرضت احترامها على اعدائه الشيوعيين .

ولقد اعتقد دوكول بمن تعاونوا مع الريح الثالث بانهم خونة فاتهم الجنرال بيتان (قريبه واستاذ) بالخيانة ، وانتهى الامر ببيتان الى السجن المؤبد .

الافرنسيون امة نحترم القانون في بلادها احتراماً مثالياً ونرجو من العالم العربي ان يتجه بشعبه وزعمائه هذا الاتجاه فلعلنا نتقدم بخطى سريعة في سلم الرقي اذا احترمنا القانون .

ومما يجدر ذكره عن دوكول انه خرج من الحكم بعدما استقال ثلاث مرات ولكنه خرج ولم يهرب ولكنه خرج لا يملك غرشا ولكنه خرج اشد فقرا من الوقت الذي دخل به الحكم ، فذهب الى بيت اخ له وسكنه مع عائلته .

العالم العربي بحاجة الى مثل هؤلاء الرجال ولقد غص تاريخ العرب بعثهم وباحسن منهم فكان عمر قانونيا حق اذك ترى في بعض متاحف اوروبة صوراً له كتب تحتها رب العدل . والى احره . . والى احره . .

فهل لنا ان نحترم القانون افراداً وامة ودولة ؟ ان اكثر الهزات الاجتماعية التي حدثت في العالم العربي تعود الى اختراق حرمة القانون او انتهاك كرامة الدستور ، فتنبه ايها العالم العربي وانكر دائماً واضعاً نصب عينيك هذه الجملة :
لا امة بدون قانون .

ولا بد لنا من التامسح عن اعمال الثورة الفرنسية ورجالها فلقـد حوكم الملك محاكمة ثورية دامت عشرات الايام وما يلفت النظر في هذه المحاكمة ان اعداء الملك كانوا في بدايتها اكثر ولكنهم ما زالوا يتناقصون ويزداد عدد الماطفين عليه حتى اصبح هناك تعداداً تقريباً بالاغوات — بين من يريدون ان يعدموه ومن لا يريدون ذلك ، ولكن صوت مجلس الثورة على اعدامه ونفذ به الحكم ولما كانت

نفسية الشعب بل نفسية أكثر الشعوب حتى اليوم : اقرأ روح الثورات (كوستاف لوبون) متقاربة وكذلك نفوس زعماء الشعب أثناء الثورة غالباً ، فلقد اضطرت الثورة الفرنسية الى اجراء محاكمات كثيرة ادانت بها رجال الثورة فتري اليوم قائداً من قواد الثورة يحاكم وينفذ حكم الاعدام بقائد اخر ، وبعد عدة ايام ترى القائد الذي حاكم غيره يقاد الى المحاكمة ويدان وتحكم عليه المحكمة بالاعدام وتنفذ به الحكم .

« فكان الثورة حين تشتعل تأتي على من اليها ايضاً كما يقول مونتسكين ، وكان من يأخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ كما يقوله السيد المسيح ولكن ذلك كان يعني في نظر الحركة الثورية تطبيق القانون فالثورة الفرنسية ثورة شرعية (وسنبحث بها بعد قليل) ومحكماتها اذن محكمة شرعية وكل من لا يحترم غاية الثورة او يستثمرها لصالحه يجب ان يحاكم ويجب ان ينفذ فيه الحكم . وهذا ما كان يحدث احياناً (اقول احياناً لا دوماً) في عصر الثورة الفرنسية . وهل من جملة افصح في البيان عن قيمة العقاب من الآية التالية :

« والكم في القصاص حياة »
« القرآن »

وبالحقيقة فلقد عاش الشعب الفرنسي « ولو ان الهزات الاجتماعية سمحت بموودة الحكم الفردي مقدار قرن تقريباً بعد عصر الثورة » اقول لقد عاش الشعب الفرنسي وتعلم روح الخضوع للقانون والمحاكم الفرنسية اليوم والقضاء الفرنسي والدوائر الرسمية وكل ما يعت بصفة رسمية للدولة الفرنسية يسير كالساعة المنظمة .

ايها المواطن العربي

لقد اسهبت في ذكر الامثلة على احترام القانون وما ذلك الا لانتني اريدك مواطناً صالحاً فاغرس في نفسك ونفس الآخرين الروح القانونية حتى تتمكن

من تأليف دولة حقوقية بالعالم
ان لنا امكانيات كبيرة لتشكيل دولة مترامية الاطراف لها مركزها
في العالم واني اريد ان نخدم الانسانية كما هو معروف عنا نحن سكان الشرق
الادنى حيث هبط الوحي وحيث علمنا دروس الانسانية والرحمة والمحبة الى
جميع اقطار العالم الغربي . لننتقل الان الى
القسم السابع وهو :

امثلة من جيوش العالم على اهمرام النظام

ملحوظة : قبل البحث في نظامية الجيوش اريد ان الفت النظر الى ان
مؤلف هذا الكتاب هو رجل يدين بالانسانية ولا ينظر للقومية الا كواقع
اجتماعي فقط ومؤلف هذا الكتاب يدين ايضا بالعالمية ولا ينظر للوطنية الا
كشعور للفرد وعطف وحنو ناتج من تفاعل الفرد مع الارض التي يعيش عليها
ويرشف ماءها ، ويستنشق هواءها .
ولكننا اذا كنا كذلك فلماذا اذن نقول بتنظيم الجيش وبالجيش ، اذا كنا

انسانين عالمين ؟.

الجواب على هذا السؤال هو اننا نخشى ان لا يكون غيرنا من دول العالم
انسانين ويسعون لاغتصاب ربوعنا ولذلك يجب ان نوقف بقوة السلاح والجيش
المنظم اذا اقتضى الامر كل اعتداء خارجي اما اذا نادى السدول بصدق الى
الانسانية والعالمية فقد نادى المسيحية به من قبل ، وقد نادى به الاسلام واننا
عندئذ انسانيون عالميون نتنازل عن الايمان بلزوم الجيش ان تنازلوا هم انفسهم عن
ايمانهم بلزوم جيوشهم واننا نتنازل بقدر ما تنازلون هم انفسهم لا اكثر ولا اقل

ملحوظة : لم ترتب ذكر الجيوش ترتيباً لاحتساب الأكثر نظامية ولا حسب الأقل نظامية بل نذكرها وتكلم عنها دون ترتيب : فالجيش الذي سنده بالبداية لا يعني انه اول جيش نظامي في العالم والجيش الاخير لا يعني انه آخر جيش نظامي في العالم .

ملحوظة : تمر الحكومات احيانا بفترات صعبة وازمات خانقة فترات يطغى فيها عليها الخطر الداخلي وفترات يعلني فيها عليها الخطر الخارجي فيقف الجيش في هاتين الحالتين ان كان نظامياً يتلقى اوامرها وينفذها بحذافيرها مهما كانت هذه الحكومات ضعيفة

وسنعي بهذه الظاهرة للجيوش النظامية اثناء ذكرنا الامثلة الاتية من جيوش العالم على احترام النظام

الجيش الالماني : اشتد الخطر الخارجي على المانيا عام ١٩١٨، وعام ١٩٤٥ وفي المرتين بقي الجيش بطيع اوامر السلطة المدنية العليا « سلطة الملك غليوم عام ١٩١٨ وسلطة المستشار هتلر ، ووزرائه عام ١٩٤٥ - »

ونكتفي بشرح المرة الاخيرة فقط : اقد احتل الجيش الاوربي في حرب ١٩٤٥ - ١٩٤٥ ، كل اوربة المعادية له تقريباً ماعدا روسيا ، وشعر بقوته واخذته سكرة النصر فراح يتفنى بانتصاراته وعرقه واسله وما آن للحلفاء بمساعدة الولايات المتحدة غزو القارة الاوربية بدأ الوضع يتبدل واخذت ترجح كفة الحلفاء على كفة المحور

وبدأ الجيش الألماني ينكسر في أكثر المارك ولم يتمكن ان يقف حتى موفا
دفاعيا الا في بعض المناطق والى (حين فقط) وجعل هذا الجيش يتقلص الى ان
اصبح كله في برلين وضواحيها بعدما كانت منشورا ومحتلا في جميع انحاء اوروبا
تقريبا .

وضحت الحقيقة ، وزغت الشمس وتبين حتى للجندي الألماني بانه لا مفر
من الانكسار وحاصر الجيش الروسي برلين ووقف عن كسب منه ، الجيش
الاميركى والجيش الحليفة (وذلك بموجب اتفاقية حرية انمعدت قبل انتهاء
الحرب) ولكن الجيش الألماني بقي ثابتا خاضعا لاوامر السلطة العليا فكأنه آلة
لا روح له الا النظام والخضوع والطاعة واخيرا دخل الجيش الاحمر برلين ووقت
في برلين معركة لا عهد لتاريخها وفي هذه الفترة المصيبة كان الضباط الألمان
لا ينامون لا ليلا ولا نهارا الى ان جفت دماؤهم وهم على كراسي القيادة ووصل
بهم الامر الى ان بعضهم باتوا لا يقدرّون على الكلام فصاروا يعطون الاوامر بالكتابة
والاشارات .

واخيرا تحطم الجيش الألماني وانتهى امره ولكن الحياة النظامية بقيت فيه مئة
بالمئة والعالم اليوم بأسره حتى الحلفاء وقادتهم يكبرون بهذا الجيش الروح النظامية
التي يتحلى بها .

وقد فتش الحلفاء عن هتلر (وطبعاً لا ليقتلوه) ولكنهم لم يروه ، واكبر
الظن انه مات بالمعركة .

ونلاحظ انه لم يمر بتاريخ الجيش الألماني ولا قبلا بتاريخ الجيش البروسي
فترة اخترق بها الجيش حرمة النظام بتاتا . فالجيش الألماني من حيث النظام
انسان بلا عقل وعقله السلطة العليا بالبلاد انه آلة يقودها الرئيس الاعلى .
لقد عزلت القيادة العليا كثيرا من الضباط الكبار اثناء الحرب الاخيرة

ولكن المنزل لم يؤد بأحد منهم لاحداث انقلاب
والحدير بالذكور ان زعماء الحزب النازي وهتلر، ورجال الدولة كلهم مدنيون
ومن الشعب ومع ذلك لم يحدث في المانيا انقلاب على هتلر واعوانه بل بقي واعوانه
في السلطة العليا حتى قواروا من هذا العالم « بذبح الخافاء ان محاولات لاغتيال
هتلر من قبل متآمرين انا من الجيش والحكومة قد حدثت ولكن دون جدوى،
قد يكون الحزب النازي مخططا وقد يكون هتلر مجرما ، ولكن موضوعي ليس
هنا وانما في الروح النظامية التي يتحلى بها الجيش الالماني .
الجيش القيصري الروسي :

بعدما انكسرت روسيا في الشرق الاقصى واحس الناس بالاستبداد تمرت
جميع الطبقات الاجتماعية في روسيا واعتصب حتى موظفوا الخطوط الحديدية
والبريد والبرق وانقطعت وسائل النقل والمراسلة بين اجزاء تلك الامبراطورية
العظيمة ؛ فاشرفت الحكومة الروسية على الهلاك ولكن الجيش القيصري بقي
بجانبها رغم ضعفها وانزاعها خارجيا وامقلبها اياها الاجزاء بسيط من الجيش والاسطول
وكذلك ايضا هبت الثورة الروسية عام ١٩١٧ وجعلت تنحت في مؤخرة
الجيش الروسي بينما كان الجيش الالماني يحاربه من الامام فتفكك هذا الجيش
الروسي في الجبهة الالمانية ورجع افراد كثيرون منه الى القرى والمدن محرقون
وينهبون ويعيشون في الارض فسادا ولعل اكثرهم كان حاقدا على المدنيين الذين
باروا على الحكومة في ذاك الوقت العصيب حيث كانت روسيا بحالة حرب وحيث
كانت المانيا تهدد سلامة روسيا . وهكذا ادت هذه الثورة الى ضعف الحكومة
القيصرية فسقطت وذهب عرش آل رومانوف وحل محله في بادئ الامر حكومة
(كرنسكي) الاشتراكية ثم اكتسحت البوشفوية سريريا هذه الحكومة
الموقوتة بزعامة (نيكولا لينين) الذي لم يقبل بكرنسكي وحكومة ولاعبادته وحطمه

شر تحطيم .

نعم لقد تمكن الحزب البولشفي في هذه الثورة من استمالة بحارة الاسطول الذين فتكوا بمعظم ضباطهم وانضم الى الحزب ايضا افراد من الجيش ولكن اكثر الضباط واكثر افراد الجيش الروسي بقوا في جانب الحكومة تقريبا الى النهاية .
لقد كان الجيش الروسي القيصري على العموم جيشا نظاميا بطييع الاوامر والنظام رغم ضعف سلطان القيصر الاخير وحكومته (ولم يتم بانقلاب ضده رغم ضعفه وهذا ما يزيد ان نقوله قبل كل شيء) .

الجيش السوفيتي في عهد لينين :

اسس لينين الدولة الشيوعية فقامت في وجهه جميع الدول الاوروبية على الاطلاق وحاولت تأليف جيش اوروبي لتحطيم الشيوعية ، وجعلوا يدسون بين صفوف لينين لاحداث انقلاب عليه وللتخلص من النظام الماركسي ولكن الجيش الروسي السوفيتي بقي بجانب الحكومة بطييع اوامرها ولم يفكر في احداث انقلاب ضد لينين واعوانه .

الجيش السوفيتي في عهد ستالين :

تنازع ستالين مع تروتسكي فادى النزاع الى نفي تروتسكي الى المكسيك (وقتله اخيرا فيها) لقد قام ستالين بعمليات تطهيرية في روسيا انتشيت الحكم وتوطيده ولكن الجيش الروسي السوفيتي لم يتدخل في ذلك مطلقا بل بقي آلة بيد السلطة العليا بدون عقل .

الجيش السوفيتي في عهد مالينكوف :

تكررت المأساة التنازعية ، اذ طمح بالحكم على الاقل شخص آخر غير مالينكوف جورج ، وهو ييريا فادى هذا النزاع الى اتهام الاخير بالخيانة الوطنية فحرقه واعدم ولكن الجيش لم يتدخل بالامر ولم يفكر في احداث انقلاب

والجدير بالذكر انه منذ تأسيس الدولة الشيوعية الروسية حتى اليوم نرى الحزب الشيوعي هو المسيطر في روسيا كما هو الحال في الدولة الهنغارية حيث كان مسيطرا الحزب النازي :

والحزبان ، النازي في المانيا وحكومة المانيا ، والشيوعي في روسيا وحكومة روسيا ، هما حزبان مدنيان مع انهما يقودان الحكومة والجيش وكل شيء ولكن اني ايتسنى لهما ذلك لو لم تكن هناك في نفوس الروس والامان اسس نفسية عميقة لاحترام النظام وطاعة السلطة العليا .

والتاريخ القريب لا يعرف لروسيا عهدا حدث به انقلاب عسكري وانما بالمعكس يبقى مسطورا بالذهب ذاك الموقف العظيم الذي وقفه الجيش الروسي السوفيتي والشعب الروسي في وجه الجيش النازي على ابواب موسكو حيث صمد الاسدان وكلاهما نظاميان حيث صمدا وصمدا الى ان تلقى الاسد الالمانى الاوامر بالانسحاب

الجيش الفرنسي في عهد الثورة الفرنسية

هبت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وبدأت المعارك في باريس وخارجها بين الملك وبين الشعب الفرنسي الا ان الجيش بقي بجانب الملك ولم ينسحب منه شيء يذكر في بادئ الامر ولكن لما عمت الثورة امتنع الجنود عن الدفاع عن الملك اذ تناهوا « ماعدا البعض » ، وتركوا الملك فريسة للثأرين (اذ لم يقل للشعب الثائر) انما نالفت النظر الى ان هذا الجيش الفرنسي الملكى في عهد لويس السادس عشر لم يفكر في احداث انقلاب على الملك ، وزعماء الثورة هم الذين قادوها لا الجيش ، اذن ليس هناك انقلاب عسكري في عهد ثورة ١٧٨٩ الفرنسية (وهذا ما يزيد ان نقوله)

وعلى العموم ، لقد لعب في وراثة العرش الفرنسي العرف والتقاليد والقوانين

الاجتماعية الخاصة في وراثة العرش ولم تلعب به على العموم الانقلابات ، نعم لقد
تقاتل في فرنسا وفي دول أوروبا ايضا سلاسل حاكمة واسر قوية و كانت على
العموم تبدل اما بموجب الاصول المتبعة في وراثة العروش واما بشورة شعبية اما
الجيش والجيوش الاوروبية فلم اعرف انها كانت ذوات شأن دائم في تبديل ملوك
الدول الاوروبية الا بالماضي البعيد في عهد الفرنكيين مثلا « وعهد نابليون
لاول والثالث بصورة استثنائية »

عهد نابليون الاول

يمكن ان نعتبر الهزات الثورية الافرنسية التي اعلنت الجمهورية الاولى عام
١٧٩٢ والتي سبقت نابليون سببا من الاسباب التي مهدت لهذا الرجل العسكري
من الوصول للحكم المطلق تقريبا ولو بصورة تدريجية عن طريق قلب حكومة الادارة
اولا ثم تحويل حكومة القنصلية والانهاء بذلك الى الحكم المطلق عام ١٨٠٤ فلقد
مل الشعب الفرنسي من الاعمال الثورية وعدم الاستقرار وراح يبحث عن
السكينة فانشدها في شخص قوي مثل نابليون .

لقد كثر البحث بنابليون بونابرت وانقسم المؤرخون (على العموم) الى
قسمين كبيرين قسم يمجده بدون روية وقسم ينتقده بدون روية ولا حدا وسطا
بينهما (لدى أكثر المؤرخين) .

وفي عهد نابليون كان للجيش مواقف غير نظامية منها انه بعد ما نفي الى
جزيرة الباجدث مؤامرة عسكرية لارجاءه ولما عاد خفية افرنسا عن طريق
طريق خليج جوان ارسل الملك لويس الثامن عشر جيشه للقبض عليه ولكن
الجيش لم يتمالك شعوره وجبه لقائده الاسبق نابليون فانقلب على لويس الثامن
عشر وجاء بجانب نابليون .

عهد نابليون الثالث

وتكررت المأساة اذ ان نتائج ثورة عام ١٨٤٨ قضت ايضا باعلان الجمهورية الثانية عام ١٨٤٨ ولكنها لم تدم الا قليلا كالجمهورية الاولى فقد قام نابليون الثالث بعد ماضى ثلاثة اعوام على تسلمه رئاسة الجمهورية بانقلابه عام ١٨٥١ ثم القى الحكم الجمهوري واعلن نفسه امبراطورا عام ١٨٥٢ ويمكن القول ان تدخل نابليون الاول وطعمه بالامبراطورية اثر في ذاكرة الشعب الفرنسي فبقيت هذه الذاكرة تحمل في تلافيها مكانية التدخل العسكري حتى عهد نابليون الثالث الذي كرر مأساة نابليون الاول باحداث انقلابه المدني المستند على قوة الجيش فكان الحكم الجمهوري في فرنسا لم يوطد الا على مراحل وبمحاولات (وليس بمحاولة واحدة وهذا بخلاف ما حدث بالولايات المتحدة حيث لم يقع انقلاب عسكري ولا مدني منذ اعلان الجمهورية في ولاية ماساشوست عام ١٧٨٧ حق اليوم) ولكن نابليون الثالث شعر بضعفه امام الشعب منذ عام ١٨٦٠ تقريبا وبدأ بصورة تدريجية يطبق الحياة الشبه دستورية الى ان انتهى الامر اثناء حرب ١٨٧٠ (مع ألمانيا) وبعد انكسار فرنسا ، الى انتخاب مجلس اعان الجمهورية في الثالثة عام ١٨٧٠ ثم وضع دستوراً تم عام ١٨٧٥

ان التدخلات العسكرية في عهد نابليون الاول ونابليون الثالث قد اخرجت في تطور الحكم الجمهوري وتاصيل الروح الجمهورية في نفوس الافرنسيين طيلة ثمانين سنة تقريبا كما انها ادت الى ايقاع الدولة الافرنسية في كوارث خارجية سببها طموح نابليون بونابرت ومهما يكن من امر هذا الرجل فأقل ما يقال به انه اتى على خيرة شباب الدولة الافرنسية الذين قضوا نحبهم في الحروب وارهق الشعب بالضرائب فلقد طمح نابليون لاختضاع كل اوروبا وتحويلها لدولة

سياسية واحدة فتألب عليه العالم الاوروبي عدة مرات واخيرا حطمه فخرجت فرنسا خاسرة من الناحية الخارجية وخاسرة من الناحية الداخلية .

ان نابوليون عبقرية نتر كها له وكان عليه ان يبقى بالمشكة ويترك الحكم للمدنيين حتى يورث الشعب الفرنسي عبقرية الحربية فقط لا غير اما ان يورثها عبقرية الحرب وجنونه ايضا ومصائب الحكم العسكري فذلك ما لا تقبله لفرنسا الا ان الفرنسيين عرفوا بمد اعلان الجمهورية الثالثة عام ١٨٧٠ كيف يحافظون على الحكم المدني ومنذ ذلك الحين حتى ١٩٤٠ اى حتى انكسار فرنسا امام الجيش الالماني لم يحدث في فرنسا انقلاب عسكري ولا مدني واحد ولا بدأ الجنرال بيتان عام ١٩٤٠ منصة الحكم في عهد الاحتلال الالماني لفرنسا وتفاهم مع هتلر اعتبر انفرنسيون هذا العمل خيانة وطنية وحاكموا فيما بعد بيتان وحكموه بالاعدام ثم ابدلوا الحكم بالسجن المؤبد وقد شددوا هذه المرة على معاقبة المتعاونين مع حكم بيتان العسكري كما سيحيى ولم يعترفوا على شرعية حكمه ولو انهم اعلنوا الجمهورية الرابعة عام ١٩٤٤ وانتخبوا مجلسا تأسيسيا جديدا واعادوا انتخابه ووضعوا دستورا جديدا تم عام ١٩٤٦ وفرنسا اليوم من ارقى الدول الجمهورية في الدستورية وهي من اشد الدول احتراما للقانون لانها اخذت درسا تاريخيا من تدخل الجيش بالحكم في عهد نابوليون الاول ونابوليون الثالث كما ذكرنا .

الجيش الاسباني

كثير من الناس هم الذين يضربون مثلا بفرنكو على الحكم العسكري وموافقة الشعوب له .

ولكن هناك فارقا كبيرا بين ثورة فرنكو الشعبية وبين الانقلابات

العسكرية التي حدثت ببلادنا :

لقد بدأ الحكم الجمهوري مستتباً باسبانيا عام ١٩٣١ لاول (١) مرة ويظهر ان الشعب الاسباني لا يتقبل مثل هذا الحكم او انه حتى الان غير مستعد لممارسته ففي عام ١٩٣٦ شبت الثورة الوطنية بقيادة الجنرال فرنكو ضد الحكومة الجمهورية وكان للمحور تدخل بذلك وكان الجيش بجانب الحكومة لا بجانب الوطنيين، واخيراً وبعد حرب مدني دامت سنتين ونصف انتصر فرنكو والوطنيون عام ١٩٣٩ على الحكومة التي التجأت الى فرنسا فأدي ذلك الى استلام فرنكو الحكم الذي اصبح تقريباً دكتاتور اسبانيا فانت تري ان الشعب الاسباني قام في وجه الحكومة والشعب سلطة شرعية وهو تقريباً كل شيء في الدولة وقد نجح في ثورته ، اما الجيش الاسباني فقد كان نظامياً وقد بقي الى جانب الحكومة حتى تركت البلاد تقريباً ولم يقم باحداث انقلاب عليها وهذا ما سنبهان نقوله قبل كل شيء اخر اذن لا يمكن تمثيل انقلابنا العسكرية بالثورة الاسبانية الاهلية . التي هي ثورة شرعية لانها ثورة الشعب وثورة قوية لانها حطمت الحكومة والجيش تقريباً .

الجيش الاميركي :

لا توجد في الولايات المتحدة روح عسكرية بالمعنى الصحيح ؛ وقوة الاميركيين ليست في نظامهم العسكري بل في حضارتهم المادية . ولكن الاميركيين رغم كل ذلك قد الفوا جيشاً ضخماً في التاريخ تألفت

(١) اعلنت مرة الجمهورية عام ١٨٧٣ في اسبانيا ولكنها لم تنطبق بل ابطلت

عام ١٨٧٤ .

نواته الاولى بمساعدة الفرنسيين في بادي الامر من المواطنين الاميركيين الذين
ثاروا في وجه الاستعمار الانكليزي وحرروا منه بلادهم بالنصف الاخير من
القرن الثامن عشر ثم غا هذا الجيش بعد استقلال الولايات المتحدة وحارب الاميركيون
به عدة مرات وكان النصر حليفهم في كل مرة وجدير بالذكر ان تاريخ الولايات
المتحدة لا يعرف انقلابا عسكريا ولا مدنيا واحدا فيها .

الا ان الحالة الراهنة في العالم ليست طبيعية والامم تستعد اليوم الى حرب
ضروس ولذلك رأي اولي الامر في العالم الاميركي تسليم زمام الحكم الى رجل
عسكري حازم فرشح المذكورون الجنرال اينهاور لرئاسة الجمهورية فنجح
وهو اليوم رئيس اعظم دولة في العالم . ولكنه لم يتوصل للحكم بواسطة انقلاب
عسكري بل بالطريقة الشرعية وبارادة الامة .

الجيش اليوناني

اليونان دولة عربية بالمجد والحضارة ، ولها تاريخ مغمم بالابهة والعظمة وقد
لمبت دورا عظيما في البحر المتوسط بالماضي ، الا انها اليوم دولة صغيرة تحاول
النشؤ من جديد ونلاحظ انه عندما احدث بعض الضباط الاتراك من زعماء و
افراد جمعية الاتحاد والترقي في تركيا انقلابهم العسكري فكر الضباط اليونانيون
عن طريق العدوي ان يقلدوا الضباط الاتراك ويغيروا الحكومة اليونانية عن
طريق انقلاب عسكري ولكن الفكرة لم تتحقق لذلك لا مجال للبحث بها .

وقد هبت باليونان ثورة شديدة منذ عدة سنوات ودامت وتكررت وكانت
الحكومة اليونانية ولا تزال ضعيفة الى اليوم الا ان الجيش اليوناني بقي بجانبها
ولم ينقض عليها على الموم بل بقي بميدا عن الانقلابات يتحلى بالروح النظامية
حتى هذه اللحظة .

اما الجيش العثماني فقد كان نظاميا في عصر الفتوحات العثمانية ولما جاء عصر الانحطاط واخذت الدولة العثمانية تتقهقر ويتقلص ظلها ، رافق هذا العصر فوضى بالجيش العثماني ، وحدثت فيه انقلابات ومازالت تتكرر حتى زالت الدولة العثمانية ولم يبق لها اثر يذكر . فهل يرهد احد ان تكون جيوش بلاده على هذه الشاكلة ؟

واخيرا جاء انقلاب مصطفى كمال باشا ، فنامت دولة تركية جديدة على انقاض الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى ولا بهمننا من الدولة التركية الا الدولة العثمانية في عهد الانحطاط وخصوصا في آخر ايامها حيث كانت تحتضر وحيث رافق هذا الاحتضار انقلابات عسكرية .

الجيش الصيني في عهد الجنرال شان كاي شيك رئيس جمهورية الصين السابق
هبت الثورة الشيوعية منذ عدة سنوات في الصين ، وكانت ثورة عفيفة وقد اشترك بها قسم كبير من الشعب الصيني ولكن الجيش الصيني الرسمي وقف (على العموم) في جانب الحكومة رغم ضعفها حتى النهاية تقريبا . -
الجيش الإيراني :

يقوم الجيش الإيراني بالانقلابات العسكرية في هذه الايام من وقت لآخر ، كما هو الحال في الشرق الادنى .

وايران في حالة غير مستقرارية وتعاني الآن ازمة كبرى من جراء هذه الانقلابات وربما سيطيح ذلك بما تبقى لها من الحرية والاستقلال .
الجيش العراقي

الجيش العراقي جيش نظامي ولكن العراقي مرتبط مع الكتل بمعاهدات ولذلك فاننا

نعتبر هذا الجيش غير حر .

الجيش اللبناني

يمكننا ان نقول نسبيا ان الجيش اللبناني هو بالدرجة الاولى من حيث الروح النظامية بين جيوش العالم العربي . نعم انه جيش صغير ، ضئيل ، ولكنه لم يقم حتى الان بانقلاب عسكري من جهة وانما تدخل لحفظ الامن بالاونسة الاخيرة لما اضربت شوارع بيروت وطرابلس وبعض المدن الصغرى واقفلت مخازنها وطالبت باستقالة رئيس الجمهورية اللبنانية السيد بشارة الخوري الذي استقال والحالة هذه بينما كان الجيش يحفظ الامن حرصا على الامن وخوفا من اندلاع ثورة اهلية (وقد تكون هذه الحوادث التي سبقت استقالة بشارة الخوري مناورة لا كراهه على الاستقالة ؛ فالشعب اللبناني غير قادر وغير مستعد في هذه الايام على القيام بثورة وشروط الثورة غير متوفرة فيه ، ولكن كيفة ما كان الحال يمكن القول ان الجيش اللبناني لم يتدخل تدخلا ظاهرا بقانا .

ولقد اتزم الجيش الشكك بعد استقالة السيد بشارة الخوري من رئاسة الجمهورية فاثبت بذلك روحه النظامية واثبت انه لا يرمي الى تسير دفة الحكم لا بواسطة انقلاب ولا بدون انقلاب .

الجيش المصري

اما الجيش المصري فلقد اساء لسمعة مصر ولقد استغل سوء تصرف الملك فاروق واعوانه ووزرائه وحدث الانقلاب المعروف بانقلاب محمد نجيب وهو اليوم تارة يضع محمد نجيب خارج منصة الرئاسة ، وتارة يعيده وفي كل يوم يصدر مجلس الثورة قرارات جديدة وقراراته كيفة لا ترتكز على منطق ولا على قانون وان مجلس الثورة المصري بعيد عن الثورة بعد السماء عن الارض

فالثورة تعني شعبا مدنيا تأثرا على الظلم والاستبداد لاجيشا يتنكر لاعتبارات الامة ويحاكم المناضلين فيها في سبيل تحرير مصر ؟ اثورة لانتي جماعة من الضباط المسكرين المتآمرين على خنق الحريات العامة واستبدال الحكم الدستوري بحكم جمهوري بالاسم .

ان الحالة في مصر ان تدوم على ماهي عليه الان وقد بدأت بالفعل ناراثورة تستمر بالشعب المصري وانه بلا شك صاحب الحق في كل قضية تخص مصر وسوف يضطر الجيش لاحالة للرجوع الى اشكنة وترك الحكم لارادة الشعب المصري اتى هي فوق كل ارادة ، سوف يورد الجيش الى الشكنة شا ام ابي وان غدا لناظره قريب .

ولا بد لنا من التلميح الى ان جميع ضباط اثورة في مصر ، عافيههم محمد نجيب هم من المرتزة في هذا الجيش المصري ، لامن رجال السياسة ولا يدركون منها اكثر مما يدركه أي شخص بسيط ولو كانوا عقلاء في حركتهم التي رمت الى اخراج فاروق من مصر لساروا وراء الشعب الامامه ولكلموه من تحت ، لامن فوق ولفعلوا على الاقل مثله فعل الجيش اللبناني ، اذ انه كان بامكانهم على الاقل ان يسلوا من يسمى لتمهيج المواطنين للنظار والاضراب والطلب من فاروق ان يتنازل عن العرش للشعب ويفادر البلاد حتى اذا ما حدث ذلك تدخل الجيش المصري بحجة حفظ الامن وطلب ايضا وردد مطالب الشعب وهي ان يتنازل فاروق عن العرش ويفادر البلاد فاذا ما تنازل وغادر ، طلب الجيش من الشعب ان يتسلم بنفسه مقاليد الحكم لانه مصدر السلطات والسلطة العليا بالدولة

هذا ما كان يجب على الجيش المصري ان يفعله ويعود لشكنته ، اما ان يتسلم الحكم ويتهم الأبرياء والمناضلين ويلقي الرعب في نفوس الاهلين والزعماء وينشر الارهاب في جميع انحاء مصر ويخنق الحريات ... و ... ويسمي لصالحه

الخاصة دافنا تحتها مصالح مصر العامة فذلك مالا نقبله لمصر ومالا نقبله ان يصدر في اية حكومة من حكومات العالم العربي وما نحتاج عليه احتجاجا شديدا .
 تلك هي الحالة الراهنة في حيوش العالم العربي التي تتنازع مع الاحرار من رجال الحكم او مع الطبقة الحاكمة القديمة او مع الملك فتقوم باسقاطهم بصورة غير شرعية وتحمل محملهم وهي تمود بهذا كرتنا التاريخية الى عهد الانحطاط في الدولة العباسية حيث كان ضباط الجيش ، ورجال قصر الخليفة والميد ، والتملحان والخدمة والحشم ، يأمرؤن الخليفة ويجعلونه عبدا مطيعا حتى اذا مظهر منه مالا يمجيبهم ؛ او اغتموا منه رائحة ماء ، فقتلوا عينيه ، او قتلوه ؛ او عزلوه ؛ ونصبوا غيره وقد وصفهم شاعر عربي بهذين البيتين :

خليفة في قفص	بين	وصيف وبشا
يقول ما قال له	كما	تقول البشا

ومن البديهي ان لا يقبل الاحرار في العالم العربي بمثل هذا النفوذ العسكري وبديهي ان يصطدموا مع الجيش ولكن الغلبة لهم وحدهم .
 القسم الثامن وهو : بيان خطأ من يضربون الامثلة على صلاح الحكم العسكري وقد يضرب بعض الناس امثالا على صلاح الحكم العسكري بالمارشال فيتو ومصطفى كمال باشا ، والجنرال بيتان والجنرال دو كول والجنرال شيانج كاي تشيك ، ويضيفون الى هذه الاسماء خطأ « بورون » ويدعون بذلك قابلية الشعوب لهذا النوع من الحكم .

ولكن هذه الادعاءات واهية خاطئة للاسباب الآتية : اولا فانوروك :
 لنط الان لحظة عن المصير التركي الخاص بحياة المناضل كمال باشا ونسهب في هذه الكلمة قليلا لان تركيا دولة مجاورة لسوريا ونحشى ان تتسرب العدوي الى بلادنا خطأ . استعالت حكومة الاتحاد والترقي في ٧ تشرين الاول في عهد السلطان محمد السادس (وحيد الدين) وذلك عام ١٩١٨ م . ارشكت الدولة

سقطسوها الملحق التالي فالرجاء قراءته بعد السطر ١٣٠ من الصفحة (٥٨) تماما :
ملحق بالقسم السابع : المتضمن : امثلة من جيوش العالم على احترام النظام :
نختم حديثنا عن نظامية الجيوش بهذا الملحق المتضمن الملحوظات التالية :

١ - تبقى الجيوش نظامية ، عند هبوب الثورات بالحالات التالية :
أ - اذا بقيت بجانب الحكومة حتى النهاية .

ب - اذا انضمت او انضم قسم منها الى الحركة الثورية عندما تم .
« يجب ان تسبق ثورة الشعب عصيان الجيش » . ج - اذا وقفت الجيوش على الحياد .
اما اذا ثارت الجيوش لنفسها وسبقت ثورة الشعب فان عملها هذا هو عمل اجرامي وتكون بذلك قد خرجت عن الروح النظامية انقي يجب ان تتحلى بها .
٢ - يظاير ان اكثر الثورات التاريخية لم تتم الا بعد ماعمها فريق كبير

من الجيش او الجيش برمته او بعد وقوفه على الحياد على الاقل . فالثورة الفرنسية عندما عمت لم تلبث ان ابداها الجيش مع ان الثورة المسيحية مثلا دامت قرونا دون ان تتم لعدم تاييد الجيش لها ؛ الثورة بحاجة لقوة مادية حتى تنجح وان كان مساعدة الجيش ليست ضرورية وكذلك ان وقوفه على الحياد ليس ضروريا ايضا « بصورة مطلقة » فقد استطاعت بعض الثورات الانتصار على الحكومات وقلبها بدون مساعدة الجيوش بل ان بعض الثورات الشعبية تمكنت من سحق الحكومة والجيش معا وقد يحدث ذلك عندما يملك الشعب حضارة مادية عظيمة ، ويوجد فيه حزب قوى منظم او عندما تساعد دولة اجنبية الشعب بمدد بالموثوق والذخائر .
٣ - اذا قام الجيش وثار من تلقاء نفسه وحدث انقلابا فان الدولة على الغالب ستكون في خدمة الجيش والحكومة تحت نفوذه :

وقد حدث ذلك مرارا بالتاريخ وخصوصا في اواخر السدولة الرومانية حيث تفوقت طبقة الجند فكانت امبراطرة الرومان تحت امرة الجنود وصار هؤلاء يرفعونهم على العرش وينزلونهم حسبما يريدون ، وحدث ذلك في عهد

انحطاط الدولة العباسية، وفي عهد انحطاط الدولة العثمانية وإلى آخره .. وإلى آخره ..
وتتمكن على الغالب الحركات العسكرية من قلب الحكومة أو تغييرها بسهولة كما هو الحال في الجمهوريات الاميركية - الاسبانية وفي البرتغال - وفي تركية الاتحاد والترقي ولكن مثل هذه الثورات (على الاصح الانقلابات) لا تكون ذات نتائج عظيمة على الارجح الا اذا صدرت عن استياء عام وآمال كبيرة، وكان القائم عليها يحسن التدبير واهلا للاصلاح .

ولقد كانت حركة حسني الزعيم ملاءمة في سوريا اذا ان الشعب كان مستاء. وكان حسني بصورة الامال ولكن هذا الرجل لا يصلح لقيادة امة . وكما سيجي، كما ان هذه الحركات العسكرية تؤلف خطرا تاريخيا فلربما يمتد الجيش على القيام بمثلها في كل مناسبة . زد على ذلك كونها مبدئيا غير شرعية في اي نظام سياسي في انعام اليوم .

٤ - لما حدثت الثورات بالامم الحديثة : كفرنسا واسبانيا والنمسا واثالية وبلجيكا والبرتغال وبولونيا وتركيا « ثورة الاتحاد والترقي » واليابان وغيرها لم يعد الجيش يد المعونة للحكومات ولم يقم بوجه هذه الثورات الا نادرا والا قليلا وفي البداية فقط وبالعكس فالجيش هو الذي قام بالثورات في البرتغال و « تركيا الاتحاد والترقي » وفي الجمهوريات اللاتينية الاسبانية الاميركية ولكن هناك نقطة هامة جوهرية وهي ان الثورات بدأت على الغالب من غير ان يكون للجيش دخل بها فهكذا هبت ثورة عام ١٨٣٠ و ثورة عام ١٨٤٨ ثم ثورة عام ١٨٧٠ بفرنسا بينما بالعكس تحدث اليوم الانقلابات العسكرية في بلاد العرب دون ان يكون للشعب على الغالب دخل بها .

وتهب الثورات الحديثة بغزة وتوجب فجأة على الغالب انقلاب الحكومات كما هو الحال بالثورة البرازيلية ، والبرتغالية ، والتركية ، والصينية ، وكوستافا لوبون ، « انتمى المالحق » ، يمكنك الان ان تستأنف قراءتك بالكقاب فالرجاء العودة الى الصفحة ٥٨ » واستئناف القراءة فيما من السطر (١٤) حيث يبدأ القسم الثامن .

العثمانية ان تتحطم اذ ان هذه الحكومة التي اعلنت الحرب على الحلفاء حاولت حينها اتضح لها انها خسرت الحرب ان لمقد صلحا شريفا مهمهم عن طريق وبلسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة فلم تفلح فاستقالت وتركزت المكان الى فئة من رجالات تركيا الذين لم يشتركوا بالحرب

وبعد محاولات استطاعت الحكومة الجديدة ان توقع بتاريخ ٣٠/١٠/١٩١٨ على عقد هدنة لم يكن لها فيها الخيار مطلقا بل حررتها حكومة لندن وقد عرفت هذه الهدنة بـهدنة (موندروس) التي وضعت حدا للحرب العظمى فيها يخص تركيا وقد وقعها الطرفان على ظهر الدارعة البريطانية « اكا ممنون » التي رست في مرقا (موندروس) في (ليمنوس) وتألقت هذه المعاهدة من ٢٥ مادة وام ما فيها فصل المناطق الغير التركية وبعض المناطق التركية الصرفة مثل كليسيا عن جسم الدولة العثمانية وحرمان الامبراطورية من الاسطول والجيش وتحليم نقاط الدفاع الطبيعية كالضائق واتفاق طوروس الى الحلفاء واعطاء الحلفاء حق احتلال اية نقطة محصنة بحرية دون تعيين في ذلك ، وحق اتمال سفن الامبراطورية وسككها الحديدية ، وهكذا يرى ان الدولة العثمانية المترامية الاطراف سابقا ، الدولة العثمانية ذات المجد والمؤدد قد تمحو الى مستعمرة اوروبية بموجب شروط معاهدة الهدنة .

وكان كمال باشا قائدا للجيش « الصاعقة » في الجيش العثماني انشد في سوريا

(١) اقرأ لمر أبو النصر : « مجلة الحرب العظمى وما بعدها » الاعضاء (١ - ٢ - ٣ - ٤) عن تركيا الجديدة ؛ اقرأ لامين محمد سعيد ، وكرم خليل ثابت : سيرة مصطفى كمال باشا « وتاريخ الحركة التركية الوطنية في الاناضول ،

فأراد ان يخلص تركيا من براثن الذئاب فاصطدم مع الصدر الاعظم المقيم في العاصمة عن طريق الهائف والمراسلات واخيرا اصبح كمال باشا من جراء انتقاداته واعتراضاته واعماله متمردا على الدولة العثمانية ، فالفت الدولة قيادته وشتت عمله واعادته الى الاستانة ومنذ ذلك الحين بدأ اتاتورك نضاله وقد ساءه استلام الحلفاء في تركية مستودعات الاسلحة والذخائر والمرافق والمضايقت وذلك لطبيعة المساعدة الهندية ويدخلون استنبول دخول الفاتحين وشاركه الشعب في الامة على بلاده حتى ان الشعب صار يكره الجيش ويبغض كل شيء يمت الى الجيش بصلة فقد استولى ايضا في بدء عام ١٩١٩ الفرنسيون على اتفاق طوروس واطنة وكليكا وكان الانكليز بنفس التاريخ يقترحون من الكوكاز بمد ارضروم وكان التتليان يستولون على اصابية ويتجهون بقواتهم لاحتلال قونية ، وام حدث في الدولة العثمانية هو احتلال اليونان لازمير وضواحيها في ١٣ مايو ١٩١٩ ولا يجب ان ننسى هجرم الارمن في شرق الاناضول وطموحهم لتأليف الجمهورية الارمنية في كليكا .

وهكذا ترى ان الدولة العثمانية اصبحت مقطعة الاوصال فلقد انهزمت من المعارك وخسرت الحرب وافلتت منها البلاد الغير التركية كبلاد العرب والمغرب واحتل الحلفاء بلادها وتفرقوا هنا وهناك في انحاء تركيا الاصلية وعمت الفوضى تقريبا في جميع انحاء الدولة العثمانية فتشكل في البلاد جمعيات مختلفة كجمعية (الدفاع عن حقوق الوطنيين والاقسام الشرقية) في ارض ارضروم والعزير وجمعية (ترافيا وباشا علي) وكان هدف هذه الجمعيات الدفاع المحلي فقط لا انشاء وطن حر ، الذي اصبح خرافة في خيال الاهلين الاتراك ولكن هذا اليأس تحول الى ثورة عامة وخصوصا بالاناضول حينما احتل اليونان ازمير كما ذكرنا ،

فالاتراك تقللوا احتلال الدول الكبرى لبلادهم بصورة مؤقتة ولكنهم لم يطبقوا تعديلات دولة محاربة صغيرة لا شأن لها في منظرم ولا هي من اندادهم .

وشاءت الاقدار عام ١٩١٩ في ايار ان تقذف الحكومة المتعاقبة بكامل باشا الى الاناضول باعطائه وظيفة مفتش عام للجيش الثالث تحلها منه ومن انتقاداته حين كان بالعاصمة فكان طيلة وجوده باستنبول لا يشغل وظيفه رسمية ولا مهنة له الا اتهم الحكومة بالانقصير ، بما فيها ، ونقدتها نقدا لازعا واتهامها باضاعة الدولة بكاملها انتساها مع الاجانب .

جاء اتاتورك الى الاناضول فلم ير ، لاجيشا ثالثا بالمعنى الصحيح ولا غير ثالث وكل مارآه شرزمة صغيرة من الخفود ؛ فقد كره الشعب الجيش كإفلسا وترك الجندي اكثر الافراد وانصرفوا .

جاء اتاتورك الى الاناضول فوجد بعض الاحرار من الشباب الوطنيين يؤلفون وخصوصا على مقربة من ازمير جمعيات لرد المحتلين اليونان .

وعادت الروح النضالية العسكرية في الجيش التركي التي ابقظها احتلال اليونان لازمير وتألفت المصائب واعلنت استعدادها للقتال بجانب الجيش ولكن جيش الاتراك الرسمي لم يحارب اليونان بل استسلم معظمه لهم بموجب الامر العسكري المعطى من قيادة الموقع العسكري الى الجنود بالاستسلام الى اليونان فاضطرت هذه المصائب والجمعيات الى الانزغل في قلب الاناضول .

نقول اخيرا جاء اتاتورك الى الاناضول فجمع البقية الباقية من الجيش الذي يؤيد فكرته والذي اى ان تضييع البلاد وضم اليه الجمعيات والمصائب والافراد الوطنيين المخلصين ، وجماعته بعقد الاجتماعات ويصدر المنشورات ويخاطب الجماهير والمواطنين ويطلب منهم الاحتجاج لدى حكومة العاصمة ولدى ممثلي الدول على الاحتلال والاعتصاب فقام الشعب بنظم المظاهرات في كل مكان وقد

استعمل كمال باشا جميع الاساليب لابقاظ الشهور والنضال وجمع شمل الاتراك
ونذ كر من هذه الاساليب زيادة على ما ذكرنا : الاساليب الدينية لتحميس
الشعب على النضال ضد الاحتلال ومن اجل الاستقلال والحرية ، فلقد حمل على
ظهوره مع الحاملين الرجل الديني المعروف « بالسانوسي » وراح يحجوب به بلاد
الاناضول وهو يخطب بين الجماعات لتشجيعهم على تخليص البلاد ونذ كر ايضا
اساليب الديمقراطية اساليب المؤتمرات الوطنية لصبغ حركة النضال ببصبة
شعبية شرعية فقد كان يعلم انه لا بد يوما من ترك وظيفته الرسمية وانه لا يمكنه
ان يثار على عصيان استانبول كفرد وانه يجب انشاء مجلس تمثيلي للامة فدعا
لمؤتمر امانيه ، فشمرت الدولة العثمانية بخطرته عليها فحاولت عبثا اقناع كمال باشا
بالرجوع عن اعماله ولما لم يرد عزله بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩١٩ ؛ وانما من
الممكن ان تكون الاتصالات بينه وبينها تكررت بعد تاريخ عزله لانه قدم لها
ايضا في ٨ تموز استقالته من الجيش وحكومة السلطان وانطلق حرا يواصل
النضال لانقاذ الوطن كفرد من افراد الشعب فدعا بيباى الى عقد مؤتمر
سيواس الاول الذي لم ينمقد بسيواس لضغط اتباع سلطة استنبول وانما انمقد
فيما بعد بارضروم في تاريخ ٢٣ تموز ١٩١٩

ومكذا ترى ان مصطفى كمال اخذ يناضل لتحرير بلاده نضالا مدنيا
فترأس جمعيات الدفاع عن المضائق في ارضروم حال استقالته المذكورة من
وظيفته العثمانية في الجيش القديم (جيش السلطان)

ونذ كر بالمناسبة ان مؤتمر ارضروم المذكور وضع مبادئ الميثاق القومي
المشهورة في خمس بنود : وخلصتها الوطن وحدة لا يتجزأ ، الدفاع عن الوطن ،
عدم قبول الحماية والاحتلال ، تأليف حكومة موقته بالاناضول عند الحاجة ؛
تأليف المجلس الوطني . وبعد مؤتمر ارضروم انعقد مؤتمر سيواس وهي المدينة

الاناضولية الشديدة التأييد لاستانبول ولم يكن مؤتمر ارضروم المذكور الا خطوة تمهيدية لمؤتمر سيواس الذي كان المؤتمر الثالث في الاناضول فضم هذا المؤتمر الى مبادئ مؤتمر ارضروم الست التي الفت الميثاق القومي المؤتمر البند السادس وهو : مبدأ الدفاع ضد كل نوع من التدخل والاحتلال وبصورة خاصة ضد كل حركة ترغب في اقامة تشكيلات يونانية او ارمنية وقد عمم مؤتمر سيواس جميع مقررات مؤتمر ارضروم على جميع بلاد تركية واقام المجتمعون في مؤتمر ارضروم ومؤتمر سيواس ان لا يرموا سلاحهم الا بعد تحرير بلادهم وارسل المؤتمر انذارا الى الاسكانة يستصدر فيه مرسوما سلطانيا بانتخاب مجلس نواب لتقرير مصير البلاد وحدثت الانتخابات فعلا لتأليف (ما يسمى بمجلس المبعوثان) وكانت اكثرية المجلس بجانب كمال باشا فاجتمع باستنبول يوم ٢٨ كانون ثاني سنة ١٩٢٠ ووافق على الميثاق الوطني (ويقال ان هذا الميثاق كان قبلا قد وضعه النازي واعده) ويقال ايضا ان واضع صيغته جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير ولكن ذاك لا يمنع صحة القول الاول) فحل السلطان المجلس بآثير الكثرة والحلفاء واعتقل بعض اعضائه ونفاههم الى جزيرة مالته ، فما كان من اتاتورك الا ان نقل المجلس الوطني الى قرية نائية في الاناضول ، انقرة آنئذ ، فاجتمع فيها بعض النواب الاتراك الذين حل مجلسهم السلطان ، اجتمعوا ايضا مع بعض المنفيين (الى جزيرة مالته منذ احتلال الحلفاء للاستانة) ومع نواب جدد ، فلقد اجري كذلك اتاتورك انتخابات جديدة بالاناضول اقول اجتمعوا بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٢٠ بانقرة وانتخبوا مصطفى كمال باشا رئيسا للمجلس واصدر هذا المجلس قرارا النفي به كل الاتفاقات الموقودة بين السلطان والحلفاء ، وانشأت الحكومة والوزارة ، الوطنية الجديدة في ٢ مايس ١٩٢٠ وقد تسمى هذا المجلس او هذا

المؤتمر الذي يتألف مما ذكرنا باسم (المجلس الوطني الكبير) « ويسمى ايضا المؤتمر القومي الرابع او اثنان في انقرة »
ان اتاتورك ، وان هذا المجلس ، (منذ انقاده) ، هما اللذان حكما تركيا وناضلا ، وواصلها الى الحرية

وقد وضعت هذه الحكومة وهذا المجلس دستورا للحكومة المجلس الوطني الكبير في كانون ثاني ١٩٢١ « ودام هذا الدستور » حتى اعلان النظام الجمهوري عام ١٩٢٣ »

وهكذا انفصلت الاناضول عن الاستانة منذ ٢٢/٤/١٩٢٠ نهائيا ، وجب المجلس الوطني الكبير المنعقد في انقرة كما نرى ولما رأى الحلفاء هذا الوضع عجلوا بماهدة الصلح فوضوها ووقعها السلطان محمد السادس بتاريخ ١٠ - ١٥ آب ١٩٢٠ وهي معاهدة تردد السلطان في توقيعها مدة لانها ذهبت بسيادته وذرت بالبلاد الى الخيض : (معاهدة سيفر) وقد احتاج العالم التركي باسرها لفضاعة هذه المعاهدة التي تؤدي بالدولة الى الخيض وقام المجلس الوطني الكبير بالاناضول برئاسة اتاتورك الذي حول الجماعات الوطنية المناضلة الى جنود نظاميين معتمدا على القوة في سبيل تحرير تركيا الجديدة وبدأ يدافع عن بلاده فيحارب الافرنسيين في المنطقة المسماة ايشد المنطقة الشمالية « كليديا » وفي ساحل الاناضول ويصد هجمات الارمن في الشرق ويحطم جمهوريتهم الارمنية ، وبقابل من الغرب هجمات اليونان على الاناضول الذين كانوا يرغبون بعد احتلال ازمير ان يحتلوا انقرة وسائر الاناضول فاند الف يونان ثلاث حملات على تركيا بعد احتلال ازمير ، وشنوا الهجوم العام ثلاث مرات ولكن اتاتورك صدوا الهجمات الثلاثة :

تففي المرة الاولى انكسروا بنهاية معركة اينونو الاولى وبالمرة

الثانية انكسروا بنهاية معركة اينونو الثانية وبالمرّة الثالثة وقد اعلتوا فيها النفير العام انكسروا ايضا بنهاية معركة سقاريا وتراجعوا ، وكانوا في كل مرة يربحون بداية المعركة فقط ثم يخسرون نهايتها رغم قوة عددهم وكثرة عددهم وعبقريّة القائد العام اليوناني الجنرال بابولاس الذي ابدى في بداية الهجوم الثالث كفاءة مشهودة في ادارة المناورات وانقاذها وسرعة الهجوم التي الزمت الاتراك وبدء الهجوم الثالث ، على الفرار من امام كوناهاية الى سقاريا (الا ان الفرنسيين عادوا فاقفوا الحرب ، لسبب النزاع الكائن بين فرنسا وانكلترا) ولقد احس الحلفاء بقوة النفسية التركية ورباطة جأشها وثباتها مع رئيسها المناضل اتاتورك منذ فشل الحملة اليونانية الاولى في معركة اينونو الاولى التي وقعت بتاريخ ١١ يناير سنة ١٩٢١ فاجتمع في لندن ممثلوا السلطنة العثمانية وممثلوا الحكومة الوطنية مع ممثلي الدول الحليفة في شباط - اذار سنة ١٩٢١ ولكن هذا المؤتمر المسمى بمؤتمر لندن لم يأت بنتيجة فقام لويد جورج بحرض اليونان على استئناف الهجوم على الاناضول فكانت الحملة الثانية والهجوم الثاني وكان انكسار اليونان بمعركة اينونو الثانية التي وقعت باواخر اذار ١٩٢١ ثم كانت الحملة الثالثة والهجوم الثالث وانكسار اليونان بمعركة سقاريا التي بدأت في ليل ٢٣ اغسطس ١٩٢١ وقد اعطى المجلس الوطني الكبير الى مصطفى كمال رتبة مشير ولقب غازي في ايلول عام ١٩٢١ واخيرا هاجم الترك اليونان في ٢١ اغسطس عام ١٩٢٢ وكان قد تسلم القيادة اتاتورك بدلا من عصمت اينونو في الجبهة الغربية بعد هزيمة الترك من امام كوناهاية (بداية الهجوم اليوناني الثالث) الى سقاريا اقول واخيرا هاجم الترك اليونان وكسروهم بحيل فنية حربية ومناورات تطويقية تسحر العقول واجلوهم عن الاناضول واغمرهم ودمروهم وقذفوا بهم

الى البحر (١) ولكن اليونان احرقوا قسما من ازهير قبل مفادرتها وكانت
ذلك في ايلول عام ١٩٢٢ فاصبح اتاتورك والحالة هذا امام امرين: اما ان يستأنف
النضال ويهاجم الحلفاء لتحرير بلاده واحتلال المضائق واستنبول واما ان يلجأ
الى الطرف الدبلوماسي وقد خابر مندوبوا الحلفاء باستنبول قوات انقرة بانهم
يبترون المضائق منطقة حيا لا يحق للقوات دخولها (وبالحال ارسل الانكليز
نجدات الدفاع عن المضائق) . ولكن الحلفاء اختلفوا د وهم مختلفون من قبل
فقرسا ايدت تركيا ، واخذت ساحل الاناضول بنفسها ، وايتالية لحقت بفرنسا
اما انكلترة فقد حاولت بلسان لويد جورج معاكسة اتاتورك وتأييد اليونان
ولكن عادت انكلترة لاسلوب المفاوضات الذي اسفر عن عقد معاهدة الهدنة
باستنبول في ١١ تشرين اول سنة ١٩٢٢ بين الحلفاء وحكومة انقرة التي مثلمها
عصمت اينونو باشا ثم دخلت الجيوش التركية الوطنية الى استنبول بتاريخ تشرين
ثاني ١٩٢٢ فقرر المجلس الوطني الكبير اضافة لقب الصاعقة اي (بلد يرم)
الى القاب كمال باشا واخيرا الف اتاتورك وفدا تركيا وسلم رئاسته الى عصمت
(اينونو) باشا (٢) لمقد معاهدة الصلح في مدينة لوزان فكانت معاهدة لوزان
انتصارا لحقوق الاتراك والحرية وقد وقعت عليها تركيا والحلفاء في لوزان
بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٩٢٣ اما قضية الخلافة فقد اجتمع (قبل عقد معاهدة

(١) انك اليوم اذا ذهبت الى الاناضول فانك ترى اكثر
من تمثال لاتاتورك يشير يده الى البحر ويعني بذلك قذف اليونان
الفراة اليه .

(٢) قاله جيوش الحدود الغربية .

لوزان) المجلس الوطني بتاريخ ١ تشرين ثاني سنة ١٩٢٢ ، وفصل الدين عن السياسة بموجب قانون قضى بان تكون الصلاحيات الزمنية في قبضة المجلس الوطني ابتداء من ١٦ اذار سنة ١٩٢٠ واما مركز الخلافة نفسه فقد ابقاء المجلس المذكور في ظل آل عثمان ولكن على ان يتعين الخليفة بمعرفة المجلس الوطني الكبير فما كان من الخليفة وحيد الدين الا ان ولى الادبار في ٧ تشرين ثاني سنة ١٩٢٢ اذ ركب الدارعة الانكليزية (ملابا) الى ماله ووفي حديث اخر ان حكومة المجلس الوطني الكبير اعلنت خلع السلطان محمد السادس في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ ، ثم ابرق السياسي مصطفى كمال باشا الى الامير عبد المجيد يعلمه ان المجلس قد انتخبه خليفة للمسلمين وان اختياره هذا قد تنعم على كافة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ولكن المجلس الوطني عاد في ٢ اذار سنة ١٩٢٤ فالتى الخلافة الفاء نهائيا ولم يبق لآل عثمان شيء من صلاحيتها التي انتقلت للمجلس المذكور كما انه قضى على بني عثمان بمقادرة البلاد التركية (ولكن هذه الخلافة كانت قد اصبحت وهمية ولا شأن لها و ليس لها من الخلافة الا اسمها والسخرية) اما الجمهورية فلقد اعلنت في ٢٩ تشرين اول سنة ١٩٢٣ وقد بقي اتاتورك برئاسة الجمهورية تتجدد انتخابه كل دورة حتى وفاته عام ١٩٣٨ وفي عام ١٩٣٤ تلقب باتاتورك (ابي ابالاتراك) وهو رئيس حزب الشعب (حزب الخلق) القومي الذي الفه عام ١٩٢٢-١٩٢٣ وقد قام باصلاحات معروفة في بلاده ، وقد وقفت تركية في حرب ١٩٤٠ - ١٩٤٥ على الحياض تقريبا

اما وقد انتهينا من هذه المقدمة فلنلخص مارويناعن اتاتورك ولنظهر رأينا فيه بالحديث التالي : لما تحطمت الدولة العثمانية واحتضرت تقريبا وطمعت به الدول الاجنبية وحتى يلاذها الاصلية ؛ وبالمضيقين واشتد النزاع وكثرت التعميدات بين اليونان

المحتلين والأتراك ، وتتركز قسم من جيوش الخلفاء في تركيا وعمت القوضى
فكانه ليس هناك حكومة في ذلك الوقت ، قام القائد التركي مصطفى كمال باشا
وناشد المواطنين الأتراك لتحرير البلاد من الأجانب وقد استعمل جميع الطرق
حتى الأساليب الدينية لتحسيس الشعب على النضال ضد الاستعمار والخزلان فلقد
حمل كما ذكرنا على ظهره مع الحاملين ، الرجل الديني المعروف (بالسانوسي)
وراح يحجوب به بلاد الأناضول وهو يخطب بين الجماعات لتشجيعهم على تخليص
البلاد من ربة الاستعمار .

وهكذا جمع أتاتورك مناضلين مدنيين وقسا من الجيوش ، وتمكن
بواسطتهم من ان يلقي باليونان الى البحر وان يقف وقفة جبارة امام الجيوش
الخليفة ويفرض احترام بلاده عليها فرضا فانسحبت الجيوش الأوروبية لتنازع
الدول بعضها البعض وتركت الدولة التركية لمصطفى كمال وانصرفت .
ففي الطرف المعصيب اذن قام أتاتورك وحرر البلاد وفي هذا الجو من النضال المدني
ناضل مصطفى كمال ومع ذلك ، لم يقف عند هذا الحد بل اعلن الحكم الجمهوري
الذي بذره منذ بدء نضاله وطلب من الشعب ممارسته . ولكنه بقي رئيسا
حتى وفاته .

وكان مصطفى كمال باشا ايضا رئيسا لحزب الشعب القومي التركي الذي
اسسه وقد انتخبه الشعب رئيسا للجمهورية عام ١٩٢٣ وتسمى اوسمى نفسه عام ١٩٣٤
ابا الأتراك (اي أتاتورك بالتركية) وقد بقي رئيسا للجمهورية حتى
وفاته عام ١٩٣٨

لقد استأثر الجنرال أتاتورك بالحكم مدة طويلة فكان من حيث الحقيقة
دكتاتورا ولكنه دكتاتور محبوب وخصوصا في هضاب الأناضول حيث انبث
بواسطته النضال من اجل تحرير الدولة التركية .

اننا نعتبر حكمه شرعيا لانه بالحقيقة لم يتسلم الحكم باحداث انقلاب، انه لم ينتزع لاحكامه ولا مالا من وحيد الدين السلطان العثماني او سواءه، فبالحقيقة لقد تنازل السلطان للحلفاء عن كل سيادته، بموجب معاهدة الهدنة التي وقعتها ومعاهدة سيفر التي وقعتها ايضا، اما اتاتورك فقد ناضل مع الشعب واسترد الحكم والبلاد من الحلفاء الطامعين باملاك الرجل المريض الذي تحول بفضل اتاتورك الى شاب نشيط يشع منه بريق الحياة، اقول اننا نعتبر حكمه شرعيا لانه خلص البلاد من الاجانب لامن السلطان ولانه ناضل من اجل ذلك مع الشعب ومع قسم من الجيش فقط الامر الذي يجعلنا نعتبر فضاله شرعيا مئة بالمئة لان الشعب مصدر السلطات كلها واخيرا لانه التجأ الى حكم الشعب بعد تحرير تركيا فانتخبوه رئيسا لجمهوريةها واذا كانت الحقيقة ان كمال باشا يتصف بالصفة الدكتاتورية فان هذه الحقيقة كانت تأخذ شكلا جمهوريا شرعيا ديمقراطيا لا شكلا انقلابيا غير شرعي

ثانيا : المارشال تيتو :

يتشابه وضع تركية بعد الحرب العالمية الاولى، مع وضع يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية كثيرا؛ فلقد احتل الالمان بالحرب الاخيرة يوغوسلافيا (١٩٤١-١٩٤٤) فقام جوزيف بروز تيتو؛ المارشال اليوغوسلافي وناضل مع رفاقه من اجل تحرير بلاده ولما تحررت يوغوسلافيا، صار تيتو رئيسا لحكومة الجمهورية اليوغوسلافية عام (١٩٤٥) ولقد صيغ ايضا تيتو مثل مصطفى كمال باشا شخصيته بالنضال المدني الشرعي وخلص البلاد من الاجنبي وتوجه لارادة الشعب بعد تحرير البلاد وهو لا يزال الى اليوم يحكم يوغوسلافيا انه بالحقيقة دكتاتور

ولكن هذه الحقيقة اخذت شكلا جمهوريا شرعيا ديمقراطيا لاشكلا انقلابيا
غير شرعي .

ثالثا - الجنرال دو كول :

اما وضع الجنرال دو كول فهو وضع مثالي قل ان تجد مثله في تاريخ الامم
فلقد ناضل هذا الرجل اثناء احتلال ألمانيا لبلاده ، ولما تحررت وكان دو كول
سيد الموقف ، رأبنا يملن ارض فرنسا لانزال كما كانت وجمهوريتها قائمة كما هي
منذ عام ١٩٤٠ اي منذ بدء الاحتلال ، ولقد التجأ دو كول الى ارادة الشعب
ثم استقال فكان دوره في حياة فرنسا الحديثة دور ارجاع الحياة الشرعية الى
حالتها دورا انتاليا فقط وسوف يسطر له تاريخ فرنسا موقعه بحروف من الذهب
اما بيتان ، فلقد رأيت كيف ان الشعب الافرنسي حاكمه وحكم عليه (بمد تخفيف
الحكم) بالسجن المؤبد .

وسوف ترى بعد قليل كيف تصفت احوال حكومة بيتان المزعومة
واوضاعها وكيف عوقب الاف بل اكثر من مليون افرنسي وهم الذين
اشتركوا ، أو استفادوا ، أو دافعوا من الفرنسيين عن عهد حكومة بيتان
الغير الشرعي .

رابعا : الجنرال اينزهاور :

اما الجنرال اينزهاور فلقد رشح نفسه لرئاسة الجمهورية الاميركية كسائر
الناس فنجح ولا يمكن ابدا ان نقول ان الحكم في الولايات المتحدة هو حكم
عسكري بقا ونحن العرب ، نقبل من كل رجل عسكري يرى في نفسه الكفاءة

لرئاسة الجمهورية اى يرشح نفسه لها فهي ليست ملكا لاحد وهي من حق كل فرد سروري ضمن النطاق الديمقراطي الجمهوري

خامسا : شيانج كاي تشيك :

اما رئيس الجمهورية الصينية الجنرال شيانج كاي تشيك فلا بد اننا من اظهر لمحة عن كيفية وصول هذا الرجل الى منصة الرئاسة :

اصبحت الصين جمهورية لأول مرة عام ١٩١٢ نتيجة للثورة الشعبية الصينية التي هبت عام ١٩١١ والتي قام بها اتباع الدكتور (صن - يات - سن) مؤسس النهضة الحديثة الوطنية في الصين ، ومؤسس الجمعيات السرية والحزب الشعبي الوطني المسمى باللغة الصينية حزب (الكومتانج) (١) وقد عاد الدكتور المذكور الذي كان منفيا من الصين عام ١٩١٢ الى بلاده وتسلم رئاسة الجمهورية لأول مرة في تاريخ الصين الا ان الجمهورية هذه لم تدمر الا قليلا لان الروح القديمة المحافظة بالصين لم تكن قد ماتت فاضطر الدكتور (صن) المذكور الى التخلي عن الحكم لاحد رجال العهد القديم وهو (يوان - سي - كاي) وقد انحل ايضا البرلمان ولكن الزعيم (صن) اعلن الثورة من جديد على من خانوا الثورة وسالت الدماء التي روت ارض الصين من دماء ابنائها ؛ ولم تدم امبراطورية الصين وانما حل محلها حكم دكتاتوري وكان موقتا ايضا ففي عام ١٩١٥ قدمت اليابان ٢١ طلبا الى حكومة « يوان » تجمل من الصين مستعمرة يابانية ان تحمقت فثار ذلك الحنق على حكومة « يوان » الذي لم يتمكن

(١) هذه الثورة هي التي اودت بعرش اسرة (مانشو) الحاكمة بالصين قبلا .

من ترطيد حكمه الرامي الي ارجاع امبراطورية الصين القديمة وكانت الريح الشيوعية تبدأ بالهبوب وبقعها الخراء آنئذ تتسع في ارض الصين وكانت النار تحت الرماد ، ومات (يوان) في هذا الجو وخلفه حا كان احدها ديمقراطي ، والثاني لا يؤمن بهذه السفاست الديمقراطية (على حد تمبيره) فما كان من ضباط « يوان » بعد وفاته في هذا الجو المعصيب الا ان استغل كل منهم منطقة طامعا بشيء وادعى آنئذ كل من رجال الاقطاع العيادة ، فاسس حكومة وقيادة لنفسه محاولا احداث انقلاب لمصاحته ؛ ويمكن تصوير الصين في تلك الآونة باتون بلمتهم بعضه بعضا .

وفي هذا الجو الاسود ناضل الدكتور (سن) وتلميذه ، شيانج كاي شيك ويهنا شيانج كاي شيك فقط :

لقد ناضل هذان الرجلان نضالا شعبيا اتوحيده الصين ، فأسسا الجمعيات السرية أولا ليعدا الثورة الشعبية من جديد .

وقد توفي الدكتور (سن) اثناء هذا النضال بتأثير مرض السرطان عام ١٩٢٥ واستلم شيانج كاي شيك قيادة الجيش الوطني « اي جيش الثورة وتحرير الصين وتوحيدها » وهو بالحققة مجموعة من المدنيين الذين تطوعوا في سبيل نهضة الصين الحديثة ، ولكن تحول هذا الجيش فيما بعد الى جيش نظامي لحكومة الصين الوطنية ، وبعد فترة قصيرة استلم شيانج كاي شيك رئاسة الحزب الشعبي الوطني ايضا ، وقد احتل شيانج كاي شيك الزعيم الصيني والجنرال بسرعة كثيرا من المدن ولكن بعد مدة من النضال تطورت الاوضاع اذ ان الشيوعية تسربت للشعب الصيني وجملت تفسر مبادي الدكتور « سن » الراحل تفسيراً يساريا وتتهم « شيانج كاي شيك » بالخروج على مبادي زعيم النهضة ولكن

شيانج لم يأبه لهذه الانتقادات وأعلن الحرب على الشيوعيين ايضا ثم غزت اليابان منشوريا وغيرها من بلاد الصين وجمعت رغب في القضاء على شيانج وبسطت اليابان خطرها على الصين فاطبعت على الشيوعيين والوطنيين مما فاقصمت الضباط الشيوعيون بالصين بالضباط الوطنيين واقترحوا التعاون ضد العدو المشترك الخارجي واخيرا وقع شيانج في مدينة «سيان» اسيرا لخيانة احد ضباطه الخلقين ولكن المداخلات خالفت الشيوعيين والوطنيين فاستلم القيادة الجنرال الزعيم شيانج ضد اليابان وكانت سنة ١٩٣٧ وأعلن الحرب على اليابان ولما انكسرت اليابان عام ١٩٤٥ وانتهت الحرب العالمية طادت الفوضى الداخلية بالبلاد واشتدت الحروب على قدم وساق ولكن بين شيانج والشيوعيين فقط الذين اسسوا حكومة في مدينة (هالكو) وقد ناضل الجنرال شيانج في سبيل تأليف الصين وتوحيدها ولكنه عاش عمره بالحرب والثورات كما رأى تقريبا دون ان تستقر الصين الا بالآونة الاخيرة حين رجحت كفة الشيوعيين عليه وانكسر شيانج واستقال من رئاسة الجمهورية الصينية وغادر البلاد .

اذن ان الجنرال شيانج لم يكن في خدمة حكومة الصين الاولى الاصلية ولم يحدث انقلابا عسكريا في اليابان كما يوحي اسمه بل انه رجل مدني بنضاله الثوري والحربي . نعم لقد دخل المعاهد الحربية اولا بالصين وثانيا باليابان ، وخدم بالجيش الياباني يتعلم فنون الحرب ولما آن الاوان نزع سيفه وبذلته العسكرية عنه وارسلها بالبريد الى القيادة اليابانية التي تركها والتحق بالثورة الصينية التي نشبت عام ١٩١١ ، كل هذا صحيح ولكن شيانج كان في الصين رجلا مدنيا ولم تكن له صفة رسمية (بل كان خازقا بالامور العسكرية) كان ثوريا من الدرجة الاولى متنسبا للجمعية السرية التي اسسها الدكتور (صن)

ولقد ناضل مع الشعب ولم يزل يناضل لنهضة الصين وتوحيدها حتى افل نجمه مع افول الحكم الوطني الديمقراطي بالصين لذلك لا يمكن ابدا قطعا اعتبار حكم هذا الرجل حكما عسكريا بل حكما شرعيا ثوريا شعبيا مدنيا زد على ذلك ان الصين لا تعرف الاستقرار في عهده بتاتا بل كانت اما في حالة حروب داخلية او حالة حروب خارجية او الاثنين معا : فلقد ناضل لتوحيد الصين مع زعيمه الاول الدكتور «سن» من ١٩١١ - الى ١٩٢٥ ، على الاول . وتوفي سان عام ١٩٢٥ ، ومن ١٩٢٥ الى ١٩٣٦ كان يسمى لتوحيد الصين وسحق الشيوعيين ولكنه كان لا يتعرض في هذه الفترة الا قليلا لتمديات اليابان وتدخلاتهم لانه كان يرمي من وراء ذلك الى ان تتحطم القوات اليابانية والشيوعية امام عينيه دون ان ينحسر شيئا ثم يفار هو عليها ويسحقها .

ومن ١٩٣٧ الى ١٩٤٥ كان هو والشيوعيون يحاربون اليابان ومن ١٩٤٥ الى ١٩٤٩ عاد شيانج الى النزاع الداخلي ضد الشيوعيين الذين كسروه فاضطر الاستقالة عام ١٩٤٩ ومناذرة البلاد .

لقد انتخب الشعب الصيني شيانج رئيسا للجمهورية الصينية واحتراما لهذا الفضال عام ١٩٤٣ واعيد انتخابه عام ١٩٤٦ ولكنه استقال عام ١٩٤٩ مضطرا وترك البلاد للشيوعيين .

ونلاحظ ان عهد ١٩١١ - ١٩٤٩ بالصين هو عهد الفوضىّة وبرز صفة من صفات الفوضىّة بدأت عام ١٩١٥ حيث استقل كل قائد عسكري وكل اقطاعي بمنطقة والف له حكومة واخذ يسعى الى احداث انقلاب لصالحه .

اذن ان تاريخ الصين الحديث يؤيد ان تدخل الفياط العسكريين في الحكم يؤدي

للفوضى او يزيدھا « نشير بهذا الكلام ، الى ازدياد الفوضى التي احدثھا الضباط
المسکريون والاقطاعيون . » لا الى شيانج ولا الى الجيوش المدنية .

سادسا : بورون :

اما جان دومينكو الملقب « ببورون » فهو رجل دولة ، في بلاد الارجنتين
وله نضال قديم ومباذير معروفة وهو وان كان قائدا عسكريا الا انه لم يكن
في خدمة الجيش الرسمي لما ثار في وجه حكومة الارجنتين وقد ناضل بورون
في سبيل مبادئه وفي سبيل نهضة الارجنتين نضالا مدنيا وقد ساعده الجيش في
مؤامراته ونضاله ولكنه كان هو القائد والزعيم لا الجيش وقد ادى نضاله هذا
الى استلام رئاسة الجمهورية الارجنتينية عام ١٩٤٦

والأحظ ان الارجنتين دولة متوسطة الرقي ، وهي احدي دول اميركا
الاسبانية التي تكثر بها محاولات احداث انقلابات لان روح الجنس فيها ضعيفة
فلقد انحلت روحها الاسبانية التي لعبت دورا عظيما بالتاريخ وتذكر بالمناسبة
مقاله لوبون من ان امر حكم سكان اميركا اللاتينية الاسبانية اصبح متغيرا

وقد استطاعت الارجنتين ان تقف على الحياض بالحرب الدامية الثانية وهو
موقف صعب لا يستطيع ان يقفه الا فطاحل الدول اليوم بالعالم او الدول
الراقية جدا واذا كانت تركيا قد تمكنت مثل الارجنتين ان تقف على الحياض
في الحرب الاخيرة ، فانها مدينة بهذا الوقوف للمضيقيين الى حد بعيد اذ
جميع الدول توافق على ان لا يحتل المضيقيان احد منهما ، بل تمنع كلها في ان
تحتل احدي الدول هذين المضيقيين .

سابقا : فرنكو :

امافرنكو فلقد قلنا ان نتائج ثورة الشعب الشرعية على الحكومة الاسبانية هي التي ادت به لحكم البلاد .

فمن الممكن ان نعتبره دكتاتور اسبانيا ؛ لانه يحكمها حكاما دكتاتوريا ولكنه لا يجوز ابدا ان نطلق على فرنكو انه حاكم عسكري او ان نظام الحكم في اسبانيا هو نظام عسكري ولو كان فرنكو جنرالاً . ولقد تمكن هذا الرجل من ان يقف على الجهاد في الحرب العالمية الاخيرة وهو موقف صعب كما قلنا .

ملحوظة :

اننا اعملنا في ابحاثنا السابقة التدخلات الاجنبية في مصير الشعوب والحكومات كالمساعدات التي تقدمها الدول الاجنبية مثلا لهذه الدول التي بحثنا فيها ، فلقد ساعد المحور ثورة فرنكو وساعدت الحلفاء حكومة اسبانيا الجمهورية كما هو الحال اليوم في كوريا حيث يسود النفوذ السوفييتي بالشمال والنفوذ الاميركي بالجنوب ؛

وكما كان الحال في الصين منذ عام ١٩٤٥ حيث ساعد الاتحاد السوفييتي الثورة الشيوعية وحيث ساعد الحلفاء حكومة شيانج كاي شيك ، ولكن المساعدة الاخيرة كانت دون جدوى ، فلقد انتهى امر شيانج عام ١٩٤٩ كما ذكرناه ؛ وكما هو الحال اليوم ايضا في الهند الصينية حيث تساعد حكومة الصين الشيوعية ثوار الهند الصينية وحيث تساعد فرنسا والحلفاء حكومة الهند الصينية الفرنسية .

لقد اعملنا هذه الناحية الخارجية لان موضوعنا ليس التاريخ وليس

تحليل الحوادث التاريخية من جميع الوجوه بل ان موضوعنا في هذه الصفحات هو بيان الروح النظامية بالدول الأوروبية ونفي صلاح الحكم العسكري بصورة عامة واستنكاره وبيان عدم شرعيته الا في بعض الاحوال كما سيبيح .
وذكر امثلة تاريخية من الماضي او الحاضر على كل ذلك .

ولا يسعنا هنا ان نذكر جميع الجيوش النظامية والغير النظامية ؛
وانما اكتفينا بذكر قسم كبير من الاولى وقسم من الثانية للتدليل على رأينا فقط .

اما وقد انتهينا الان من بيان خطأ من يضربون الامثلة على صلاح الحكم العسكري فلننتقل الى البحث بالثورات والانقلابات :

القسم التاسع

الثورات والانقلابات

قد يكون احبانا تعريف الالفاظ من اصعب المواضيع بخلاف ما يظن
الكثيرون من افه موضوع بسيط. اذن :

الفصل الاول تعريف الثورات والانقلابات

ولما كنا ندرس بهذا القسم الثورات والانقلابات كان لابد من بيان صفاتها
وصفات النفس السائدة يام الثورات والانقلابات وادعاء لحة تاريخية عنهم وبيان شروط
شرعيتها واسبابها كما افه يقتضي درس شخصياتها (اي زعمائها) واخير ابيان
اثرهما في ذاكرة المجتمع اذن :

الفصل الثاني : صفات الثورات والانقلابات

الفصل الثالث : صفات النفسية السائدة أيام الثورات والانقلابات

الفصل الرابع : تاريخ الثورات والانقلابات (بإيجاز)

الفصل الخامس : شرعيتها

الفصل السادس : اسبابها

الفصل السابع : شخصياتها

الفصل الثامن : نتائجها واثرها

ولكننا حتى لانطيل الموضوع سنقتصر في دراسة الفصول (٨،٧،٦)
على العالم العربي ، فلا نبحت هذه الفصول الا ضمن نطاقه فقط وانما لا نعمنا
ذلك من ذكر عموميات اولى قد تنطبق على اكثر المجتمعات او عموميات
ثانية قد تنطبق على اكثر الشخصيات الذين قاموا بثورات او بانقلابات في مختلف
الدول او عموميات ثالثة قد تنطبق على نتائج كثير من الثورات والانقلابات .
ولقد اطلعنا على ترجمة السيد محمد عادل زعير لكتاب روح الثورات
لكوستاف لوبون ، فاستفدنا من بعض الجمل التي اجاد بترجمتها وقد وضناها
بالحرف الواحد في كتابنا هذا ونلاحظ ان كوستاف لوبون وهو فيلسوف
معاصر لم يقبل بآراء المؤرخين ولا بآراء الفلاسفة الباحثين في الثورة الفرنسية
وغيرها وقد اضاع كوستاف قسما كبيرا من حياته في دراسة الثورات في
العالم وكانت نتائج دراسته ان حاول قلب تفسير التاريخ الثوري رأسا على عقب
وقد ارتكز ببعض دراساته على البسيكولوجيا الاجتماعية ولكنه
ادخل الآراء والتكهنات ايضا في ابحاثه شأن كل طامع وفيلسوف

ومهما يكن من امر هذا الفيلسوف فلقد اظهر نواحي
اثرت تأثيرا عنيفا بمجرى الثورات ، لاسيما النواحي التي غفل عنها اكثر
الفلاسفة والمؤرخين .

لقد اصاب كوستاف بعض الهدف وغزا بدراساته بعض مواطن الحقيقة
الثورية بالتاريخ ، والعالم اليوم مدين له بما اصاب ، ولكن كوستاف غالى في نظراته
لحد بعيد ونحن لم نقبل منه هذا القلو وسترانا بعد (بحث صفات الثورات ، وصفات
النفسية السائدة ايام الثورات) نذكر تارة بعض التحفظات ؛ ونوضح احيانا بعض
القضايا التي اهلها كوستاف ونشرح طورا بعض نظراته الخاطئة ولكن كل
ذلك لا يحيط من قدر هذا الرجل وانه بلا شك من اعظم الذين بحثوا في الثورات
والتاريخ ونحن مدينون له الى حد كبير في اخراج المقطع الاول: (صفات
الثورات) من الفصل الثاني، والمقطع الاول: (صفات النفسية السائدة ايام الثورات)،
من الفصل الثالث من القسم التاسع من الكتاب الاول من مؤلفنا هذا .

الفصل الاول : تعريف الثورات والاضرابات المدنية والمسلحة

اذن مقطعان : المقطع الاول تعريف الثورات المقطع الثاني تعريف
الاضرابات المدنية والمسلحة

المقطع الاول : تعريف الثورات

١ - التعريف اللغوي : الثورة تعريفا لغويا هي تبدل فجائي وعنيف يحدث
في اشياء العالم او في الاراء او (وخصوصا) في ادارة الدول : كالثورة في العلوم

العملية ، وكالثورة في الصناعة وكالثورة في الزراعة وكالثورة في التجارة وكالثورة في الفنون (من نوع الثورة في الاشياء) وكالثورة في المقول : « في العلوم النظرية ، في الدين ؛ في المعتقدات ؛ في القوانين ، في التقاليد ، في الماديات (من نوع الثورة في الاراء) وكالثورة في السياسة : « ثورة على الاستعمار مثلا » « من نوع الثورة في ادارة الدول » وكالثورة العامة الافرنسية عام ١٧٨٩ مثلا (من نوع مركب من الثورة في الاشياء ، والثورة في الاراء والثورة في ادارة الدول » .

ملاحظة : يشمل هذا التعريف جميع الثورات على الاطلاق ما عدا واحدة اخص بها التعريف الاتي : الثورة هي ايضا رد فعل لاحساس او شعور طبيعي واخلاقي فهي هنا بهذا التعريف تقترب من الاهتياج او الهيجان المصادم (émotion-choc.) « كالمغضب وغيره » ان غاية الثورة عندما تتحقق كليا او جزئيا في مادة ما تسمى انقلابا كليا او جزئيا في المادة التي حدثت بها الثورة

٢ - التعريف السياسي للثورة : هي خروج الشعب (او قسم منه) على الحكومة فقط لقلبها (كالثورة على الاستعمار مثلا) (ولا فرق في النتائج كان تألفت بعد انثورة حكومة اخرى او لم تألف .

ان غاية الثورة السياسية عندما تتحقق كليا او جزئيا تسمى انقلابا سياسيا كليا او جزئيا الا ان الثورة السياسية قد تنقلب بعد حدوثها او بعد تحقيقها الى ثورة اجتماعية وتسمى غايتها عندئذ ان تتحقق كليا او جزئيا انقلابا اجتماعيا كليا او جزئيا .

٣ - التعريف الاجتماعي للثورة : الثورة الاجتماعية هي خروج الشعب

(او قسم منه) على اوضاع حقوقية - اجتماعية : اوضاع اقتصادية ، كالزراعة -
او الصناعة او التجارة ، و اوضاع سياسية « كالأوضاع الاستعمارية مثلا ، و اوضاع
دينية ، او تاريخية ، او فنية ، او علمية ، و الى آخره . . . » خروج من اجل قلب
هذه الاوضاع عن طريق القوة لاعتن طريق الاساليب الدستورية او القانونية
او العرفية او ما شاكلها .

وللثورة الاجتماعية شدة وهي تبلغ اوجها حينما تقلب جميع الاوضاع
الاجتماعية بدون استثناء « يقترب مفهوم الثورة الاجتماعية من المفهوم
الديالكتيكي للصراع الطبقي في المجتمع الرأسمالي عند ماركس ولكن دون
ان ينطبق عليه »

ان غاية الثورة الاجتماعية عندما تتحقق كليا او جزئيا تسمى انقلابا اجتماعيا كليا او جزئيا
لا نستطيع في هذا الكتاب الصغير تحليل كل هذه التعاريف لاننا نرغب
ان يكون كتابنا كتابا صغيرا .

ملحق بالمقطع الاول الخاص بتعريف الثورات :

ملاحظة : قد تقوم الحكومات مقام الشعب او مقام الثائرين في الثورات
فتثور الحكومة ثورة سياسية او اجتماعية او الى آخره . . . ولكن هذا النوع
من الثورات لن نبحث به وسنضعه على حدة ، كما اننا نفضل تسمية هذه
هذه الثورات الحكومية باصلاحات بدلا من كلمة ثورات . ونحتفظ بكلمة
ثورات لحركات الشعوب او الثائرين دون الحكومات ومهما كان طابع الحكومة
سواء اكانت حكومة محافظة قديمة ام حكومة جديدة انبثقت مشلا عن ثورة
الشعب او الثائرين .

المقطع الثاني : تعريف الانقلابات المدنية والعسكرية :

١ - تعريف الانقلاب المدني : هو خروج سلطة مدنية على الحكومة وقلبها ولو بقوة السلاح والحلول محلها بالذات او بالواسطة وذلك عن طريق انتهاك حرمة الاساليب الدستورية او القانونية او العرفية (او ما شاكلها)

٢ - تعريف الانقلابات العسكري : هو خروج سلطة عسكرية على الحكومة وقلبها ولو بقوة السلاح والحلول محلها بالذات او بالواسطة وذلك عن طريق انتهاك حرمة الاساليب الدستورية او القانونية او العرفية (او ما شاكلها)

ملحوظة : يفرق علماء الحقوق الدستورية بين الانقلاب المدني الذي يسمى بالفرنسية *coups d'état* وبين الانقلاب العسكري الذي يسميه البعض من علماء الحقوق الدستورية بالكلمة الاسبانية الاصل وهي : « برونوسيا مينتو » *pronunciamiento* ؛ الا ان هذه الكلمة تعني باللغة الاسبانية غير ما يقصد هؤلاء البعض :

انما تعني بالاسبانية بالحرف الواحد : عملا ترفض به سلطة « وبصورة عامة قائم عسكري » الطاعة للقانون .

ونلفت النظر الى ان هذا التفريق بين الانقلاب المدني والانقلاب العسكري ضروري جدا لان القوة التي يتصرف بها الانقلاب الثاني وهي اعظم قوة في الدولة قد تضغط على الامة وترهق النفوس وتخلق الحريات العامة فلا نسمع لها صوتا بخلاف قوة الانقلاب المدني التي لا تشكل خطرا ان كانت قوية لانها اذا كانت قوية فانما تعتمد قوتها من الشعب والجيش على الغالب اما اذا تأمرت مع السلطة العسكرية فيكون الانقلاب المدني المزعوم انقلابا عسكريا لاكثر ولا اقل « فالانقلاب العسكري يكون اما بالذات او بالواسطة كما ذكرنا »

ملحوظ ٢ : يجب ان لا نخلط بين مفهوم الالفة ذات المدنية والانقلابات العسكرية من جهة وبين مفهوم الانقلابات الناتجة احيانا عن الثورات من جهة اخرى وقد لمنا عن هذه الانقلابات الاخيرة في الفقرات الاخيرة من تعاريف الثورات .

« انتهى تعريف الثورات والانقلابات وهو الفصل الاول »

الفصل الثاني : صفات الثورات والانقلابات

اذن : المقطع الاول صفات الثورات

المقطع الثاني : صفات الانقلابات .

المقطع الاول : صفات الثورات

كثيرا ما تغلب على الثورة صفة او صفات غائية دون غيرها

اذن القطعة الاولى : تقسيم الثورات من حيث الصفات الغائية المتغلبة عليها .

وان اهم الصفات الثورية الغائية التي اشتهرت بالتاريخ هي : الصفة العلمية ، الصفة السياسية ، الصفة الدينية ، اذن :

القطعة الثانية : الثورة العلمية

القطعة الثالثة : الثورة السياسية

القطعة الرابعة : الثورة الدينية

ولما كانت الصفة الغائية للثورات السياسية على الاقل هي قلب الحكومات

فاننا نستحسن دراسة موقف الحكومات وشأنها في الثورات .

اذن : القطعة الخامسة : موقف الحكومات وشأنها في الثورات .
وحيث ان بعض صفات الامة تساعد وتسبب احيانا الثورات او تمنعها كان
طبيعيا ان تقوم بدراسة : شأن الامة بالثورات - اذن :
القطعة السادسة : شأن الامة في الثورات

القطعة الاولى : تقسيم الثورات من حيث الصفات الغائية المتغلبة عليها :
يقسم كوستاف لوبون الثورات الى ثلاثة اقسام ، ثورة علمية ، ثورة
سياسية ، ثورة دينية ، ويقول ان هذا التقسيم هو بالنسبة الى الغاية التي تتوخاها
الثورة . ولكن هذا التقسيم لا يشمل جميع الثورات كما يتضح من تعريف
الثورات اللغوي او الاجتماعي وانما كوستاف لوبون اصاب حينما تجنب تقسيم
الثورات بالاستناد الى عناصرها . لان كثيرا من هذه العناصر هو مشترك بين
اكثر الثورات

لندرس بصورة خاصة الثورة السياسية وبصورة عرضية الثورة العلمية ،
وبصورة كافية الثورة الدينية نظرا لكون كثير من عناصرها هو مشترك بينها
وبين الثورة السياسية
القطعة الثانية - الثورة العلمية

وهي تحصل في ميدان العلم والعقل فتغلب عليها النزعة العلمية العقلية ويقول
كوستاف لوبون : وبما ان مرتبة هذه الثورات العلمية هو عالم الافكار فليس
للمشاعر والمعتقدات سلطان عليها وعلى المرء ان يعانيتها من غير ان يجادل فيها
لانه لما كانت التجربة هي الباحثة عن نتائجها فقد أصبحت لسانها يد النقد وتوحي
الثورة العلمية الى تحطيم العقائد الاجتماعية التي تؤخر في سير العلم ومعرفة الحقيقة فتؤهب
الثورة العلمية بذلك الجو الى الثورة السياسية والثورة الدينية ونذكر من

الثورات العلمية نظريات داروين التي احدثت انقلابا في علم الحياة ، ومكتشفات باستور التي احدثت تطورا فجائيا في علم الطب واليوم نرى نظرية انحلال المادة وتفكك الذرة تبدأ باحداث انقلاب عظيم في العلوم وخصوصا الكيمياء .

القطعة الثالثة - الثورة السياسية

وهي تحصل في عالم السياسة فتغلب عليها الصفة السياسية بقول كوستاف لوبون ان المعتقد السياسي هو ايمان اينسج في عالم اللاشعور وليس للعقل سلطان عليه رغم ظواهر الامور والثورات السياسية تنشأ عن معتقدات تأصلت في النفوس ولكنها من الممكن ان تنشأ عن اسباب كثيرة اخرى تجمعها كلمة استياء فمضى بعم الاستياء في البلاد يتألف حزب قادر على مكافحة الحكومة فلقد قامت ثورة كرموبل بانكثرتة في وجه مليكها في وجه الحكومة

فهي ثورية سياسية قبل كل شيء ، واثبتت الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩) في وجه الحكم الملكي وفتح عن ذلك ما نتج فهي ثورة على الاوضاع السياسية كيف ما كانت النتائج ، : انها ثورة سياسية ، وكذلك ثورات عام ١٨٣٠ ، وثورات عام ١٨٤٨ ، في اوروبا والثورات القومية بالنصف الاخير من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين ، فهذه الثورات هي كلها ثورات سياسية ،

اما العالم العربي قال اكثر حكوماته لانتكيف مع التطورات التي اخذت تتراكم وتكثر حتى تكبرب الجو في اكثر بلدان هذا العالم واخذت التهجيمات الشعبية تنكرر على تصرفات الحكومات وبدأت الجوع تأهب للثورة على هذه الحكومات وتنصف الثورة بانها احادثة مستمرة مرتبطة بما بهدها وما قبلها ، اسرعت في تبلورها فاقترب بذلك من معنى التطور عند داروين ومن معنى الصراع الطبقي عند ماركس ولكن لوبون الذي

يؤمن بأن الثورة حادثة مستمرة يستدرك فيقول : « ولكن جميع الثورات الحديثة
وقمت بنتمة كأنها منفصلة عما قبلها ووجب انقلاب الحكومات فجأة كالثورة
البرازيلية ؛ والثورة البرتغالية والثورة التركية والثورة الصينية » .
ويقول ايضا ان الامم المحافظة (اي التي تحرص على تقاليدھا ووضاعھا) هي
التي تعرف اشد الثورات خلافا لما يظنه البعض .

القطعة (٤) الثورة الدينية .

وقد تكون اثورة في ميدان الدين لصالح دين ضد آخر او لصالح دين معين فالثورة المسيحية
على الوثنية في عهد الرومان هي ثورة دينية والثورة البروتستنتية هي ثورة دينية
والثورة الوهابية هي ثورة دينية والثورة المحمدية على قبائل عرب الجاهلية هي ثورة دينية .
ويلاحظ كوستاف ان شأن العقل ضئيل في انتشار المعتقدات وارجح
الاضطهادات عديمة التأثير وان التسامح بين المعتقدات المتباينة مستحيل وان اشد
القساوات والملاحم تصدر عن تصادم العقائد المختلفة وأنه يستحيل تحويل الناس
عن عقيدتهم قبل تحويل كياناتهم .
ويسهل الاضطهاد انتشار المعتقدات الدينية وهذه المعتقدات لا تنتشر عن
طريق العقل بل عن طريق المذوى النفسية والتلقين والتكرار والتوكيد
والنفوذ .

القطعة الخامسة : موقف الحكومات من الثورات وشأنها فيها :

اذا تكيفت الحكومة حسب مقتضيات التطور فقد
لا تموت اما اذا وقفت في وجه التطور فقد تهب الثورة في وجهها فاذا وقف

الجيش على الحياد على الأقل فانها سرعان ما تقبض اركانها وتتحطم وينتهي امرها.
ان كثير من الامم الحديثة :

كفرنسا واسبانيا وبلجيكا وايطاليا والنمسا وبولونيا وتركيا والبرتغال عانت
امر الثورات التي حدثت طالبا فجأة وقلبت الحكومات ويسل حداث الثورة
الفجائي بسرعة العدوى النفسية التي تنشأ عن طرق النشر والاذاعة في الوقت الحاضر
ويقول ان الجيش لم يعد في الثورات المذكورة يذامونة للحكومات ولم يقم
بوجهها بل رعا وقم العكس فالجيش هو الذي قام بالثورات في البرتغال وتركيا.
« بقصد لوبون بالثورة التركية هنا الانقلاب الذي احدثته جمعية الاتحاد والترقي
عام ١٩٠٧ لا الانقلاب السكالي » والجيش هو الذي تمت على يده الثورات العديدة
في الجمهوريات الاميركية اللاتينية الاسبانية .

ولكن الثورة تبدأ طالبا من غير ان يكون للجيش دخل فيها ثورات عام
١٨٣٠ ، عام ١٨٤٨ ، عام ١٨٧٠ في فرنسا

وقد تنهض الحكومات وتحاول ان تقوم باصلاحات فجائية تشبه الثورات
ويتحدث البعض احيانا عن ثورات الحكومات على الاوضاع الاجتماعية اي عن
سميها قلب الاوضاع الاجتماعية وابدالها باوضاع جديدة ويتحدثون عن اصطدام
الحكومات مع مجتمعاتها من اجل هذا التجديد الا ان هذه الطريقة بالكلام وهذا
التجديد الذي يسمونه ثورة الحكومة على الشعب لا دخل له بمفهوم الثورة بالمعنى
الذي قصدناه اثناء تعريف الثورة تعريفا سياسيا ولا دخل له اذن بموضوعنا
ويلاحظ لوبون ان رسوخ الروح القومية قد يجعل الثورات طاجزة عن انفس
الاوضاع القديمة او قسم منها وهكذا قد تكون الاوضاع الجديدة طاجزة عن
الثبات فتتحطم امام الروح القومية القديمة او يتحطم جزء منها ولو ان الحكومة
القديمة سقطت على يد الثورات ، فقد قلب ثورات الامم الحكومات التقليدية

القديمة التي رتكز نظامها السياسي على تقاليد راسخة بالشعب (اي على المنصر) ولكن قد تكون الحكومة الجديدة عاجزة عن عدم السير على منوال الحكومة المخلوعة احيانا وقد لا تتألف حكومة جديدة عندئذ يلتفت الشعب الى الورا : قام الفلاحون بثورة (١) قديمة منذ مئات السنين بانكلترة في وجه الاقطاعيين والحكام والمالك؛ وكانت تلك الثورة ثورة عنيفة جدا فقتل الفلاحون من قتلوا من الطبقة الحاكمة، وهرب الباقي الى اوربية ولم يبق في انكلترة آ نئذ اقطاعي واحد . ولكن الشعب الانكليزي عجز عن لسيير دفعة الحكم وعرف نفسه انه غير مستعد لتبديل تقاليد وادعاءه الاجتماعية الراسخة به فلما كان منه الا ان سمى بنفسه لارجاع الهاربين واحضار امثالهم من الخارج واعادة المياه الى مجاريها وهكذا يتأيد قول لوبون بان رسرخ الروح القومية قد يجعل الثورات عاجزة عن نفس الاوضاع القديمة او قسم منها .

القطعة السادسة - شأن الامة في الثورات

للامة صفات قد تمنع حدوث الثورات وصفات اخرى ان اشتدت فيها ونمت قد تجعلها امة ثورية من الطراز الاول . ويمكن جمع الصفات الاولى بكلمة مرونة الامة وجمع الصفات الثانية بكلمة متانة . فالمرونة تفيد الروح المحافظة في الامة والاستمرار على ماهي عليه من الاوضاع والمرونة تعني الروح المجددة والتطور والتكيف حسب الظروف يقول كوستاف لوبون :

(١) هذه الثورة هي غير (ثورة كرومويل ، التي بدأت عام ١٦٤٢)

إذا اشتدت المتانة في الأمة فالأمة سائرة الى الانقراض والهلاك لا محالة
وإذا اشتدت المرونة فالأمة تنساق الى القيام بثورات متوالية والى الانحلال والميوعة
والامم القابلة للاستمرار بالحياة هي التي عرفت ان توازن بين هاتين الصفتين
كارومان في التاريخ والانكليز اليوم .

وهناك نقطة يجب تبيانها : الأمة المرنة تكثر بها الثورات، الأمة المتينة المحافظة
الراسخة الروح لا تحدث بها ثورات الا نادرا ولكن الثورة التي تحدث بها
عندئذ تكون شديدة . أدت :

ثورات الأمة المحافظة شديدة ولكنها نادرة

ثورات الأمة المرنة اقل شدة . ولكنها مألوفة وكثيرة الوقوع .

وهكذا يكون عنصر المتانة او عنصر المرونة في الأمة ذا شأن عظيم

ويتجلى لنا شأن العنصر في مصير الامم عند البحث عن تاريخ الثورات الاميركية -
الاسبانية الدائمة ، ان الامم الاميركية الاسبانية موحدة اي عبارة عن اناس
تفككت عرى اخلاقهم بتأثير الوراثة المتباينة وقد حرهم ذلك روحا قومية ثابتة
وجعل امر حكمهم متعذرا

ان هذا العنصر هو عنصر تاريخي موروث متألف من افكار الأمة
ومشاعرها وتقاليدها واوهامها

ونلاحظ ان للزعماء شأنا كبيرا في نفوذ الروح الثورية الى الأمة
فالزعماء هم الذين يديرونها ويحركونها ولكن الثورة لا تبدأ الا عندما
يمس الضرر الافراد .

وعندما تصبح الثورة واقعا قال الامم الشائرة لا تدرك غاية الثورة الحقيقية

(الا فيما بعد) ولانعم مباديء الثورة ولدخل في قلب الامة الارويديارويديا وبالتدريج
ان الثورة نفسها قد تحدث بسرعة ويجب ان تستند مباديء الثورة الى
خلق التدبير والى العاطفة حتى تتغلغل بسرعة في نفوس الجماعات وحق
تكون هذه المباديء قوية ومؤثرة .

لذلك وجب على الزعماء تصوير مبادئهم بايمان جديد متولد من المنافع
المعملية الظاهرة بفتح امالا جديدة للامة ، حتى يتمكنوا من تحريك النفوس
واستخدامها والزعيم او الزعماء لا يقومون غالبا وحدهم بتسيير الثورة فللمباديء
الثورية شأن في تسييرها وللجيوش ايضا شأن وللجموع ايضا شأن وكذلك
للحزب والاندية شأن ولكن كل ذلك هو بالحقيقة وسائل يستخدمها الزعيم
او الزعماء الذين يحركون الامة ويقودونها فلا ثورة بدون زعيم
واخيرا هل الامة نفسها التي تنور ام قسم منها واذا كان الثائر هو قسم
منها فما يتألف هذا القسم ؟

من هم هؤلاء الابطال الذين يشكلون جيش الثورة المدني ؟
يقول كوستاف ان الفلاحين والتجار وجميع انواع العمال وبكلمة واحدة
اولئك الذين بحاجة الى السكنى والنظام ليقوموا بمهنتهم لا يقومون بالثورات
بقانا وهم يمشون عيشة عناء وسكون وهم يؤفون اكثرية الامة .
اذن فمن هم الذين يقومون بالثورة ؟؟؟

انهم عمالة اجتماعية هادمة ذات نفسية اثيمة ، انهم اناس يؤاف بحزبهم
جيوشا متمردة تحولات بتأثير البؤس وتعاطي الكحول الى لصوص وصعاليك
واشقياء وعمال سفلة ذوي بطالة وياحق بهم البطالون والاخلفاء بدافع العدوى
ويسيروا بالثقلين الى ما يرغب الزعماء دون ادراك الغاية الصحيحة وهم اشبه
بالجراثيم لكل عصيان

ويقول كوستاف: ان شأن هؤلاء السوق لم يحد في دور من ادوار التاريخ كإمتداده أيام الثورة الفرنسية .

والخلاصة ، جيش الثورة المدني ليس الا الطبقة السافلة ؛ والسوقه ، ورعاع الامة والصماليك فقط لاغير تقريبا اما جماعة الشعب الحقيقي ، والاكثرية الساحقة منه فهي محافظة تقليدية لا تقوم بالثورات وقد يرتاب منها رجال الثورة وهي نواة الامة الثابتة وهي مدار بقائها وقوتها ويؤثر عليها الخوف ويجعلها مطيعة للزعماء فيقودونها بنفوذهم

ولكن سرطان ما تضجر هذه الطبقة المحافظة من الثورات فتندفع بزوحها التقليدية الى الوقوف امام الفوضى عندما تستفحل باحثة عن رئيس قادر على اعادة النظام .

فناية هذه الطبقة هي الهدوء والسكينة والامان ، لتتمكن من العمل باطمئنان فتراها عندما تضجر من الثورات والفوضى تسعى لسيادة الحكم المطلق ولذلك يقوم دوما الحكم المطلق بمد الفوضى .

وهكذا ترى ان للامة شأنا كبيرا بالثورات ولكنه ليس كما جاء في كتاب الاقاصيص .

المقطع الثاني : صفات الانقلابات :

نتبع هنا نفس المنهج الذي اتبعناه في تقسيم بحث المقطع السابق المتعلق بصفات الثورات اذن :

المقطع الاول :

تقسيم الانقلابات من حيث الصفات الغائية المتغيرة عليها .

القطعة الثانية : الانقلاب العلمي .

القطعة الثالثة : الانقلاب السياسي

القطعة الرابعة : الانقلاب الديني

القطعة الخامسة : موقف الحكومات وشأنها في الانقلابات ،

القطعة السادسة : شأن الأمة في الانقلابات .

ولكننا سوف نختصر البحث في هذا المقطع لسبيين أو لهما ١ - هو تشابه المقطع السابق مع هذا المقطع ٢ - وثانيها هو عدم شرعية أكثر الانقلابات على الغالب .
القطعة الأولى : تقسيم الانقلابات من حيث الصفات الغائية المتغلبة عليها :

يتضح من بحث تعريف الانقلابات أن هنالك ثلاثة أنواع من الانقلابات وهي

١ - الانقلاب المدني ٢ - الانقلاب العسكري

٣ - الانقلاب الناتج أحيانا عن الثورات . ولا علاقة لنا بالنوع الثالث

وانما نقتصر على النوعين الأولين

تغلب على الانقلابات المدنية والعسكرية الصفة

والغاية السياسية ، وقد تغلب عليها الصفة والغاية الدينية ولكن نادرا ، أما الصفة

والغاية العلمية فلم تغلب بل لم تنصف بها ولم تقصدها الانقلابات بناتنا في مجرى

التاريخ حتى اليوم وعليه يمكن تقسيم الانقلابات من حيث الغاية إلى انقلابات

سياسية وانقلابات دينية أما الانقلابات العلمية :

القطعة الثانية : « الانقلابات العلمية » وفلا وجود لها حتى اليوم إلا بمعنى

الانقلابات العلمية وغيرها الناتجة عن الثورات « وبصورة خاصة عن الثورات

العلمية » وهذا ما استثنيناه وما ذكرناه سابقا . فقد تمهد الثورات العلمية على

حد سواء للثورات الاخرى او الانقلابات الاخرى بما تحدثه من تطورات
واكتشافات تؤثر في مفاهيم ومعتقدات البشر وتبدل فيها وتجعلها غير قابلة
بالاوضاع القديمة وساعية بالقوة الى تبديلها.

القطعة الثالثة : الانقلابات السياسية

وهي تحصل في عالم السياسة فتغلب عليها الصفة السياسية وتنشأ الانقلابات
غالبا حينما يكون الشعب او اكثرية مستاءة من الحكومة او الملك او الحاكم فيستثمر
احد او بعض القواد العسكريين او احدا وبعض رجال الحكومة او البلاط او القصر
هذا الاستياء ويقومون بالانقلاب السياسي بسهولة كما فعل الطاغية حسني الزعيم
وهناك اسباب كثيرة ادت بالتاريخ الى احداث الانقلابات ولا نستطيع في هذا
الكتاب الصغير شرحها وذكر امثلة عليها . والاحظ ان اكثر الانقلابات حدثت
بالتاريخ لتبديل الحكومة او الملك او الملكة او الوصي، بحكومة او ملك اخر،
او ملكة اخرى او وصي آخر . ولعلنا نحدث لابdal نظام الحكم بنظام
حكم آخر.

القطعة الرابعة : الانقلاب الديني

وهو يحصل في عالم العقائد الدينية فتغلب عليه الصفة الدينية ولكن زدد ما قلناه وهو انه
ما من ثورة او انقلاب الا ويتصف بعدة صفات وائس بصفة واحدة وخصوصا الانقلاب
الديني الذي هو انقلاب سياسي ايضا بان واحد .
فقد يندفع الجيش او هيئة حكومية بتأثير العقائد الدينية ولكن اول غم
يقومون به هو قلب الحكومة انهم يحدثون الانقلاب السياسي قبل كل شيء من
اجل تحقيق غاياتهم الدينية .

وقد تكون العقيدة الدينية التي يتصف بها الانقلاب ليس الا خديعة لارضاء الشعب لا اكثر ولا اقل واقناعه باسقاط الحكومة او الملك والى آخره.. ولكن قد تكون العقيدة الدينية صحيحة ايضا فيكون الانقلاب السياسي الناتج عنها ليس الا وسيلة لتحقيق الغايات الدينية. عندئذ يمكننا ان نسمي الانقلاب بانقلاب ديني لكون العقيدة الدينية فيه هي : الاساس والحرك الاول بالاشخاص الانقلابيين وتشابه الانقلابات مع الثورات في كثير من الامور . ولذلك ان نطيل فيها الحديث واذا كان الجيش يساعد الثورات غالبا او لايعارضها على الأرجح قال الشعب كذلك قد يؤيد الجيش في حر كانه الانقلابية كما حدث في سورية اثناء انقلاب الطاغية حسني الزعيم وقد رسكت الشعب احيانا على الانقلاب كما حدث ايضا في سورية اثناء انقلاب الطاغية ادب الشيشكلي .

القطعة الخامسة: موقف الحكومات وشأنها في الانقلابات

لا تتطبيع الحكومة او الملك والى آخره . ان تقف في وجه الثورة العسكرية وزاها تداعى بسرعة البرق ، ولا يبقى لها اثر والحكومات التي قاومت حركة الجيش ووقفت في وجهه مستندة على الشعب لاجود لها الا في القمع والروايات ولكن قد نهرب الحكومة او الملك الى خارج البلاد او الى مكان قصي فيها مثلاً، وتنتظر الظروف المؤاتية تنتظر انقسام الجيش مثلاً او ثورة شعبية مثلاً او سلطة اجنبية تساعد على استعادة وضعها وسلطانها المساوية .

القطعة السادسة: شأن الامة في الانقلابات :

لا يكون الامة بتاتا علاقة مباشرة بالانقلابات،

ذلك لأن الانقلابات تحاك وتدبر بالخفاء فإن كانت مدنية فإن رجال السلطة الراغبين بالانقلاب يخشون من الحاكم أو الحكومة أو الملك أو الجيش ولذلك يعملون بالخفاء وإن كانت الانقلابات عسكرية فإن رجال الانقلاب العسكريين يخشون أن تمزقهم الحكومة وتسجنهم قبل قيامهم بانقلابهم فيدبرون أمره أيضا في الخفاء وهم من جهة ثانية اقوياء يستخدمون قوة السلاح عند الحاجة. والنظام العسكري المعمور بالطاعة العمياء يساعدهم في مهمتهم ولذلك تراه لا يشعر كون الشعب معهم لأنهم ليسوا بحاجة اليه وحتى لا يشعر كون ولا يطلعون احدا من المدنيين على مؤامرتهم الانقلابية الا نادرا والافليلا . وانما تؤثر الامة بالانقلابات بصورة غير مباشرة احيانا ؛ فلقد قلنا انها حينما تساء من رجال الحكم فإن بعض رجال السلطة المدنية او رجال الجيش قد يستغلون هذا الاستياء وينتفضون على الحكومة او الملك ويقلبونه بسهولة . ولا من يشد أزره وان وجد احد فلا يستطيع عمل شيء . اثناء الانقلاب واذا استطاع فانما يستطيع بالمستقبل وحين تصبح الظروف مؤاتية .

والروح النظامية شأن كبير في الانقلابات العسكرية فإن كانت ضعيفة فإن هذا الجيش يكون مستعدا لاحداث الانقلاب في اكثر المناسبات .
ملحوظة : ان جميع ما ذكرناه عن صفات الثورات ينطبق على الانقلابات وانما الخلاف في شدة هذه الصفات اوضاعها فقط ، مع تحفظ واحد وهو ان الصفة العلمية تغلب قط على الانقلابات المدنية او العسكرية والتاريخ لا يعرف انقلابا علميا منذ اقدم الازمنة حتى اليوم ، وبالعكس فإن كثير من الافراد المدنيين العلماء احدثوا ثورات علمية (في النواحي العلمية) مهتة كثيرا لاحداث ثورات الفكرية او السياسية او الاجتماعية والى اخره .. والى احداث الانقلابات العسكرية او المدنية

الفصل الثالث : صفات النفسية السائدة أيام الثورات والانقلابات.

اذن مقطعان :

المقطع الاول : صفات النفسية السائدة أيام الثورات

المقطع الثاني : صفات النفسية السائدة أيام الانقلابات

المقطع الاول : صفات النفسية السائدة أيام الثورات.

نشاهد تقلب الخلق أيام الثورات اذن القطعة الاولى :

تقابلات الخلق أيام الثورات.. وتقلب على بعض الافراد صفة التعقل ولوطاها

فقط وعلى البعض الاخر صفة التدنن وعلى فئة ثالثة صفة الثورة ، وعلى فئة رابعة

صفة الاجرام

اذن

القطعة الثانية : النفسية العقلية

٣ النفسية الدينية

٤ النفسية الثورية

٥ النفسية المجرمة

وتتخذ الجموع الثورية روحا تختلف تماما عن روح الافراد المؤلفة منهم

وكذلك روح المجالس الثورية.

اذن :

القطعة السادسة : روح الجموع الثورية .

القطعة السابعة : روح المجالس الثورية.

القطعة الاولى : تقلبات الخلق أيام الثورات

يقول كوستاف :

« يوجد عند كل انسان ، الى جانب نفسية ثابتة ، مادامت البيئة لا تتحول » :

شؤون خلقية متحولة قد تظاهرها الحوادث وتكون ذاتية الانسان الخاصة من اجتماع ذاتيات ارثية عديدة وينشأ عن اختلاط هذه الذاتيات موازنات تبقى ثابتة ما دامت البيئة لا تتقلب . فمعي تقلبت هذه البيئة كثيرا ، وذلك كما يقع ايام الفتن والثورات فان هذه الموازنات كنداعى ويتكون من انضمام العناصر المنحلة ذاتية جديدة ذات افكار وعواطف ومناهج تختلف جدا عما كان مشهورا عند الاشخاص انفسهم »

« وتشكل الذاتية الجديدة بعد انحلال الذاتية الاعتيادية بوسائل كثيرة اهمها حيازة معتقد قوي فيوجه هذا المعتقد جميع عناصر العقل والتمييز كما يحول الحجر المغناطيسي ذرات المعدن المغناطيسي الى منحنيات منظمة » .

فكان انمورة رجل كيميائي بارع يؤثر على العناصر فيحولها ويؤلف منها جسا جديدا ، يؤثر على ذاتية الفرد فيحولها وقد يقلبها رأسا على عقب ولكن الذكاء يبقى هو هو وانما الذي يتغير هو المشاعر ، والخلق يتكون من انضمام المشاعر بعضها الى بعض .

نعم في ايام اثورات المشاعر المكبوتة ، المشاعر المكبوتة وتنطلق من عقلاها عند هدم الزواجر اي عند ما تصبح السلطة الحاكمة ضعيفة او عاجزة عن حفظ الامن او متلاشية .

وهناك زواجر اجتماعية قائمة على القوانين والتهذيب والتقاليد والمادات ، زواجر داخلية في النفس تسقط ايضا ولكن تبقى منها على الغالب بقية باقية رغم الثورات والاضطرابات وما يبقى منها قد يوقف فيما بعد ثورات

المشاعر المشتعلة على الخطر والمهددة لسلامة الدولة .
وام الزواجر الخفية هي روح الجنس التي تسبب الادراك المشترك والشعور
المشترك والعزم المتبادل فتسبب بذلك عادة ارثية

ومها تحولت سطحية النفوس اثنا الثورات فان تأثير الجنس يحدد هذه
التحولات فواقع ان ظواهر الامور هي التي تتغير وحدها فقط وينمو الحق وال خوف
والحرص والحسد والزهو والحماسة وغيرها من العناصر العاطفية ايام الثورات
فيساعد هذا النمر على تغيير ذاتيات الافراد والجماعات وتأثير جميع ثورات التاريخ
على الاطلاق ينمو هذه العناصر العاطفية فتجمل من الثورة قطعة من النار تلتهم
امامها المفلوبين على امرهم . بلا رحمة ولا شفقة وتظهر هذه العناصر في اربع
نفسيات على العموم وهي النفسية العقلية والنفسية الدينية والنفسية الثورية
والنفسية المجرمة على ان هذه العناصر التي تفعل بالافراد والجماعات تظهر بنفسيات معقدة
ومركبة من عاطفة وعقل ودين وثورة واجرام وتأثير الجماعات وغير ذلك وهذا التقسيم
الى اربع نفسيات هو غير صحيح ولكن هناك بمض النفسيات التي يغلب عليها العقل
فنسميها عقلية مع العلم انها تتأثر بالدين والثورة والاجرام وغير ذلك ايضا فنسميها
بالنفسية العقلية لتغلب عنصر العقل عليها فقط لا لكونها عقلية بحتة فالحقيقة ان
النفسية العقلية ايام الثورة هي نفسية دينية وثورية واجرامية وغير ذلك ايضا في
آن واحد ولكن تغلب عليها صفة العقل .

وما نقوله عن النفسية ، العقلية نقوله عن النفسية الدينية التي يغلب عليها عنصر
الدين وتشترك بها سائر العناصر الباقية ايضا من عقل وثورة واجرام وغير ذلك
وما نقوله عن النفسية العقلية والنفسية الدينية نقوله ايضا عن النفسية الثورية والنفسية
الاجرامية ، فكل نفس من هذه النفوس الاربع تغلب عليها صفة واحدة ولكن

تشارك بها وتنفصل بها كل واحدة من الباقي من الصفات الاربع : العقلية ،
والدينية ، والثورية ، والاجرامية . وصفات اخرى : هذا التقسيم هو طريقي
methodique فقطلا حقيقي .

القطعة الثانية : النفسية الدينية : وهي نفسية المعتقدين المتدينين الذين تأخذهم الحمية
الدينية ؛ نفسية السواد الاعظم من البشر ماضيا وحاضرا وهي على الاخص نفسية زعماء
وجالات الثورات الدينية وتشارك الى حد ما حتى في تأليف نفسية المقلين والبعثويين
فترى حتى زعماء "ثورة" الفرنسية المعبودين وحتى رويسبير وما كسيميليان وامثالهما
يظهرون ما عندهم ايضا من الروح الدينية في بعض الاعمال الدقيقة . - ويؤثر بالنفسية
الدينية المنطق العاطفي والمنطق العقلي ومنطق الجماعات وسائر العناصر ولكن العنصر
المسيطر فيها هو المنطق الديني المؤلف من عناصر الدين .

تصف روح الدين باسنادها قدرة عظيمة الى موجودات وقوى علوية
تمثلت بشكل اصنام او انصاب او الفاظ او صيغ . والروح المذكورة هي اساس
لجميع المعتقدات الدينية وكثير من المعتقدات السياسية وكثيرا ما تلاشى
المعتقدات السياسية اذا جردت عن عناصر الدين التي هي اركانها الحقيقية .
والمنطق الديني مشرب بالمشاعر والدوافع العاطفية ، والثورات والفتن تستمد
قوتها منه في التاريخ وفي العصر الحاضر .

واذا كان الناس لا يبدلون حياتهم في سبيل المعتقدات الا قليلا (العلماء
منهم) فانهم يقدونها طوعا في سبيل خيال ديني اصبح معبودا والمنطق الديني لا يعرف
النساجح والانسانية بقاتا مع اعدائه اثناء الثورات . ولا تقوى الثورات في التاريخ
الا اذا انتشرت مبادئها بمنطق ديني وليس ضروريا ان تكون مبادئ الثورة
مبادئ دينية وانما الضروري ان تكون هذه المبادئ مصوغة بقالب ديني وان
تكون حميتها حمية دينية وهكذا تغفل بسهولة في الجماعات وتجملهم يثرون

وينقادون للزعماء ولقد صبغ ما كسيميليان دعوته الثورية بصباغ ديني في الثورة
الفرنسية وكذلك كان شأن الزعماء : كوتون، سان جوست، دانتون، روبيسبير
وغيرهم .

والنفسية الدينية نفسية عتيقة تضع الشفقة والرحمة والانسانية والتسامح
جانبا عندما تصطدم مع اعدائها اثناء الثورات ولا تأخر لحظة عن الزام الناس
بعبادتها اذا قدرت ، وهي تحكم بالموت احيانا على من لا يدين بعبادتها . وليست
شخصيات اثورة الفرنسية والثورات القديمة وحدها هي التي اصطفت بالمنطق
الديني بالنفسية الدينية فحسب بل ان ابعد الثورات عن الذين كاثورة الشيوعية
قد سلكت في طريقها المنطق الديني فلقد كانت المبادي الشيوعية ولا تزال ديننا
يدين به كل شيوعي فكثيرا ما تحطمت اصنام بالتاريخ ولكن لا كرها بها بل
لانشاء وعبادة صنم جديد ولما انتصرت الروح الشيوعية تطبق النظام المقارب لها
ولم يتأخر زعماء الشيوعية لحظة عن تطبيق النظام على الناس وقتل كل من لا يدين
بدينهم أو عدم تشايعهم معه وقد كانت جميعهم حمية دينية ولو انها حطمت الكنائس والمساجد
وفي بادئ الامر واعدمت وقتلت ذلك لان التأثير الديني ايضا لا يعرف التسامح كما
ذكرنا اثناء اصطدامه مع اعدائه. يقول كوستاف لوبون لا يمكن ادراك هذه
الثورات اذا ظن ان مصدرها العقل فللمعتقدات التي اقامت العالم واقدمه سواء
اكانت دينية ام سياسية مصدر واحد وكلها تسير على سنة واحدة وهي انها
لم تتم بالعقل وكثيرا ما تمت خلافا لكل عقل ، نعم ، يظهر ان البوذية ،
والنصرانية والاسلام والاصلاح الديني البروتستنتي، والسحر ، واليمينية داي
المقلية ، والاشتراكية والمذهب الروحاني معتقدات متباينة ولكنني اكرر قولي
بان لها دعائم عاطفية ودينية واحدة وتنبع منطقا لاقاربة بينه وبين المنطق العقلي

وقوتها ناشئة عن ما للعقل من التأثير الضئيل في تكوينها وتحويلها ،
ولما كان سلطان العقل ضئيلا على المعتقدات الدينية فإن من اللاغو ان يجادل
كما يفعل البعض فيما للعباديـه الثورية والسياسية من القيمة العقلية .
القطعة الثالثة : النفسية العقلية :

وهي نفسية زعماء ورجالات بعض الثورات السياسية كالثورة الفرنسية ولكن
هذه النفسية ليست نفسية عقلية صرفة بل تندخلها عناصر التدين وغيرها كإسبيجي .
ولو جد النفسية العقلية أو اليقينية خاصة عند ذوي الاخلاق المتحمسة الضيقة وقد يتأثر
بها حزب معين دون ان تخلو نفسه من عناصر أخرى كعناصر التدين ويتجلى بهذه
النفسية بصورة خاصة بعض العلماء والفلاسفة ولكن دون ان تخلو نفسياتهم من
عناصر أخرى أيضا .

وهي نفسية يغلب عليها عنصر العقل ظاهرا فقط ويشترك بها سائر العناصر
وتقابل النفسية العقلية النفسية اليقينية في عصر الثورة الفرنسية ويزعم
المقلوبون أو اليعاقبة بتحررهم من الدين وبأن العقل النظري هو الوجه
الوحيد لهم .

وبالحقيقة ان زعم المقلبين واليعاقبة خاطي .

فالنفسية اليقينية أو العقلية تتألف في عصر الثورات المعاصرة وفي الماضي
بصورة خاصة من ثلاثة عناصر :

العقل الضعيف الخاسة الشديدة التدين القوي .

(ولكن مر معنا ان التدين لا يعني الايمان بدين معين فحسب بل يعني
ايضا الايمان بمبدأ معين على الطريقة الدينية)

فاذا كان ذوو النفوس الدينية بصوغون الدين ويطعمونه بطايع العقل فإن

ذوي النفوس العقلية بصوغون العقل بصورة لاشعورية وبطبعونه بظالم التدين فيؤمنون به كأنه دين لهم وكلا الفئتين لا تأخر اذا عكست عن ارهاق اعدائها والحكم على كل من لا يدين بمعتقداتها بالموت وكلا الفئتين لا تعرف التسامح بآثار اثناء الثورات ، اذن : عنصر التدين يؤثر في كليهما .

القطعة الرابعة : النفسية الثورية :

وهي نفسية يثلب عليها المنصر الثوري ويشترك بها سائر العناصر واهمها عناصر التدين وهي على العموم نفسية بعض النفوس المضطربة المتقلبة الماخطة المتأهبة للتمرد على اي نظام (ولو تحققت جميع رغائبها) وتنشأ غالبا عن عدم التناغم مع بيئته او عن مقالة في التدين والمماطفة كما قد تنشأ عن مزاج او عن مرض وهذه النفسية هي نفسية مخربة فمتى تندلع الثورة وتحرر هذه النفسية من سطوة القانون تطلق المنان لفرائزها وترغم الفن ولا يهجمها غلبة الثورة بآثارها وتسيطر الوسواس على النفسية الثورية احيانا فتقوم بالمظالم بينما تظن انها تقوم باعمال اصلاحية . ولكن النفسية الثورية ان كانت صادرة عن العقل كثورة الملاء بدلا من المماطفة والتدين فانها تكون نافعة ومصدرا للابداع والتقدم والرقى كثورة العالم كاليه ولا فوازيه وداروين وباستور خلافا للروح الثورية المخربة السابقة المرتكزة على عناصر التدين والمماطفة ولكن النفسية الثورية ولو كانت نافعة لا تلبث ان تصبح مفسدة متى لازمها الافراط والمبالاة ، متى لازمها التدين والمماطفة .

القطعة الخامسة : النفسية المخرمة .

وهي نفسية يثلب عليها عنصر الاجرام وتشترك بها سائر العناصر ، نفسية اثمالة من المنحطين وعديمي الالتئام مع مقتضيات المجتمع وذوي النقائص المتنوعة

ويتكون من هؤلاء المتشردين وانصاليك والمذنبين والمحكوم عليهم والسارقين والقتلة والسائلين فريق المدن الكبيرة الذي لا وازع له ولا رادع له في الازمنة الاعتيادية الا المجرم او الشرطة ، ولا يوجد ما يردعه ايام الثورات فتراهم يقتل ويسلب بسهولة ويطلق العنان لتفريزته وسلوكه الشرير . ومن هذا الفريق يجمع رجال الثورة جنودهم فاذا اطلقوا على هؤلاء الزمر لفظة مجرمين بالعادة فانه يجب ان نضيف اليهم فريق اشباه المجرمين او فريق المجرمين انتهازا وهذا الفريق الاخير يخاف في الظروف الاعتيادية من سطوة السلطة والقانون فاذا ما هبت الثورة وسنحت له الفرص ان يتخلص من خوفه من السلطة التي تكون قد داعت تراه ينتهز الظرف ويتحول الى مجرم سفاك .

يقول كوستاف لوبون : ويتكون من فريق المجرمين اعتيادا وفريق المجرمين انتهازا جيفل مخل بالنظام وعليه يعتمد جميع الثوريين وجميع القائمين بالثمن الدينية والسياسية وهذا الجيفل المجرم المذكور اذا حوى من اصحاب النفوس البسيطة الساذجة الذين يسرون حسب تحريض الزعماء فانما يحوي قسما ضئيلا جدا فقط لا غير . وليس للمقل سلطان على هذا الجيفل المجرم المحرب القاهر للمقل .

القطعة السادسة : روح الجموع الثورية :

في هذه القطعة لابد لنا من درس صفات الجموع العامة ، ولما كانت روح الجموع اثنا الثورة تتور كالزوايع وتقلب كاللدار ؛ كان لابد من الفات النظر الى تقييدها ذي الفعالية الساكنة وهو روح العرق (الشعب) وحيث ان القائد لروح الجموع الثورية هو زعيم قبل كل شيء اخر ولو تجسدت فيه البسادي .

فاننا لا بد لنا من اظهار شأن الزعيم في الحركات الثورية .
اذن :

الفقرة الاولى : صفات الجموع العامة .

الفقرة الثانية : فاعلية روح العرق (الشعب) في وضع حد لتقلبات
روح الجموع .

الفقرة الثالثة : شأن الزعماء في الحركات الثورية .

الفقرة الاولى : صفات الجموع العامة .

يقول لوبون :

لاتأني الثورات بجميع نتائجها الا بعد دخولها في نفوس الجماعات ولهذا

فهي نتيجة لروح الجموع .

اي المرء وهو جزؤ من الجماعة يختلف جدا عنه وهو منفرد فذايته
الشاعرة تفنى في ذاتية الجماعة الغير الشاعرة (الجماعة هنا هي مجموعة موقفة
من الناس اجتمعت لاسباب طارئة) ولروح الجماعة التي تتشكل وقتيا مركب
خاص يتصف بقلب العناصر اللاشعورية عليه قلبا تاما وهذه الناس تخضع
لمنطق خاص (منطق الجماعات) وتتصف الجماعة المذكورة بالمغالاة في سرعة
التصديق وسرعة الانفعال وعدم التبصر وعجزها عن التأثر بالمعقول فلا يمكن
اقناعها الا بالتوكيد والمدوى والتكرار والنفوذ ، وليس للحقائق والتجارب
تأثير فيها ويمكن حماها على تصديق كل شيء اذ لا يوجد ما هو مستحيل
في نظرها .

وتسبب سرعة التأثر والانفعال بالجماعة مشاعر مفرطة وهذه
المشاعر تكون ضارة او نافعة وخصوصا ابام الثورات حيث يكون

الافراط عظيمًا .

وتتلاشى الاخلاق الشخصية في الجماعات لما لها من التأثير في افرادها فيصبح فيها البخيل متلافا والمرتاب متمقدا والمصالح مجرما والنزل بطلا .

وتتوحد مشاعر افراد الجماعة وعزائمهم فتتألف من ذلك الوحدة النفسية التي تعطي الجماعة قوة عظيمة

الفقرة الثانية : فاعلية روح العرق في وضع حد لتقلبات روح الجموع :

تكمن روح العرق بالشعب لا بالجماعة لان الجماعة هي مجموعة موقنة من الافراد (كالمتظاهرين مثلا) اما الشعب فهو مفهوم قريب من مفهوم الامة . ويتصف الشعب بصفات ارثية مستقرة به فان كانت هذه الصفات قوية فانها تغلب على روح الجماعة .

ويختلف الشعب عن الجماعة بتركيبه من زمر (لا افراد) ذات منافع ورغائب مختلفة ؛ وبما يوجد في الجماعة من افراد (لازم) ينتمون الى طبقات اجتماعية متباينة .

والشعب يتقلب احيانا كالجماعة ولكن تقلبه سطحي وتوجد في اعماق روحه غرائز ثابتة متأصلة تدعمها روح العرق (او على الاصح : روح الشعب) الثابتة وكثيرا ما تغلب الروح الثابتة على روح التخريب اي كثيرا ما تغلب روح الشعب الساكنة على روح الجماعة المتقلبة .

فيمود الشعب وينظر الى الوراء فيهدم الجديد ويمسك ببناء القديم .

وتتأثر الجماعة بسهولة بالعدوى والتقليد عن طريق قادتها وزعمائها

أما (المرق) أي (الشعب) فلا يثأر بسهولة والطرق المعروفة هي الجرائد والمحاضرات والخطب والكتب ولكن هذه الأساليب يمكن ردها إلى التوسيع والتكرار والنفوذ والمدوى والتلقين المستعملة في التأثير على الجماعة .

ولا تنسرى المدوى النفسية مهما كان الأمر وتشمل الشعب بأسره على الغالب إلا رويدا رويدا .

وفي جميع الأحوال تكون المدوى بالجماعة أسرع من المدوى بالشعب .

وتكون الروح الشعبية عند جميع الشعوب مشبعة بخلق الدين دائما فالشعب يعتقد بوجود كائنات علوية كالآلهة أو الحكومات أو أعظم الرجال قادرة على تحويل الأمور كيفما تريد ويورث هذا الخلق عند الشعب ميلا شديدا إلى العبادة فيحتاج إلى معبود سواء أكان رجلا أم مذهبا ويتطلب عندما تخيغه الفوضى مسيحاً منقاداً وتنقل الشعوب بالجماعة من العبادة إلى الحق ولكن رويدا رويدا .

الفقرة الثالثة : شأن الزعماء في الحركات الثورية :

إن كل جماعة منجاسة أم متباعدة وكل مجلس ، وكل أمة وكل ناد يمكن أن يسير إذا لم يكن عليه سيد يقوده .

يقول كروستاف لوبون : وإن روح الجماعة اللاشعرة ترتبط بروح زعيمها فهو الذي ينجحها أو يهلكها ويلزمها بالطاعة المطلقة .

ويؤثر الزعيم في الجماعة بالتلقين خاصة ويتوقف نجاحه على طريقة تلقينه والتلقين بالجماعة سهل جداً يقول لوبون : والجماعة تكون بحسب أنواع التلقين أما هادئة أو هائجة أو مجرمة أو ذات بطولة وهذه الأحوال وإن جاز أن تكون ذات مظهر عقلي فإنه ليس فيها من العقل سوى الظاهر إذ أنه لما كانت الجماعة لا تتأثر بالمعقول فإن الأفكار المؤثرة فيها هي المشاعر التي تؤثر بها على شكل الأخيلة وقد يمرض الزعماء الجماعات الثورية تحريضا متناقضا ومع ذلك نرى الجماعات تستجيب لهذه التحريضات المتناقضة فهي غير متعلقة من جهة ومن جهة أخرى

تنقاد وخصوصا بالتلقين ، لزعيمها او زعمائها . ولا تستطيع ان تسير بدونهم

القطعة السابعة :

روح المجالس الثورية :

يوجد نوعان من المجالس الثورية : المجالس الثورية الكبيرة ، والاندية :

اذن : الفقرة الاولى : الصفات النفسية للمجالس الثورية الكبيرة
الفقرة الثانية : الصفات النفسية للاندية السياسية . ولما كان اشتداد المشاعر
في المجالس تدريجيا ويتصف بصفات خاصة فان لوبون افرد له فقرة خاصة :

اذن الفقرة الثالثة : ايضاح اشتداد المشاعر التدريجي في المجالس .

الفقرة الاولى : الصفات النفسية للمجالس الثورية الكبيرة

المجلس الثوري الكبير شبيه بالبرلمان وهو عبارة عن جماعة ثورية وقد يكون المجلس
ذا فاعلية قليلة اذا تناقضت مشاعر ما فيه من الاحزاب فيكون شبيها بعدة جماعات متباينة
ولا يتجلى فيه ناموس الوحدة النفسية للجماعات الا في كل حزب على حدة
والظروف الاستثنائية وحدها هي التي تجمع بين عزائم تلك الاحزاب ويستطيع
ذوو النفوس من الزعماء ان يؤثروا احبانا في جميع احزاب المجلس فيصوغون
منها جماعة واحدة ويجهلون بها تأتي بما يناقض اراءها من الاعمال فالجماعات تدع
في كل زمان الى الطواغيت الاشداء وتفرع المجالس من زعماء الفتن فتصوت في جلسة
واحدة بما يناقض مع المعقول خشية من اشارة فئة منحفضة يقودها زعماء طغاة ،
وعندما يحصل للمجلس ما للجماعة من الصفات فانه يصبح مثلها ذا مشاعر

متطرفة ذات غلو ، ويكون عندئذ هذا المجلس ايضا متقلبا :
وبعود سبب سرعة تقلب المشاعر في المجالس الى امر هذه الاخيرة
لانصرف بمقاديرها الاقل وبلا وتأتي نتائجها مخالفة لمقاصدها .
الفقرة اثنائية : روح الاندية السياسية .

ان هذه المجالس (اي الاندية) التي هي جمعيات صغيرة تختلف عن المجالس
الكبيرة بوحدة مشاعرها وعزائمها ، فهذه الجمعيات الصغيرة هي ذات اراء ،
ومتعدات ومتنافمة واحدة .

ان الاندية تخضع لنواميس روح الجماعات ايضا رغم وحدة عزائمها الناشئة
عن فقدان الاحزاب فيها فهي تستكين للزعما ويكون تأثير الزعيم في النادي اي
في الجماعة المتجانسة اكثر صموبة من تأثيره في الجماعة المتباينة كالمجالس الثورية
التي تتمدد بها على الغالب الاحزاب وقد ينساق الزعيم احيانا في الاندية لرغبات
هذه الجماعة .

ولكن قوة الجماعات المتجانسة عظيمة . يقول كوستاف :

ان الجماعة تؤثر في ارادة اعضائها فاذا كانت الجماعة متجانسة فيكون
هذا التأثير عظيما ويكون التأثير اقل من ذلك اذا كانت الجماعة متباينة وقد يكون
هذا التأثير عظيما ايضا اذا تقلبت جماعة نافذة في المجلس على الجماعات الضعيفة
الاتحاد او اذا اقتشرت بعض المشاعر بالمدوى بين اعضاء المجالس
الفقرة الثالثة : ايضاح اشتداد المشاعر التدريجي في المجالس :

يقول كوستاف :

لو كان يمكننا ان نقيس مشاعر الجماعات قياسا رياضيا دقيقا لاستطعنا ان نمثلها
بيانيا ونشرحها على خط منحني يصعد كما هو مبين بالشكل في هذه الصفحة ،
اقول خط منحني يصعد من طرفه الاول ببطء ثم بسرعة ثم يهبط نحو

طرفه الثاني عموديا ويمكن ان تسمى معادلة هذا المنحني بمعادلة تحولات مشاعر الجماعات المحرصة تحريضا مستمرا

ونرى لوبون يفرق هنا بين نتائج تحريض افوس الجماعات تحريضا مستمرا وبين نتائج التأثيرات الميكانيكية الثابتة في علم الميكانيك فيقول :

اربع. قوة معينة ذات مقدار ثابت واتجاه ثابت تسبب ازدياد السرعة على طول الخط طوال مدة تأثيرها على جسم معين ساقط مثلا في الفضاء سقوطا حرا ولكننا اذا حرصنا الجماعات باستمرار (بعلة ثبات المقدار مثلا) فان مشاعر الجماعات لا تزداد شدتها على طول الخط طوال مدة التحريض ، بل يأتي زمن تنعدم فيه المشاعر دون ان نقف عن تحريض الجماعات بعلة من العلل والعلة الثابتة المقدار التي ذكرناها مثلا) ذلك لان علم وظائف الاعضاء يثبت ان للذة والام حدودا لا يمكن اجتيازها وانه متى اشتد التحريض فانه يحدث شللا في الحس فالاعضاء لا تتحمل الا كمية معينة من الفرح والام والمجهود وعليه نخفي اذا قايسنا بين نواميس الحوادث المادية وبين نواميس تطور عناصر العاطفة وعناصر التدين (انتهى المقطع الاول)

ملحق بالمقطع الاول (صفات الثورات) من الفصل الثاني وبالمقطع الاول صفات النفسية السائدة : ايام الثورات ، من الفصل الثالث :

ان اكثر ابحاثنا في هذين المقطعين هي للفيلسوف كوستاف لوبون ولكن لابد من اخذ تحفظات تتعلق بها وسنذكرها بعد قليل

فلقد كان كوستاف معارضا لجميع المؤرخين تقريبا في تحليل الثورات وخصوصا الثورات الفرنسية

فلم يرض برأي روميستر على علاقاته وعاكس وخارب آراء اليعاقة ، وحمل على آراء

المؤرخين امثال: تيار، كينة، ميشلية، الذين يقتربون في تفسير الثورة الفرنسية من مبدأ القدر التاريخي .

ولم يكنف برأي الفيلسوف والمؤرخ الكبيرتين فرددعنه ما قيل به من انه اساء الفهم ولو احسن المشاهدة ولم يكنف كوستاف من تين الذي اثبت فاعلية الرعاع والزعماء ايام ثورة فرنسا عام (١٧٨٩) بما يتفق مع اراء لوبون .
ولقد حمل لوبون حملة شعواء على احد اساتذة السوربون الاستاذ « اولار » رئيس انصار المذهب اليقوي ولم يجبه رأي من يؤمنون بالقضاء والقدر في الثورة الفرنسية ، فاستنكر اراء بوسوية ، وانتقد تين من هذه الناحية لان هذا الاخير كان يميل ايضا الى القدرية وتمهزاً على بقية اراء المؤرخين الاخذين برأي القدر ولم يستثن منهم احداً ، فلم يقبل لا باميل او ليفية ، ولا بسوريل ، ولا بكيزو ، وذهب به ايمانه بصحة رايه الى القول بان مبدأ الشك بدأ يدب في نفوس المؤرخين الحديثين وانهم قد بدؤوا بتأملات جديدة واوشكوا ان يخرجوا من ضلالهم « على حد تعبيره » وقد استشهد في مؤلفاته ومقالاته في المجلات على دخول المؤرخين الحديثين بالشك بمعتقداتهم ومبادئهم في تفسير الثورة الفرنسية اقول استشهد كوستاف على ذلك بمجلد للسيد (هانوتو) والسيد مادلين وقال ايضا انه حق بعض اساتذة السوربون امثال « اولار » نفسه بدأ يتطور في عقليته التي كان يفهم بها الثورة الفرنسية وكذلك قال انه حدث تطور في رأي (دويدور) ، ايضا .

ويلحق لوبون في مؤلفاته الى ان المؤرخين الاجانب وخصوصا الالمان يرون بالثورة الفرنسية بل في فرنسا امره مخربة
وهكذا ترى ان لوبون قد اتخذ لنفسه اسلوبه الخاص في تفسير

التاريخ وخصوصا تفسير الثورات ونحن نقبل اراءه ولصكنا نأخذ بصدها
التحفظات الالية :

١ - ان من يقرأ ما كتبه لوبون عن الثورات يشعر بان كوستاف يعيل
الى تحقير الثورات اكثر من احترامها ولو انه يدعى في مقدماته الدراسة البريئة
الوضعية الموضوعية وهو يحترم بصورة خاصة روح المرق « اى روح الشعب »
روح الامه ، ولكن انتصار روح المرق لا يستدعي بصورة الزامية ان نعتبره
تقدما ولا يستوجب علينا ان نحترم روح المرق دوما .

٢ - لا نطبق بعض الحقائق التي اوردها لوبون عن الثورات ، الا على بعض
ثورات فقط حدثت بالماضى ، وعلى بعض ثورات معاصرة فقط ؛

اما ثورات المستقبل فتحتاج الى اعادة النظر باراء لوبون فالثورات لا يمكن ان
ان تكون مطلقة بل تنطور مع تطور نفسيات الشعوب والناشرين

٣ - ينالي لوبون في الفوارق بين العقل والعاطفة ، ولعمري ليست العاطفة
والعقل ظاهرتين من ظواهر النفس البشرية .

والعقل يتأثر بالمجتمع ويتطور مع الزمان وهو في عصر الثورة خلاف ماهو
اليوم ، وان بعض ما يتيهه كوستاف طافيا اليوم قد يكون في عصر الثورة
عين التمثل فاقد تطور البشر منذ ذلك التاريخ حتى اليوم .

٤ - الثورات بالمعنى الفجائي نادرة الوقوع في الشعوب الراقية ، كالسويد
وسويسرة والصكن الثورة ليست دليلا على تأخر الشعب .

٥ - لا تركز الثورات دوما في التاريخ وخصوصا في العصر الحاضر
اقول لا تركز الثورات دوما على الرماح والسوق في قيامها بل كثيرا ما تركز

على حزب او احزاب منظمه يكثر بها المثاليون احيانا اكثر من الرعاع والسوقة
خلاف لما يدعيه لوبون .

فالثورة الروسية بالقرن العشرين ارتكزت قبل كل شيء على الفلاح ،
والثورة الصينية الاخيرة الشيوعية ارتكزت على الحزب الشيوعي الصيني والفلاحين ،
قبل ارتكازها على الرعاع ، وثورة الحزب القومي في لبنان لم تكن ثورة رعاع بل
ثورة قامت بها فئة من خواص العالم اللبناني السوري وثورة احمد اعرابي باشا لم
تكن ثورة رعاع والى آخره والى آخره ..

واذا اتفق لبعض الثورات كالثورة الفرنسية ان يبرز بها مفعول الرعاع
فان هذا الرعاع لا يؤلف وحده الجيش الثوري المدني فحسب بل ان فيه قسما
كبيرا من افراد الشعب الكرعي الاخلاق وهذا القسم هو اكبر بكثير مما
يتصوره كوستاف وتين وكذلك يشترك بهذا الجيش المدني الفلاحون
او التجار او العمال بعدد ليس بالقليل .

٦ - يرتكز كوستاف في دراسة الثورات او على الاقل يدعي انه
يرتكز على بسيكولوجيا الجماعات والشعوب والامم ولكن يجب ان ندرس بشكل
اعمق ونبحث اسباب هذه الاوضاع البسكولوجية التي قذفت بالشعوب الى الثورات
والتي تجعلها تقوم بالثورة حسب الشكل الفلاني لا حسب غيره .

البيست هناك اسباب مادية غير التي تعرض لها لوبون ؟ البيست بيسكولوجيا
الجماعات الثورية هي نفسها صدى للاوضاع الاجتماعية ، وهذه الاوضاع الاجتماعية
البيست هي اخيرا صدى للاوضاع الاقتصادية المادية بالمجتمع تقريبا ؟

٧ - ان كثيرا من تحليلات كوستاف كتحليل روح المجائس الثورية
وروح الجوع الثورية ينطبق على اكثر ثورات الماضي لذلك فقد احسن كوستاف

الوصف الى خد ما ولكن هل ينطبق هذا التحليل على ثورات العصر الحاضر والمستقبل ؟ العالم في تطور ونفسيات الشعوب تتطور وما هو معقول في الماضي هو غير معقول بالحاضر احيانا او المستقبل الا ان كثيرا من الشعوب اليوم هي ذوات مستوى قريب من مستوى شعوب تاشت بالماضي لذلك تبقي بعض الحقائق التي تنطبق على العموم على الماضي صحيحة تقريبا بالنسبة لهذه الشعوب المعاصرة ولكن الزمان سوف ينسفها نسفا بالمستقبل .

٨ - ان ازدياد الرعاع وحمة الكؤول في ايام الثورات لذييل على شوء وفساد النظام الاجتماعي - السياسي - الاقتصادي ، الامر الذي يجعل الشعب على اختلاف عناصره مشمزا من العهد فاذا صار الرعاع ولو باجسامهم فقط لقلب الحكم ، فان سائر طبقات الشعب تكون متأثرة من سوء الحالة ويمكن اعتبارها راضية الى حد ما على الثورة ، فتكون الثورة والحالة هذه ثورة شعبية او على الاقل ثورة برضي الشعب ولو قام بها الرعاع والفوا جيشها المدني حتى ولو وحدهم .

٩ - ان للتدخلات الاجنبية اليوم تأثيرا كبيرا في نهية الثورات واسنادها وتأمين الشروط المادية لوقوعها واشغالها ، كما هو الحال في الثورة الكورية والثورة في الهند الصينية وكما كانت الحال بالثورة الصينية الحمراء الاخيرة . وهكذا يوشك ان يتداعى رأي لوبون من ان المشتركين بالثورة هم من خارج من يشغلون ليميشوا لان المساعدات الخارجية قد تكفي المواطنين الراغبين بالثورة مؤونة العمل فيثورون سياسيا فالخارج احيانا يؤمن لهم ولعياهم اسباب المعيشة بمساعداته الظاهرة او السرية زيادة على ما يلزم للثورة من المتاد .

« انتهى المحقق المذكور »

المقطع الثاني : صفات النفسية السائدة أيام الانقلابات :

تتبع في هذا المقطع نفس المنهاج الذي اتبعناه بالمقطع الثاني السابق الخاص بصفات النفسية السائدة أيام الثورات اذن :

القطعة الاولى : تقلبات الخلق أيام الانقلابات .

القطعة الثانية : النفسية العقلية .

القطعة الثالثة : النفسية الدينية

القطعة الرابعة : النفسية الثورية

القطعة الخامسة : النفسية المجرمة

القطعة السادسة : روح الجموع الانقلابية

القطعة السابعة : روح المجالس الانقلابية

ولكننا سوف نختصر البحث في هذا المقطع لسببين: اولهما هو تشابه المقطع السابق مع هذا المقطع، وثانيهما هو عدم شرعية الانقلابات على الغالب

القطعة الاولى : تقلبات الخلق أيام الانقلابات :

ينمو الحقد والخوف والحرس والحسد والزهو والحماسة وغيرها من العناصر

الماطفية أيام الانقلابات بصورة خاصة في نفوس رجال الانقلاب واعدائهم المسكرين واعدائهم المدنيين وبمساعدة هذا النمو على تغيير ذاتيات هؤلاء الافراد وتظهر هذه العناصر في اربع نفسيات على العموم: وهي النفسية العقلية والنفسية الدينية والنفسية الانقلابية والنفسية المجرمة على ان هذه العناصر التي تفعل بالافراد تظهر بنفسيات معقدة ومركبة من عاطفة وعقل ودين وثورة واجرام وتأثير الجماعات وغير ذلك وهذا التقسيم الى اربع نفسيات هو غير صحيح ولكن هناك

بعض النفسيات الى آخره . . . « اقرأ بداية صفحات القطعة الاولى من المقطع السابق » .

القطعة الثانية : النفسية الدينية :

« اقرأ القطعة الثانية من المقطع السابق »

« على اننا نلاحظ ان المقطع الثاني يبحث في افراد الشعب اما هنا فاننا نبحث بصورة خاصة في المسكرين والاشخاص الحكوميين الذين قاموا بحركة الانقلاب .

فالنفسية الدينية تبحث في شخصية هؤلاء الذين قاموا بحركتهم الانقلابية فقط ولكن قد يؤدي الشعب او بعض افراده حركة هؤلاء فيتأثرون بهم وعندئذ ينطبق هذا البحث عليهم كما ينطبق على غيرهم »

القطعة الثالثة : النفسية العقلية :

« نلاحظ هنا نفس ما لحظناه عن النفسية السابقة »

القطعة الرابعة : النفسية الثورية :

« نلاحظ هنا نفس ما لحظناه عن النفسية السابقة مع التحفظ الاتي وهو : ان النفسية الثورية لدى رجال الانقلابات المسكرين او الحكوميين لم تصدر في التاريخ حتي اليوم عن العقل بتاتا »

القطعة الخامسة : النفسية المجرمة :

وقد يتصف بها رجال الانقلابات ايضا او بعضهم ولكن الاعمـال التي يعملها صاحب هذه النفسية والتي ذكرناها بالمقطع السابق بالقطعة الخامسة منه

تأخذ لدي رجال الانقلابات واتباعهم اشكالا متسترة واشكالا جديدة . فهم بدلا من ان يسلبوا اموال الخاصة ودهم يسلبونها احيانا ، يسلبون اموال الخزينة العامة باشكال فنية تكون غاية بالحذق والمهارة احيانا وهم يستعملون احيانا لفظة القانون ستارا لهم كما فعل الطاغية الشيشكوى واسلافه الطغاة وهم يستعملون الاغتيال احيانا بيد اتباعهم ، والى اخره ... والى اخره ...

ويكون الرجال الانقلابيون احيانا اما مجرمين بالمادة واما مجرمين بتنهازين ولكم شدة الاجرام في نفوس الانقلابيين لا تبلغ الا في القادة احيانا مابلغته شدة الاجرام في النفوس المجرمة المدنية اثناء نشوب الثورات الشعبية .

الا ان العنصر المؤلف للنفسية المجرمة هو هو اي هو نفسه . سواء بالمدينين ام بالمسكرين ام ببعض رجال الحكومة الذين قلعوا بالانقلاب . وقد يشترك الشعب او قسم منه مع الجيش او رجال الانقلاب المدني عندئذ قد ينطبق جميع ما رويناه عن النفسية المجرمة بالمقطع الثاني بالقطعة الخامسة على رجال الانقلاب واتباعهم كما انه قد يتحقق ايضا ثورة الشعب وقد تظهر في بعض افراد النفسية المجرمة التي نحدثنا عنها سابقا . - بالمقطع السابق المشار اليه -

القطعة السادسة : روح الجموع الانقلابية .

قل ان يتحقق اثناء الانقلابات مارويناه عن روح الجموع الثورية ذلك لان الانقلابات اما ان تكون مدنية فتغلب عليه المؤامرات والدسائس وتسقط الحكومة او الملك والى اخره دون حاجة غالبا الى التجمعات والجموع العامة واما ان تكون انقلابات عسكرية فلا تحتاج الى تأليف الجموع العامة بل تستند في حركتها على قوة سلاح الجيش والحياة العسكرية مهما كانت فوضوية فهي نظامية

الى حد معين بالنسبة للجموع الشعبية ولا تسمح بمحدث جموع انقلابية شبيهة بالجموع الثورية على الغالب الا اننا نرى فاعلية روح المرق «اي روح الشعب» الموجودة ايضا بافراد الجيش قد تضع حدا لحركة الانقلاب وخصوصا اذا كانت هذه الحركة حركة مخربة وكذلك نرى شأن الزعيم (وهو القائد العسكري في حالة كون الانقلاب عسكريا) في الانقلابات يشابه الى حد بعيد شأن الزعيم في الحركات الثورية.

القطعة السابعة : روح المجالس الانقلابية :

انما نكلمنا عنه في المقطع السابق بالقطعة السابعة منه عن روح المجالس الكبيرة قد ينطبق على روح المجالس الانقلابية الغير المتجانسة اما اذا كانت متجانسة فينطبق عليها ماقلناه، بالمقطع السابق، عن روح المجالس الصغيرة المتجانسة كالاندية .

اما ايضا احتداد المشاعر التدريجي في المجالس فيكون اثناء الانقلابات كما هو اثناء الثورات وقد شرحناه بالمقطع السابق بالقطعة السابعة منه

وهكذا ترى اننا اختصرنا كثيرا هذا المقطع عن صفات النفسية السائدة ايام الانقلابات لانه شبيه الى حد بعيد بالمقطع الاول السابق، عن الصفات النفسية السائدة ايام الثورات ويجدر بالقاري اعادة مطالعة المقطع الاول السابق ووضع كلمة انقلابات فيه بدل كلمة ثورات واخذ التحفظات اي تذكر ما ذكرناه بهذا المقطع الثاني من تباين بين هذين المقطعين اي بين صفات النفسية السائدة ايام الانقلابات وصفات النفسية السائدة ايام الثورات .

«انتهى المقطع الثاني وهو صفات النفسية السائدة ايام الانقلابات»

الفصل الرابع : تاريخ الثورات والانقلابات وبإيجاز :

عاني أكثر الامم الحديثة امر الثورات والانقلابات وخصوصا بالنصف الاخير من القرن التاسع عشر والنصف الاول، من القرن العشرين وتسعون مائة سائر الامم امر الثورات والانقلابات فلا تزال تهب هنا وهناك حتى اليوم . وهذه هي الدول التي حدثت بها حتى اليوم ثورات او انقلابات : فرنسا ، والبرتغال ، وانكلترا ، الهند الصينية ، كوريا ، بلجيكا ، امبانيا ، سويسرة ، ايتالية ، تركيا ، النمسا ، بولونيا ، المانيا ، اليونان ، اليابان ، روسيا ، الصين ، دول البلقان ، كوريا ، الهند الصينية ، بلاد الفيتنام ، سيام ، الجمهوريات والدول الاميركية اللاتينية الاسبانية : المكسيك ، الارجنطين ، البرازيل ، وغيرها ، سوريا ، الحجاز ، بلاد المغرب ، مصر ، العراق ، ايران ، وغيرها وتكثر اليوم الثورات بالعالم فكانه في حالة انقلابية وكأنه يريد ان يمحض عن شيء جديد قد يولد حيا وقد يموت قبل ولادته .

ولا يسعنا في الطبعة الاولى من هذا الكتاب ان نبحث في هذه الثورات بصورة كافية ، وسوف نقوم بهذا العمل بالطبعة الثانية ، اما الان فنكتفي بلوحة قصيرة :

لنبحث بمض الثورات الاولى في العصور الحديثة :

الثورة الانكليزية عام ١٦٤٨ :

وهي الثورة التي بدأت عام ١٦٤٢ ؛ بسد اعدام سترافورد عام ١٦٤١ بالحرب المدنية بين الملك والبرلمانيين ؛ وقد توطدت باعدام شارل الاول عام ١٦٤٩ و باعلان الجمهورية تحت حماية كرومويل الذي اسقط اسرة مالكة ورفض تاج

الملك ، ودفنوه على طريقة دفن الملوك ، انما بعد عامين من وفاته تبدل الرأي به ، فاقترعوا جسده من قبره وقطع الجلاذ رأسه وعلقه على باب البرلمان .

ان ارجاع آل ستيوارت حصل عام ١٦٦٠ باستلام شارل الثاني عرش انكلترا ولكن في عام ١٦٨٨ انزل الانكليز جاك الثاني عن العرش : ارجع ثورة عام ١٦٨٨ اوصالت غليوم الثالث للحكم .

اما في فرنسا فليقد حدثت اربع ثورات : ١- واحدة عام ١٧٨٩

الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩

لقد عجلت مطالب الفلاسفة واقتصاديين القرن الثامن عشر في حدوث الثورة الفرنسية ، وتولدت من وجود تنظيمات سياسية كان قد توارى سببها منذ زمن بعيد . ان امتيازات الطبقة الارستقراطية وطبقة رجال الدين كانت تقصر بالقرون الوسطى بضرورة حماية الضعفاء ضد الاقوياء المتعسفين . ولكن لم يمد لهذه الامتيازات سبب عقلي او لزوم لوجودها عندما جمعت الملكية في قبضتها كل السلطات القطاعية . اما بقيت التمسفات وبالاسف في الطبقات الامتيازية وكانت مالية الدولة ايضا موضع التبذير والبذخ والصرف بدون منفعة . وقد كان التفاوت عام ١٧٨٩ كبيرا « متفرقا » في توزيع الاعباء العامة ، والمراقبة مفقودة تماما ، وقد وجد وزراء لويس السادس عشر الذين جربوا ان يحققوا اصلاحات طالب بها الرأي : اقول وجدوا مجهودهم يتحطم ضد المقاومة الشديدة لرجال الدين والاشراف ، وكان يقتضي القيام بثورة لابدال مجتمع مهين على الامتيازات بمجتمع حيث تكون مساواة الجميع قانونا عموميا . وقد تحول مجلس الطبقات ، في فرساي الذي افتتح جلسته بتاريخ ٥/٥/١٧٨٩ الى مجلس قومي بتاريخ ١٧ حزيران من السنة المذكورة ، وبمد ثلاثة ايام اقسم نواب

الشعب عين « الاخلاص » وفي ١٤/٧/١٧٨٩ استولى الشعب على سجن الباستيل .
وفي ١٤ آب الفت الجمعية المذكورة الامتيازات الاقطاعية ونشرت و اعلان حقوق
الانسان « وصوتت على الدستور الذي طبق عام ١٧٩١ ، و اوجبت مساواة جميع
المواطنين امام القانون و تفرقت هذه الجمعية في ٣٠/٩/١٧٩١ بمد ثلاثة اشهر
من تاريخ محاولة هرب الملك الى خارج فرنسا . فحل محلها المجلس التشريعي ،
وقد حاول هذا المجلس بدورته جدوى ان يحكم بالاتفاق مع لويس السادس
عشر الذي الزمه على اعلان الحرب على النمسة .

وفي مطلع اليوم الذي تفرق به هذا المجلس التشريعي ليترك مكانه للمجلس
الثوري المسمى convention ، كانت الجيوش الفرنسية قد انتصرت في معركة
فالسي ٢٠/٩/١٧٩٢ . وفي ٢٢ من الشهر المذكور اعلنت المجلس القومي
الجمهورية .

وقد حدثت في عهد حكومة الادارة المحلات على المانية و ايتالية عام ١٧٩٦
وعلى مصر عام ١٧٩٨ الى اخره .. وفي ٩/١١/١٧٩٩ احدث بونابرت الذي جعلته
انتصاراته معتبرا كالمخلص لفرنسا ، اقول احدث بونابارت الانقلاب و اصبحت
الفرنصل الاول « دستور السنة الثامنة لتاريخ اعلان الجمهورية » . وفي ٢ آب عام
١٨٠٢ عين نابوليون قنصلا مدى الحياة وفي ١٨/٥/١٨٠٤ اصبحت امبراطور
الفرنسيين ومنذ ذلك التاريخ لم يبق من الثورة الفرنسية الا الذكرى ،
٢ - و الثورة الثانية بفرنسا حدثت عام ١٨٣٠ وهي التي اسقطت ال بوربون
التابعين للنسب البكر و سلحت العرش للنسب الاصغر « لويس فيليب » .

٣ - و الثورة الثالثة الفرنسية حدثت في ٢٤ شباط من عام ١٨٤٨
واعلنت الجمهورية الثانية التي انطفت نتيجة لاقتلاب ٢/١٢/١٨٥١

٤ - و الثورة الرابعة الفرنسية حدثت في ٩/٤/١٨٧٠ و قلبت

الامبراطورية الثانية واقامت الجمهورية الثالثة ..

لقد سببت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ : ١ - الثورة الروسية عام ١٩١٧ التي قلبت النظام القيصري وذهبت بسلالة ال رومانوف ، والثورة الالمانية عام ١٩١٨ التي اسقطت « أي ازلت عن العرش » ال « هوهنزوليرن » . والثورة اليونانية ، والثورة التركية « التي انتهت عام ١٩٢٤ » الى اخره ...
اما اسبانية فلقد رزحت تحت عبء ثورين واحدة عام ١٩٣١ والثانية عام

١٩٣٦ - ١٩٣٨

الثورة الروسية : ونلاحظ ان اعظم ثورة بالعالم قلمت حتى اليوم هي الثورة الروسية عام ١٩١٧ والثورة الصينية التي بدأت عام ١٩٤٥ بسد الحرب العالمية الثانية ، وقد بحثنا عنهما قليلا في هذا الكتاب
كما اننا نلاحظ ان احقر وابذل واغزر انقلابات هي الانقلابات في الحكومات الاميركية الاسبانية التي حدثت وتحدث بها الى الان ؛ فهذه الحكومات لا تعرف الاستقرار حتى الان .

« انتهى الفصل الرابع »

الفصل الخامس : شرعية الثورات والانقلابات .

شرعية الثورات : اما الثورات الداخلية فهي شرعية اذا توفر بها شرط واحد وهو : نجاحها . لا اكثر ولا اقل .

وقد تكون الثورة اما ائيمة مخطئة واما نافعة ومصيبة ولكن تبقى بالخاتين شرعية ان نجحت . وارى ان الثورة يجب ان تحدث عندما يتمطل او يتمرقل تطور المجتمع فيجمد وتجمد معه العادات والاوزاع الاجتماعية كالالة التي يسترها « الصدى » هنا تكون الثورة وخصوصا اذا قام بها الجميع او الاكثرية ثورة

شرعية اجتماعية - اخلاقية في آن واحد .

اما الثورات على حكم غير شرعي على مقتضب داخلي مثلا فهي شرعية ولو

لم تنجح .

اما الثورات على الاستعمار فهي شرعية سواء نجحت ام لم تنجح : كثورة
موريا ضد الاستعمار التي كانت دائمة تقريبا طوال مدة حكم الفرنسيين ولا بد من
القول : « ان لاقية لثورة ويا للاسف بدون جهد وعذاب ودم »

شرعية الانقلابات :

ليست الانقلابات شرعية مهما كان نوعها مدنية ، ام عسكرية ولكن
مستبين بعد قليل في غير هذا المكان ان باستطاعة افراد الجيش الاتفاق مع
المدنيين على احداث انقلاب شرعي تسبقه ثورة شعبية ولو بسيطة و اقرأ القسم
الثاني عشر من هذا الكتاب الاول ،

بين الثورات والانقلابات : الثورة شرعية لانها تصدر عن اكثرية الشعب
او عن رضى هذه الاكثرية ان نجحت وبما ان الشعب هو مصدر السلطات اذن
يكون كل عمل صادر عنه عملا شرعيا شرطان لا يزعج الجوار او العالم ويكون القسم
المهم والكبير من نتائجه محصورا ضمن المجتمع الذي هبته الثورة - اما الانقلاب
فهو يصدر عن عدة اشخاص - ولهذا لا يمكن ان يكون شرعيا . الشعب
لا يستطيع ان يثور من وقت لآخر الا نادرا اما رجال الجيش مثلا فان باستطاعتهم
احداث انقلاب كل لحظة بكل سهولة وذلك عن طريق استخدام قوة السلاح
التي هي تحت تصرفهم ، بخلاف الشعب الاعزل على العموم ، وعليه من الممكن
ان يؤدي سهولة الانقلابات للفوضى حينما تكرر اما الثورة التي لا تحدث الا
نادرا وبقاسي الشعب فيها صعوبات قلها لن تسبب اعتياد الشعب على الثوران

لانها لا تتكرر بسهولة وما لا يتكرر لا يحدث عادة اي لا يحدث فوضى دائمة
اما الانقلاب فلربما تؤدي سهولته الى التكرار، ثم الى الاعتياد عليه فتعم الفوضى
في الجيش ومن ثم تنتشر لجميع انحاء البلاد
ونذكر بالمداخلة ان جميع الانقلابات التي حدثت بالعالم العربي ليست
شرعية ويجب على الشعوب العربية ان تقمعها ولو بالقوة حتى لاتعم الفوضى
في بلادنا .

ولقد هبت حركة ثورية منذ عدة ايام في سورية لاسيما في معقل الخربة
فيها ، في هذا الجبل الاشم الذي يشع منه النضال في سبيل مجد سوريا ، وثبتت
هنا مذكره زعيم الجبل سلطان باشا الاطرش عن كيفية اعتداء المقتصب اديب
الشيشكلي على هذا الجبل وعن وحشية اعمال المقتصب المذكور التي قال عنها
سلطان انها فاقت في وحشيتها ما عملة تيمورلنك السفاح :

واليك الان مارواه سلطان للصحفيين (نقلا عن جريدة « الجريدة »
البيروتية العدد ٣٥٧ المؤرخ في ١٠ آذار ١٩٥٤) ، قال سلطان :

« ان سبب ما حدث في الجبل يعود الى مظاهرة قام بها الشباب في قريته
احتجاجا على ايقاف بعض المعتقلين واتهام ابنه منصور بتوزيع منشورات تحض على
الثورة ضد الشيشكلي ، وقد افاق الجبل يوم ٢٧ كانون الثاني على ازالة الرصاص
وتبين ان الجيش طوق القرية ومنع الدخول والخروج منها وجلب عددا من
الدبابات والمصفحات للقضاء على الدروز ومن ذلك الوقت كانت ازهاج السكان
خالية من اسباب هذا العمل العدواني وكل ما بدر ان الشيشكلي اعتقل جميع
الزعماء السياسيين في سوريا . ومضى يقول : لقد استمر تطويق القرية ثلاثة ايام
كانت خلالها قوات الشيشكلي تصلينا بفار خامية فحذف الى نجدتنا اهالي القرى

المجاورة وطوقوا قوات الجيش فكفوا الحصار عنا وتقدم قائد القوات المحاصرة واعتذر عن فعلة الجيش وطلب الى السكان الانصراف الى اعمالهم وقال ان الامر سينتهي بصلح عشائري .

ويمتدح كان وجوه القرية مجتمعون الى اهالي القرية لابلانهم رسالة القائد انقضت عليهم قوات الجيش واخذت تبطل بالرجال والنساء والاطفال دورهم تمييز واعملت بهم السلب والنهب وفتكت بالمرضى والحوامل والاطفال وكانت قوات الجيش ترتكب فظائع مائة في السوداء .

وذكر سلطان باشا ان الشيشكلي حلق فوق جبل الدروز في طائفة لبتاكد من تطويقه وكان يصدر تعليماته بزيادة التكنيل والقسوة وقدر عدد قوات الجيش التي حاصرت القرية بعشرة الاف جندي وذكر ان اوامر الشيشكلي اعطيت لعشائر القرية من الجبل انزوا اراضيهم وسلب اموالهم ومواشيهم كما اعلن عن اعطاء جائزة قدرها مائة ليرة سورية لكل من يسلم درزي بالجيش . واستطرد يقول: ان عددا من رجال الجيش وقعوا اسرى في ايدي الدروز فبقوا في ضيافتهم يومين ثم اوصلوهم سالمين الى حوران . واردف يقول: ان الشيشكلي شفع ذلك بانزال الفظائع والتقتيل باهالي السوداء . وكان الدروز ينجحون الى السلم والدفاع عن النفس فانهم بدركون ان الجيش جيشهم .

واكد سلطان باشا الاطرش ان الجوعم للاردن كان حبا في حقن الدماء وقمع فتنة الشيشكلي وقدر عدد ضحايا الدروز بما يزيد على مائة قتيل بين طفل وامرأة ورجل واعرب عن اسفه لوقوع خسائر بين الجيش . وختم تصريحاته قائلا: ان مصير كل طائفة الفناء .

ولقد سبق حركة الجبل انعقاد مؤتمر حمص الذي جمع اكثر الاحزاب

السورية وقد اعتقل « الطاغية قبل هبوب حركة الجبل واثناها وبندھا بمض رجالات البلاد والزم البمض الآخر على البقاء في مساكنهم تحت الحراسة والى آخره .. ولقد رافقت حركة الجبل حركة طامة في البلاد واستعداد المظاهرات والاضرابات ، وقد كان الطلاب الابرار لا يفتؤون في سوريا يستنكرون حكم الطاغية ويضربون ويقتضاهرون وبمترضون ، ويعبرون للطاغية وللملاء ، من رغبة الشعب في طي صفحات حكم الطاغية وكانوا لا يهابون الموت وفذكر بالمناسبة ان الطاغية كان شديدا عليهم جدا فبينما نسمع ان هناك في المانيا الهنلرية حيث كان الحكم دكتاتوريا اصدرت الحكومة قانونا يقضي باعدام كل شرطي او دركي او جندي اطلق رصاصه على الطلاب المتظاهرين اقول بينما نرى ذلك في اشد الدول الدكتاتورية نرى بالعكس الطاغية الشيشكلي واسلافة في -وريا يقيم في عهده الارهاب ويدعي انه يحكم البلاد حكما جمهوريا ، فراه يسجن الاف الطلاب لاشيء الا لانهم عبروا عن شعورهم .. نراه يأتي بمن بنوا مع زملائهم صرح سوريا الى السجن والى آخره .. والى آخره .. واخيرا انتفض الجيش وساعد على انها حكم الطاغية ؛ ففر هاربا. والبلاد تنعم اليوم بمودة الحكم الدستوري؛ وتبدأ في مصر حوادث واستعدادات مماثلة ؛ وان النار تحت الرماد وما حدث في سورية سوف يشكر قريبا في البلاد المصرية . والى آخره والى آخره ..

الفصل السادس : اسباب الثورات والانقلابات :

ان الاسباب ، والشرائط ، هما لفظان مترادفان تقريبا من الناحية العلمية . لذلك سترانا بالفقرات التالية تارة نقول اسبابا وتارة نقول شرائط . ولا فرق

تقريباً في استعمال احدا للفظين ، عمل الاخر ، كما ان السواد الاعظم من هذه الشرائط او الاسباب هو مشترك بين الثورات والانقلابات لذلك ندرجها دون تفريق بينها كما يلي :

أ - تأثير الثورة العلمية : الثورة العلمية عامل ممدد يؤثر على الجماعات ، بما فيهم افراد الجيش ، ويبدل من مفاهيمهم وقد تحولهم الى اشخاص لا يطبقون الاوضاع الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية القديمة فيسلون الثورة لتحطيمها او يتآمرون لاحداث انقلاب عسكري او مدني .

ب - العدوى : ان ثورات عام ١٨٣٠ باوررب - ة ، وثورات عام ١٨٤٨ فيها شيء من العدوى الاوروبية والثورات ضد الاستعمار ، بالنصف الاخير من القرن التاسع عشر ، وفي القرن العشرين فيها شيء من العدوى العالمية . والانقلاب المصري فيه شيء من عدوى الانقلابات السورية .

ج - المؤامرات الخارجية : هل للدول الاجنبية علاقة بالانقلابات الحادثة في بلاد العرب ؟ هل هي على اطلاع بها قبل الانقلابات او اثناء حدوثها او بعدها فقط . ان الجواب على هذه الاسئلة لن ينحل الا بعد الحرب العالمية الثالثة الالية ، حينما يظهر لنا التاريخ وثائق سرية او اثباتات ، ولكن قد يكون للدول الاجنبية علاقة بهذه الانقلابات ، فالأوروبيون يرغبون في قيادة مفسكر دولي ضد روسية والدول الشيوعية ولهذا يعملون اليوم الى اقامة انظمة عسكرية في جميع انحاء العالم الديمقراطي رغبة في سرعة التنفيذ لمشاريعهم الاستثمارية ورغبة في الاسراع بتوقيع الاتفاقات والاشترك بالحرب الالية وخوضها بجانبهم بسرعة البرق عند الازوم فلقد مر معنا ان النظام الديمقراطي لا يصلح لايسام الخطر تماماً وخصوصاً في بلاد مثل بلادنا فهو بطيء التنفيذ والسرعة من لزومات

الحرب والدكتاتورية من لزوميات الحرب والنضال . وأمير كانهما انتخبت جنرالا رئيسا للجمهورية . من اجل استثمار عقلية الكتيك الحربي وعقلية السرعة بالتنفيذ ، وذلك زيادة على صلاحيات رئيس الجمهورية الاميركية المنصوص عنها بال دستور الاميركي ذي النظام الرئاسي .

د - استثمار الضباط الكراهية الشعب للحكام نظرا لاستبداد هؤلاء واعمالهم الغير اللائقة وتوسكهم بالحكم وجشعهم وسوء تصرفهم « وتنازعهم مع الضباط احيانا » وقد يستثمر بعض اشخاص حكوميين هذه الموامل ويقومون باحداث انقلاب مدني .

هـ - ضعف الروح القانونية والنظامية بالشعب وخصوصا بالجيش .
و - شراء اصوات الناجحين فمتدا يجري مثل هذا الشراء يشعر الخلق في المجتمع بلزوم تبديل جهاز الحكومة بشورة او انقلاب .
ز - وهناك اسباب عميقة تؤدي ان تحقق الى احداث الثورات او الانقلابات : وهي جمود التقاليد والمقائد الراسخة وعدم تكيفها حسب مقتضيات التطور .

ح - الاستياء من الحكومة وعهدها ، من الاوضاع القانونية وعدم صلاحها ، الامل :
عن طريق الثورة او الانقلاب بتحسين هذه الاوضاع . تصور غابة يسمى اليها رجال الثورة واللباعهم اورجال الانقلاب واتباعهم . التنظيم الثوري : فالتنظيم الثوري اثره في احداث وانجاح الثورة اما اثر هذا التنظيم في احداث الانقلاب العسكري فلا لزوم له لان قادة الجيش الذين يقومون بالانقلاب يجدون القوة بيدهم والتنظيم العسكري كافيا لاحداث الانقلاب فلايسعون الى مزاجحة هذا التنظيم العسكري

بتنظيم ثوري اخر من اجل احداث الانقلاب .

ط - وجود زعيم قوي راغب بالثورة او الانقلاب يسيطر على الجماهير او على قسم من رجال الحكومة ويقودها اثناء الثورة او الانقلاب المدني والا فتذهب المساعي ادراج الرياح اولانولدالثورةبتاتا.

اما الانقلاب العسكري فلا يحتاج على الغالب لمثل هذا الزعيم لان قائد الانقلاب يحمل محله .

ي - الظروف المؤاتية : فكارثة فلسطين مثلا ظرف مهد لتقبل انقلاب حسني الزعيم الذي صفق له بالبداية كل الشعب تقريبا والاحوال الاقتصادية والمالية في عهد لويس السادس عشر بفرنسا مهدت لتقبل ثورة عام ١٧٨٩ وسكوت شيانج كاي تشيك على غزو اليابان للصين طمعا في ان تتقاتل مع الشيوعيين مهد لاعتقاله الموقت واضافه ولا انتشار الشيوعية بالصين واخيرا هبت الثورة الشيوعية بعد الحرب الاخيرة فذهبت بشيانج وحكومته .

ك - ومن الاسباب العميقة جدا والجوهرية لاعلان الثورة : عدم ملائمة النظام الاقتصادي لدرجة تطور المجتمع ، بحيث يشعر المواطن بانه سابق بكثير لهذا النظام فيسمى لتعطيله بالانقلاب او الثورة اذا لم يتمكن من تبديله بالطرق المشروعة .

ل - الى اخره ... الى اخره ...

م - وقد تحدث الثورة بشكل رجفي تخرج به على الجديد وقد تكون قوية فيكون سببها الجوهري خوف الطبقة القديمة الثائرة ، على مصالحها وعقائدها ومفاهيمها وسائر اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

لنفسا ل الان : هل يذهب العالم العربي الى ثورة شعبية ؟ بعد ما تأهب وتحقق به انقلابات عديدة ؟ نعم ، ولكن لم تتحقق شروطها بعد وان تندلع الثورة في القريب العاجل . ان هناك كثير من الاسباب التي ذكرناها والتي لم نذكرها ، آخذة بالنمو وفي المستقبل سوف تشمل النار الموجودة الان تحت الرماد فهل يقلع رجال السياسة والحكومات في بلاد العرب عرش انانيتهم ، ويسيروا الى الجهد متحدين ؟؟؟

انهم يهثون الظروف المؤاتية للثورات « والانهالات » بتصرفاتهم ، ويهثون عقول بمض العامة عن غير قصد الى تقبل الحكم الذكثاتوري او العسكري نهريا من مهاراتهم ومنازعاتهم ، وتصرفاتهم وانانياتهم وتكتيكهم القديم اننا نمر كما يمر العالم باسره بطور انقضي فهل يقلع الحكام عن اساليبهم التي تجعلنا نذكر اساليب عهد فاروق بعصر ، وعهد شكري القوتلي بسوريا ؟ فلينتبهوا

الفصل السابع : شخصيات الثورات والانهالات :

نقصد بكلمة شخصيات هنا كلمة زعماء . يقول لوبون « ان روح الجماعة الاشعره ترتبط بروح زعيمها الشاعرة فهو الذي يمنحها ارادة واحدة ويلزمها بالطاعة المطلقة » لا تستطيع الثورة ، « ولا الانقلاب » ، ان تنجح بدون زعيم ، وبذهبان ادراج الرياح مهما كانا عنيفين فهذه الحركات تقتضي قائد يوجهها ويأمرها ويؤثر بها بأسلوب يده . وه كوستاف « التلقين » ، ويحتاج الزعيم ليتمكن من القيام بمهمته بصفات الزعامة ، كالاخلاق العالية ، والبلاغة في التعبير . والقدرة على التأثير في الجماعات . ويقول لوبون : « ان نجاحه يتوقف على طريقة تلقينه »

وفندما تتوفر بالزعيم هذه الصفات نرى الجماعة الثورية او الانقلابية تطيعه -
الى حد بعيد والى آخره ...

ويعمل الزعيم غالبا بالخفاء في بادى الامر . - لننتقل الان الى البحث
في الاشخاص الذين قاموا بسوريا ومصر بالثورات والانقلابات:
سوريا : افنا نلاحظ في تاريخ النضال الثوري السوري من اجل الحرية
والاستقلال اثناء الانتداب زعماء توفرت بهم صفات الزعامة امثال : هنالك ،
هاشم الاتاسي ؛ يوسف المعظمة ، فوزي القزى ، عبد الرحمن شهبندر ، سمادة ،
الى آخره ..

من هم الاشخاص الذين قاموا بالانقلابات في سوريا :

انهم بلا شك لا يستحقون ان نبحث باخلاصهم بالتفصيل ، وعليه سندع
عنهم بالشكل الامم :

فصفي الزعيم ، واديب الشيشكلي (وعدد آخر) عاشوا في ثلاثة عهود :
الدولة العثمانية ، والدولة الفرنسية ، والدولة السورية المستقلة ؛ وهم من المرتزقين
بجميع الجيوش التي خدموا بها فبعضهم خدم بالجيش العثماني ، والجيش الفرنسي
والجيش السوري وهم من الماميين تقريبا وليس باستطاعتهم ادارة قربة صغيرة كما
يجب ان تدار ؛ ولقد قاموا باقلاباتهم الغير الشرعية التي قد تؤلف فوضى في
ذاكرة الجيش التاريخية فيقوم اباؤنا بالمستقبل ويبدون انكرة ، فيهبزون البلاد
ويهدمونها .

الحياة الاجتماعية تقتضي السير على قواعد واصول وقوانين وانظمة وعرف ،
ومنصة الحكم لها باب شرعي وتشبه القصر الذي له باب معين للدخول ولا يجوز

لقاصد انقصر ان يدخله من النافذة بقاما وحتى ولا من الباب بدون استئذان من مالكه الشرعي ومالك منصة الحكم هو الشعب مصدر السلطات ، وقد التجأ ايزنهاور الجنرال الاميركي الى ارادة الشعب حينما اراد الوصول الى هذه المنصة فدخلها من الباب الشرعي .

وهؤلاء الاقلاييون هم نكرات وهم لا يعملون الا لجيوبهم الخاصة وراحتهم وزهوم ولا يصلحون لشيء وماضيهم الخاص اسود غير اخلاقي ، ومحترس عن ذكره حتى لا ينشوه كتابا . وكذلك من هم الاشخاص الذين قاموا بانقلاب مصر؟ انهم نكرات ؛ كزملاتهم السوريين ولم نسمع بصوتهم منذ خلقنا حتى ناريخ انقلابهم الاسود . وبما انهم يشبهون زملاءهم طغاة الانقلابات السورية الى حد بعيد فانتا نكتفي بهذه الاشارة عن الحديث عنهم .

الفصل الثامن : نتائج الثورات والانقلابات :

المقطع الاول : نتائج الثورات

القطعة الاولى : نتائج الثورات السياسية : أ - النتائج الخاصة :

١ - الفئة او الحزب المتقلب يسعى لتنظيم المجتمع حسب مقتضيات مصالحه .

٢ - فان كان رجعيًا فانه يعيد بناء ما تقوض من المجتمع القديم وان كان مجددا فانه يحطم من ما بقى من هذا المجتمع القديم مالا يستسيغه او يقطر فرب فيحطم كل شيء من تراث الماضي فيكون انقلابه هذا انقلابا اجتماعيا عاما شاملا .

٣ - يضطهد المغلوبين .

ب - نتائج الثورات السياسية عموما :

اكثر الثورات تقسم لتغيير رجال الحكومة ، او الملك ، او الملكة ، او

الوصي او ماشا كل ذلك .

القطعة الثانية : نتائج الثورات الدينية واثرها :

وينتج عنها غالبا انقلابات اجتماعية اعظم بكثير من الانقلابات الاجتماعية
الناجمة احيانا عن الثورات السياسية وهي قسما :

١ - النتائج الحسنة : آ - تهذيب الناس وتقويم نفوسهم ، وتوحيد الشعب
ادبيا (وحدة ادبية) وایجاد التجانس .
ب - تبديل المواطن انماثة «نونا ما» بالامة (ثورة المسيحية على الوثنية
في عهد الرومان) .

ج - تأثيرها في التاريخ ، في سير الحضارة واثرت المسيحية الفتي سنة ، واثرت
الاسلام الفا واربع مئة سنة تقريبا .

د - واثرت بعض الاديان الهندية - الصينية اكثر من ذلك .

٢ - النتائج السيئة :

آ - وضع الوحمة والشفقة والتسامح جانبا والجهاد من اجل افناء المفلولين
على امرهم عث بكرة ايهم (ثورة الاصلاح الديني) و ثورة الكاثوليكية على
الاصلاح الديني ،

ب - التسامح يكون ضئيلا او معدوما اذا كانت المعتقدات قوية في الامة
والامم المتعددة الالهة ذوات الارباب المتعددة ، والامم ذوات الفرق الدينية المتعددة
والامم ذوات الاديان المتعددة كانت في الماضي وهي في الحاضر ضعيفة وهي متساعمة
الي حتما كالامم المشتركة في التاريخ القديم كالانكليز والامير كان في المصور الأخيرة
المقطع الثاني : نتائج الانقلابات :

ونذكر هنا بصورة خاصة بعض مانتج من الانقلابات السورية والامر الذي احدثه :

١ - فمن النتائج التي حدثت بسوريا وتحدث الان بمصر تنازع الضباط الكبار بين بعضهم البعض .

٢ - سيطرة طبقة الجند وحكم البلاد حكما عسكريا دكتاتوريا كاد ان يأتي عليها ، اذ اوقف تطور الامة ، واقام حكما استبداديا دائما ، وخنق الحريات ، وضيق نطاق التعليم والى آخره ... والى آخره ... وكل طابع ديمقراطي نيابي دستوري يقوم به رجال الانقلاب العسكري هو محض مورفين لتخدير الشعب فهم لم يحكموا الا حكما دكتاتوريا .

٣ - زهو زعماء الانقلابات ومرضهم النفسي بالكبرياء وحب المظلة والاطراء والى آخره ... واحيانا شعورهم بانهم رسل الانسانية مع انهم رسل الضلال .

٤ - ولقد اثرت الانقلابات في نفوس قسم كبير من السذج : قالت ام لجارة تحدثها بامر ولدها : انني سوف ارسله الى الجندية بمدنيته الشهادة الثانوية حيث يكون له مركز ومثاق ، وسوف يحدث انقلابا وبصير زعيم البلاد ...

٥ - ولقد ساعد تأثير الانقلابات والحكم العسكري على فقدان الشعب ثقته بنفسه وبأسسه ونفاذ حيويته وضعف رابطته ، ومن منا لا يذكر تلك الجبوية والرابطة والثقة التي كانت تغمر العالم العربي ايام الانتداب ايام كانت بناضل من اجل الحرية فهل تعود قوة هذا العالم الى ما كانت عليه من قبل ؟

والحقيقة ان اندخل العسكري قد اضعف مع غيره من الموامل الشعور العام والشعور القومي جدا جدا . تذكر ذلك الشعور وتلك القوة التي كانت فينا ايام الانتداب ، ولقد كاد اليأس ان يعم : فلا اكثر لدى الكثير بالمصالح العامة ، ولا موجه للنفوس على الغالب الا الجشع ، ولا بالنفوس الا الضعف ،

ونذكر هنا بصورة خاصة بعض مانتج من الانقلابات السورية والاثـر الذي احدثته :

١ - فمن النتائج التي حدثت بسوريا وتحدث الان بمصر تنازع الضباط الكبار بين بعضهم البعض .

٢ - سيطرة طبقة الجند وحكم البلاد حكما عسكريا دكتاتوريا كادت ياتي عليها ، اذ اوقف تطور الامة ، واقام حكما استبداديا دائما ، وخنق الحريات ، وضيق نطاق التعليم والى آخره ... والى آخره ... وكل طابع ديمقراطي نيابي دستوري يقوم به رجال الانقلاب العسكري هو محض مورفين لتخدير الشعب فهم لم يحكموا الا حكاما دكتاتوريا .

٣ - زهو زعماء الانقلابات ومرضهم النفساني بالكبرياء وجب المظلمة والاطراء والى آخره ... واحيانا شعورهم بانهم رسل الانسانية مع انهم رسل الضلال .

٤ - ولقد اثرت الانقلابات في نفوس قسم كبير من السذج : قالت ام لجارة تمحدثها بامر ولدها : انني سوف ارسله الى الجندية بعد نيله الشهادة الثانوية حيث يكون له مركز وشأن ، وسوف يحدث انقلابا ويصير زعيم البلاد .

٥ - ولقد ساعد تأثير الانقلابات والحكم العسكري على فقدان الشعب ثقته بنفسه وبأسه ونفاذ حيويته وضعف رابطته ، ومن منا لا يذكر تلك الحيوية والرابطة والثقة التي كانت تعمّر العالم العربي ايام الانتداب ايام كانت يناضل من اجل الحرية فهل تعود قوة هذا العالم الى ما كانت عليه من قبل ؟

والحقيقة ان التدخل العسكري قد اضعف مع غيره من العوامل الشعور العام والشعور القومي جدا . تذكر ذلك الشعور وتلك القوة التي كانت فينا ايام الانتداب ، ولقد كاد اليأس ان يعم : فلا اكرثا لدى الكثير بالمصالح العامة ، ولا موجه للنفوس على الغالب الا الجشع ، ولا بالنفوس الا الضعف ،

ولا امل بنهضة البلاد الا كبصيص يسكاد لا يري بالمجهر ، ولقد عم التذبذب والتقلب حتى كادت الامة تفقد هويتها فلقد بدأ يتقلب حتى بعض الزعماء ، ويتاجرون بالمباديء ، وبدأت النفوس تستثمر اليهود الغير الشرعية بشراة كأن هناك فرصة يجب اغتنامها ولقد اقيمت النكرات اذنا صاغية لدى الحكم العسكري القاسم الضعيف مدنيا ، وكثر الانتهازيون ساعين لاثمين مصالحهم وراحوا يشربون للسير مع العهد العسكري الخطوة بالوظيفة ، والعمل ، وتأيد المشروع الفلاني ، او نيل الوزارة او المر كز المعين و .. و .. وهناك آثار اخرى . — الى آخره .. الى آخره ...

« وزاد البلة طينا ، تأليف الشيشكلي لحركة التحرير المزعومة وهي احدي شعوزاته فقويت الانتهازية وكثر المستثمرون الانتهازيون الذين تنكروا لمن خدموا البلاد اكثر من الجميع وسامحوا في نشر حرياتنا واذاع الشيشكلي واذنابه في كل بلد عن جبل الدروز اخبارا كلها كذب وبهتان وجعلوا يصنفونه بصائب الخيانة والعصيان ، بينما انه من اقدس الاراضي في سورية واول من هاجم « بعد الطلاب السوريين » طاغية البلاد وصفحتها السوداء . « انتهى القسم التاسع » ملحق بالقسم التاسع وهو :

موقف الشعب « ١ » والاحزاب من الانقلابات العسكرية في العالم العربي :

لا بد اننا هنا من ذكر موقف الشعبين السوري والمصري وموقف الاحزاب من الانقلابات .

أ - ب - : ان موقف الشعب السوري من انقلاب حسني الزعيم يشبه الى حد بعيد موقف الشعب المصري من انقلاب محمد نجيب ، ففي باديه الامر ايد الشعب السوري « على العموم » انقلاب حسني الزعيم وايدته ايضا بعض الاحزاب ثم لم تلبث ان بدأت الجموع الشعبية تعلن استنكارها لحكم الطاغية واعماله

« ١ » لانزال اكثرية الشعب السوري حتى اليوم غير منحزبة كما كثر بالاد العالم

و كذلك في مصر ، فلقد ابد الشعب المصري « على العموم » انقلاب محمد نجيب
ببادي الامر ثم لم تلبث ان ابتدأت روح المعارضة والتنكر تدب بالشعب المصري .
اما في الانقلابات السورية التالية فقد كان الشعب السوري يسكت ببادي الامر ثم
ينقسم على نفسه : فئة تحظى وفئة لا تحظى ، فئة تؤيد وفئة لا تؤيد العهد الغاشم
وقد كان الامر كذلك تقريبا ايضا بعد مدة من حكم الطاغية حسني
الزعيم .

ت - موقف الاحزاب السياسية في سوريا من الانقلابات :

١ ، الحزب الوطني : ان اول حزب وقف وقفة شريفة ، قاطع كل المهود
الغير الشرعية هو الحزب الوطني ، ومع انه هو الذي اساء في سياسته الداخلية
في عهد السيد شكري القوتلي فساعد على تهيئة الجو لحدوث الانقلابات السوداء
اننا نلاحظ انه كان الحزب الوحيد الذي شعر بخطور الانقلابات فحرص في جميع
المراحل على عدم الاتصال برجالها ولما حدث انقلاب الحناوي رأينا حزب الشعب يوافق
على استلام الحكم .

فجاء السيد هاشم الاتاسي وتسلم مقاليد الحكم الفعلي وقام بدور انتقالي واعيدت
على يده الحياة الدستورية دون ان يشترك بها الوطنيون . ويظهر ان الحزبين انئذ
لم يكونا متفقين واطن ان سبب الخلاف كان في تمسك الوطنييين بمودة الحكم
الشرعي ولو بصورة مؤقتة لابقامة حكومة فعلية ، جديدة تقوم بالدور الانتقالي
كما حدث ، واطن ان الخلاف ايضا كان في فكرة تصفية عهد حسني الزعيم او
عدم تصفيته . وعلى كل حال فلقد كان يجب على الاقل تصفية عهد حسني الزعيم
تصفية تامة حتى لا تنكرر مثل هذه المآسي ، ولو تصفت اوضاع حكومة
حسني الزعيم على يد الحكومة المؤقتة التي ترأسها السيد هاشم انئذ وعلى يد المجلس
التأسيسي - التبايني فيها بعد لسكانت تلك التصفية ربما كفتنا شر الانقلابات لهذا

كله ارى ان الحزب الوطني هو اول حزب وقف موقفا نبيلًا من جميع الانقلابات
فقاطع زعماءها ورجالها وفصل عن نفسه كل عضو فاسد .

٢ - حزب الشعب : واتقد قاطع حزب الشعب جميع العهود الانقلابية ايضا
منذ البدء رغم عدوانه للحزب المقدور ، الحزب الوطني الذي اتى عليه انقلاب
حسني الزعيم . فاقبت حزب الشعب بذلك شيئين :

أ - تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة (طبما في اطار قضية
الانقلاب فقط) .

ب - عداوة شريفة للحزب الوطني ، فهو لم يأنه من الورا ولم يتعاون مع
من بطشوا فيه ، الا اننا نغيب على حزب الشعب عدم قيامه بتصفية عهد حسني الزعيم
عندما تسلم الحزب المذكور الحكم الفعلي برئاسة السيد هاشم الاناسي ، في بادئ
الامر ثم الحكم الشرعي الذي نتج عنه دستور عام ١٩٥٠

٣ - الحزب الشيوعي : الحزب الشيوعي تاريخ نضال في جميع انحاء
العالم ضد كل عهد دكتاتوري او عسكري ، ولقد اثبت في جميع المراحل الدقيقة
التي مرت بها سوريا انه لا يقبل الا بحكم الشعب واضطهده دون جدوى جميع
الحكومات الانقلابية .

انما نغيب عليه خطاه الطريفة فقط (لا الثاني) في محاولته الاشتراك
بانتخابات القادر الشيشكلي المزيفة (غاية الحزب من الاشتراك ليست التعاون مع
الشيشكلي بل فضحه وفضح مؤامراته وتوجيه الشعب وقيادته)

٤ - الحزب العربي الاشتراكي ، وحزب البعث العربي ، قبل تاريخ
توحيدهما وبمعه : (ستري في هذه السطور رأيا غريبا للمؤلف تم لاثبت
بمد اندهاشك ان تعود فقطمئن الى رأينا بمد مانوضحه لك) :

ان هذين الحزبين حاولا الاستيلاء في الماء العكر ، ولم يحاربا اليهود الغير الشرعية الا بعد ما قطعوا الامل من استلام الحكم عن طريق الجيش بل بعد ما طمع رجالات الانقلابات السابقة بالحكم لهم وحدهم .

فتأمل ، بين حزب الشعب والحزب الوطني الذين تعقفا فلم يقبلا الحكم من سلطة غير شرعية . وحارباها ، وبين الحزب العربي الاشتراكي وحزب البعث الذين حاولا التعاون ، واستنهار الانقلابات العسكرية والاتيان على الحزبين الاولين من وراء .

ليس لهذين الحزبين الاشتراكيين فضل في محاربة اليهود الغير الشرعية لانهما لم يكونا مخيرين بل مزمين في اعلان المعارضة ضد هذه اليهود . ذلك لان هذه اليهود نفسها لم تقبلها واضطهدتها .

وبحاول اليوم هذان الحزبان الذان توحدتا حديثا ، ان يظهرتا بمظهر المناضل في سبيل عودة الحكم الشرعي وبمظهر المثالي الذي يناضل لا لاستلام الحكم بل لمجرد فكرة يعتنقها .

نقول لاركان هذين الحزبين انهم لا يناضلون من اجل فكرة يعتنقونها بل من اجل كرسي يتوقون اليه . ولولا مصلحة البلاد تقضي بان نحرض على بعض الاسرار لكننا شرحنا في هذا الكتاب التكتيك الدبلوماسي الشريف الفاية لحزب الشعب والحزب الوطني حين الفا الوزارة الاخيرة . -

ومن المظاهر المسرحية التي ظهر بها الحزبان الاشتراكيان ، المتوحدان حديثا تحت اسم حزب البعث العربي الاشتراكي جوابات السيد صلاح البيطار على امثلة وجهها اليه مراسل جريدة (الجريدة) اللبنانية . فلقد نشرت الجريدة

المذكورة هذه الاجوبة في عددها ذي الرقم ٣٥٧، المؤرخ في ١٠ اذار ١٩٥٤ واليكها:

س - ماهي الاسباب التي دعت حزب البعث العربي الاشتراكي الى عدم الاشتراك في الوزارة الائتلافية وهل لازانم من مؤيدي قرارات مؤتمر حمص وما هي مطالبتكم بعد زوال حكم الشيشكلي؟
قال الاستاذ بيطار : قبل البدء في الاجابة على هذه الاسئلة لابد لي من ابداء الملاحظات الاتية :

١ - ان حزبنا ليس حزب حكم مثل الاحزاب السياسية الاخرى ، بمعنى انه يرى ان التغييرات الاساسية التي تتطلبها احوال البلاد لا يمكن ان تأتي من فوق ومن الحكومة ، بل ان حزبنا حزب شعبي نصالي يرى في نضاله وفي اشراك الشعب بهذا النضال الطريق المثلى التي تضع الاساس الصحيح للحكم الشعبي.

٢ - هذا بصورة عامة ، ولكن قد تأتي فترة استثنائية مثل فترتنا هذه ليقطع بها حبل الحكم الماضي ويوضع فيها اساس الحكم المقبل ، ان فترة من هذا النوع لا يمكن ان يمر بها حزبنا من الكرام بل يعتبرها فترة تاريخية ؛ لا لانه يريد تحقيق اهدافه الاشتراكية بل لان الشعب يتطلب فيها وضع حد للمعدوان المتكرر على الحكم الديمقراطي الشعبي الصحيح ، هذا الحكم الذي يمثل حزبنا والفئات المناضلة ما تحمل في سبيل الدفاع عنه ، حتى تمكننا بفضل هذا النضال من القضاء على ديكتاتورية الشيشكلي الفاشمة .

٣ - ان الشعب يتطلب في هذه المرحلة وضع اساس للحكم الديمقراطي الشعبي في المستقبل وحزبنا لا يستطيع ان يتخلى عن طلب الشعب هذا وقد لحصنا هذا الطاب بنقطتين فقط :

اولاهما - اعطاء درس قاس وطادل للذين اغتصبوا الحكم وآزروا المنتخب

الاول اديب الشيشكلي في اغتصابه هذا فتعاونوا معه في الحكم والسياسة والادارة والدعاية واودوا بالبلاد الى الانهيار . فانزال العقاب هؤلاء يكون درسا لسلك من تسول له نفسه في المستقبل الخروج على ارادة الشعب وان سياسة « عفى الله عما مضى » قد ولت وان ورا كل اعتداء على القديسات قصاصا شديدا .

وثانيهما - وضع الاساس الديمقراطي للحكم المقبل اي تهيئة الظروف والوسائل التي لاتضمن فقط ممارسة الشعب لحياته ولاسيما حرية الانتخابات ، بل تمكنه عمليا من ممارسة هذه الحريات ، وذلك بوضع قانون انتخابات ديمقراطي تقدمي يجعل الاداة التي تشرف على الانتخابات نزيهة بعيدة عن التأثير بنفوذ السلطات والمال وتأمين حرية الانتخاب الذي لاحرية فيه الا بسريته .

٤ - وكان تقديرنا للموقف ان تنفيذ امانتي الشعب في هذه المرحلة لايمكن ان يتم الا بقضامين الهيئات الـ ياسية الثلاث سواء ادخلت هذه الهيئات كلها في الحكم او دخل قسم منها شريطة تأييد الهيئة التي بقيت خارج الحكم لـ هيئات التي اشتركت فيه .

هذه هي النظرة التي دافع عنها الحزب في اجتماعات مؤتمر حمص :
تحقيق امانتي الشعب في هذه الفترة وتضامن الهيئات الثلاث حتى يتمكن من تحقيقها .

وقد كان الحزب يعني على الحزبين الآخرين ان يسند الحكم ودون الدخول فيه ولما تسدر ذلك قبل الحزب الاشتراكي على اساس مطالبه تلك . ومن الطبيعي ان يكون جو الاجتماع جو تضامن وتعاون وتشاور للوصول الى تشكيل حكومة قوية من الاحزاب الثلاثة تتألف من اقوى العناصر في هذه الاحزاب ولكننا ما ان قبلنا مبدأ الاشتراك في الحكم مع الحزبين « الوطني والشعب » حتى فوجئنا من احدهما بقرار غير مبدئي انفرادي في اتخاذه واراد فرضه فرضا ،

وجدنا في هذا الغرض بادرة سيئة تبطل كل تعاون في الحكم وبالتالي كل أمل في تنفيذ المقررات التي اتفق على خطوطها الكبرى ، كذلك فإن قبول الحزبين الآخرين تشكيل الوزارة من دون حزبنا ومفاجأة الشعب بهذه الوزارة التي تشكلت ، قد أكد لنا عدم ميل وقدرة الحكومة على تنفيذ تلك المطالب .

ومن الطبيعي ان حزبنا لا يستطيع ان يؤيد حكومة تشكلت بدوننا ومن دون رأيه وانه يحكم منذ اليوم على عجزها في تنفيذ المطالب ، وما دمننا قد علقنا امر تنفيذ هذه المطالب ، على تضامن الاحزاب الثلاثة ، كما انه من الطبيعي ايضا ان نعارض هذه الحكومة التي اخلت ببدأ التضامن والتي تحاول بهذا الاختلال وضع اساس صحيح للحكم المقبل .

والخلاصة : لقد تكررت لعبة الحكم في سوريا والبلاد العربية كلما جاء ظرف موآت لاقامة حكم شعبي ديمقراطي ، ان هذه اللعبة تبدأ بتزييف الحكم الديمقراطي وباجراء انتخابات صورية لاتعبر عن ارادة الشعب بشيء ولا ترضي النزعة التقدمية الديمقراطية الصادقة في الشعب ، وبنتج عن ذلك انفتاح ازمة الحكم ونضال جديد في سبيل تصحيح الحكم وضياح من الوقت كان يمكن ان يصرف للعمل الايجابي وفائدة للاستعمار من جراء العمل السليبي الذي استتبعه تشكيل حكومة من النوع الذي شكلت عليه اليوم .

ان حزبنا مازال يرى فرصة مؤاتية لتصحيح الموقف واتضامن الاحزاب الثلاثة في هذه الفترة التاريخية

فتأمل في هذا الرباء !! حزب يتظاهر كما ترى بعدم الاهتمام بكرسي الحكم ، وبالتالية والبراءة والتنكر لحكم الطغاة والرغبة في محاربتهم ومحاكمة من ناصرهم وهو بالحقيقة يجب ان يتحاشى قبل كل الاحزاب والفئات فبأي عين ينظر الى الاحزاب البريئة ويريد ان يضع نفسه معها ، وبأي نفس يتجرأ ويقول نطلب التصفية للمهود الغير الشرعية ؟

نعم التصفية هذه لازمة ولكن يجب على هذا الحزب ان لا يـمـح لنفسه بلفظ هذه الكلمة لان التصفية سوف تناله ! باي وجه يطلب التصفية وهو الحزب الذي كان ينبغي في بادئ الامر التآمر مع الطغاة على استلام الحكم بدل على الاستفادة من الحكم العسكري ، ولما لم يحظ بما يرغب ولما استحال امر تعاونه مع رجال الانقلابات لطمع هؤلاء بالاستئثار وحدهم بالحكم راح يعلن الحزب على الطغاة لا لانهم طغاة ، ولا لانهم غير شرعيين ولا لشيء الا لانهم لم يملطوه شيئا من الغنائم التي سلبوها .

ان هذا الحزب (وامثاله) لا يصلح لادارة مزرعة في سوريا فلماذا يوهم نفسه ويقدر حاله باكثر مما هو ؟؟ انه لا يدري ما معنى احترام الدستور والقانون طالما ثبت امكانية تعاونه مع الطغاة ، وان في استناب حكم الطغاة لذلة للقانون وامتهاناً لكرامة الدستور ؛ واحتقاراً للشعب باسمه ، الشعب الذي وضع شريعة المجتمع !!! فكيف في الى هذا الحد بالبحث عن هذا الحزب الاشتراكي بل هذا الحزب الذي يدعي الاشتراكية وهي بريئة منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب ؟

٥ - حزب الاخوان المسلمين : ان هذا الحزب وقف على العموم وقفة

مرضية .

٦ - الحزب الاشتراكي التعاوني : وكذلك نرى رئيس هذا الحزب رغم

ذلاته يقف معارضا حسني الزعيم ، الذي سجنه وعذبه منذ البدء . دون ان يطاطب له رأساً فدل بذلك على احترامه لبلاده ، ولدستورها . الذي ان لم يكن مفدى ، فيجب ان يكون دوما مفدى ، ومن الان وصاعدا يحترما مهابا .

٧ - الحزب القومي السوري : نأخذ عليه محاولته في بادئ الامر التعاون مع

الحكم العسكري واستشهاده ونلاحظ ان الحزب القومي بقيت معارضته بسيطة حتى في آخر عهد الحكم العسكري، رغم كل الخيانات التي ظهرت من الطاغية الشيشكلي نحو هذا الحزب بصورة خاصة ونعيب على هذا الحزب بصورة خاصة ايضا اشتراكه بالانتخابات المزيفة التي اجراها الطاغية ادب الشيشكلي فهذا الاشتراك يعتبر من قبل من يقومون به اعترافا على شرعية عهد الطغاة الغير الشرعي .

ث - الاحزاب المصرية : يظهر ان الوفديين ، والسعديين ، والاخوان المسلمين ، وسائر الاحزاب والائدية والجمعيات السياسية بمصر كانت تتقبل انقلاب محمد نجيب واخراج فاروق من الحكم والبلاد ، والى آخره .. ولكن على شرط واحد وهو تسليم حكم البلاد الى الشعب ، ولكن ظهر فيما بعد ان السلطة العسكرية ترغب بالامتناع بالحكم وجعل نظامه عسكريا بحتا ، الامر الذي اب مصر من اقصاها الى اقصاها ضد الحكم العسكري وانصاره واصبحت الحالة في مصر ، شبيهة بالحالة في سوريا اثناء حكم الطغاة : حكم عسكري جائر ، وشعب منقسم الى قسمين : قسم يؤيد الحكم العسكري تأمينا لمركزه او مصالحه وقسم ، يعارض واكثر الاحزاب المصرية بجانب القسم الثاني ، وقد هبت منذ مدة نار المظاهرات في شوارع مصر ، والاسكندرية تطلب اقامة حكم شعبي شرعي مدني : ووعدت محكمة الثورة (وهي بالحقيقة بعيدة عن الثورة بعد السوء عن الارض) بدمض الوعود ، ولكن تبين كذبا بعد عدة ايام فلقد سحبت وعودها ولم تنفذها . - والنار اليوم في مصر تحت الرماد ، وان غدا لناظره قريب . -

القسم العاشر

الحكم العسكري والحكم المدني والحكم الدكتاتوري

تمر الامة بمرحلة تستقر بها الاوضاع ، زمنا طويلا احيانا ، وتمر بفترة تكون
الامة بها غير مستقرة و كأنها في حالة غليان وتمر احيانا بفترة لا أثر بها للحكومة
وبطابق كل حالة من هذه الحالات الثلاث نوع من انظمة الحكم السياسية :
المقطع الاول : الحكم المدني :

وهو الحكم الذي لايتدخل به السلطة العسكرية بتاتا انه الحكم المألوف
العادي ولا فرق ان يكون نظام الحكم نظاما ملكيا مطلقا او دستوريا او نظاما
جمهوريا والى آخره .. فيكفي ان تكون الطبقة الحاكمة جماعة من المدنيين
لا تؤثر عليهم السلطة العسكرية بتاتا ويسود هذا الحكم على الغالب حينما تكون
الامة مستقرة ليس فيها اضطراب وهو الحكم الشرعي لدى جميع الدول الحقوقية
على الاطلاق ، لدى جميع الدول التي تستحق هذا الاسم . والجيش في الدولة
الحقوقية اليوم يعني جهازا حكوميا غابته على العموم حماية البلاد من اعتديات
الخارجية وحفظ حقوقه الخارجية ووظيفته محدودة بهذه الغاية ولا يحق له التدخل
بالشؤون الداخلية بتاتا الا بناء على طلب السلطة المدنية لحفظ الامن الداخلي حينما
تكون سلطة الشرطة والدرك عاجزة عن حفظ الامن المذكور .

فهنالك اختصاص في اجهزة الحكومة يجب احترامه حتى ترتقي ماديا وبالتالي حتى
ترتقي الدولة ماديا فلاختصاص شرط من شروط الرقي المادي في علم الحياة
والانسان الذي هو ارقى الحيوانات يسود الاختصاص حياته الضوية ،
الا ترى للعين وظيفة النظر ، وللاستنان وظيفة المضغ ، والى آخره . ونلاحظ ان لكل
موضع في التلافيف الدماغية او النخاع الشوكي للانسان وظيفة معينة تقريبا فهناك
مراكز للضحك ، وهناك مراكز للبكاء ، وهناك مراكز لتقدير الابداء ،
والى آخره ... والى آخره ..

واذا قلنا ان الحيوان الوحيد الخلية هو اخط الحيوانات ماديا فذلك لان حياته
المضوية لا يسودها الاختصاص نباتا ، فلا اجهزة فيه ولا اعضاء فيه ولا الياف
وكل ما يتركب منه هو خلية واحدة تأكل وتشرب وتمضمض وتنفس وتمتد
وتنصرف والى آخره ..

والاختصاص دليل من دلائل الرقي المادي ليس فحسب بالحياة المضوية بل بالحياة
الاجتماعية فانت ترى ما تحتويه مخازن القرى وما يصنعون بها : فالتاجر فيها هو
بان واحدا حيا ، نافع سكر و نافع مقصات و نافع فؤوس و نافع خبز و نافع فواكه و نافع
امواس والى آخره ..

والخلاق فيها قد يكون نجارا او حدادا والى آخره ..

اما المدينة المتوسطة فلا ترى فيها شيئا من ذلك وقد تنطلق الى مدينة كبرى
كباريس فتري فيها الاختصاص في بعض الامكنة بالغا نهايته المظلمى ففي باريس
ترى مثلا مخزنا كبيرا من اعظم مخازنها بل من اعظم مخازن العالم وفيه عدة
موظفين الا انك لا ترى به الا الدبابيس فهو لا يبيع سواها ويظهر الاختصاص
ايضا بالصناعة والتجارة ، والعلوم والزراعة ، وكل شيء حتى الفنون : فاذا
اراد الموسيقى ان يكون طارفا على الكمان ، ومقنيا و طارفا على البيان و طارفا على
العود والى آخره ... فانه لن يجيد شيئا وسوف تبقى معلوماته ضئيلة بالنسبة
لكل نوع وسوف يبقى منحطا في اية آلة مادام لا يريد الاختصاص ؛
ويضيع وقته نارة بهذه ونارة بتلك .

وهكذا اذا لم نشمر بلزوم الاختصاص ؛ فيختص في جسم الدولة كل
جهاز بوظيفة ولا يتعداها فسوف تنهار هذه الدولة مثلما انهارت الدولة الرومانية
بالاناربخ وسوف لن تقوم لنا قائمة وسوف يذهب مجهودنا ادراج الرياح ان لم يرق

الجيش ضمن وظيفته ، والحكومة ضمن وظيفتها ، والشعب ضمن وظيفته .
والى آخره . . والى آخره . .

نكتفي بهذا الحديث عن الاختصاص الذي يسود الدولة ؛ ومن اراد ان
يتفهم علاقة الاختصاص بالتطور والرقي المادي فعليه ان يدرس تطور الدولة
بالتاريخ منذ البدء حتى اليوم .

ولكن الاختصاص في اجهزة الدولة لا يعني استقلال هذه الاجهزة وفصلها
عن بعضها بصورة مطلقة (مبدأ فصل السلطات ، مبدأ فصل السلطات) ،
وبالعكس يجب ان يكون هناك صلة بين الحكومة من جهة والجيش وسائر الاجهزة
من جهة اخرى ، فالدولة تشبه الكائن الحي الى حد بعيد ، ولذلك يجب ان ترتبط
اجهزة الدولة بما فيها الجيش بادارة مركزية عليا الى حد ما (هي سلطة المجلس
النيابي تشريعياً وساطة الحكومة ادارياً وتنفيذياً) والا فلا وحدة بالدولة .
ونذكر من التجارب التاريخية على ضرورة ربط اجهزة السلطات بالسلطة
الحكومية العليا المثل التالي :

انه من المعلوم لدى الجميع ان الوزراء هم موظفون سياسيون يطعمون الدولة
بسياساتهم فيكون للدولة او للحكومة طابع سياسي معين ولا يطلب القانون ، (على
العموم) منهم كفاءة علمية لاستلام مناصبهم الوزارية بآثاق . ولما كان الامر والحالة
هذه فلقد فكرت فرنسا عام ١٩١٤ بتقسيم ادارة الجيش الى قسمين : ادارة
سياسية وادارة استراتيجية وفعلا استلمت الوزارة الادارة السياسية للجيش
فقط وابتقت الادارة الاستراتيجية لسلطة الجيش ولكن التجارب اثناء الحرب
اظهرت فساد هذه النظرية فعادت فرنسا اثناء الحرب
نفسها وجعلت الادارتين السياسية والاستراتيجية بيد الوزارة المدنية ، وهذا يعني
ان جيش الجبهة والقيادة العسكرية العامة اثناء الحرب مكافاة بالسير حريباً

وميساسيا وفق اوامر الوزارة .

وليس بإمكاننا في هذا الكتاب الصغير ان نبث على الوجه الاكمل في الحكم المدني ولكن لابد لنا من ذكر شي من محاسنه وشي من مساوئه :
آ - من محاسن الحكم المدني اذا كان جمهوريا صحيحا كون كل تطاور اجتماعي فيه هو نتيجة لتجارب الامة فيكون هذا التطور والحالة هذه عندما ثبت ويدوم بعد تبدله ناتجا عن رغبتها وقناعتها ، فلا تعود الامة الى الوراء بتاتا الا نادرا : ان خطاها التي تخطوها الى الامام تكون شديدة قوية . وفي النظام الجمهوري يكون المجتمع كله في ركب الحضارة فلا غرابة اذن اذا كان بطي السير الى الامام .

ب - ومن مساوي الحكم المدني الجمهوري في هذه الايام انه بطيء التنفيذ في كل قضية يريد تقريرها وتنفيذها وهكذا لا يصلح كما هو اثناء الحرب فترى اكثر الدول تكيف نظامها حسب الضرورة والمقتضيات اثناء الحرب فيقترب النظام الجمهوري من النظام المطلق او الواسع الصلاحية في تلك الاونة ويمشي اما ربع الطريق او نصفه احيانا او اكثر متجها نحو نظام الحكم المطلق الصلاحية ولكن ذلك لا يدوم على الغالب الا مدة الحرب . واذا دام الامر كذلك فان الحكم يتحول من حكم مدني الى حكم ديكتاتوري او - كم عسكري غاشم :
لنأخذ مثلا تاريخيا على ذلك بالدولة الرومانية :

مارست روما مرة في التاريخ القديم الحكم الجمهوري وقد بدأت به عام ٢٤٤ من تأسيس مدينة روما اي عام (٥١٠) قبل المسيح ولما توسعت الدولة الرومانية ، كانت تصبح من وقت لآخر في حالة خطر فتحاول الحكومة ان تكيف حسب مقتضيات الظروف فيجتمع مجلس (السينات) في هذه الحالات الخطرة ويقرر في اكثر الاحيان اعطاء الحكام الجمهوريين الذين يتسمون

بالقناصل السلطات الدكتاتورية او مهيات وصلاحيات واسعة وتنتهي غالبا بممارسة هذه السلطات عندما يزول الخطر المذكور ولكن في نهاية عهد الجمهورية الرومانية المذكورة (خلال القرن الاول قبل المسيح) صار البعض يخترقون الاصول والتقاليد المتبعة للوصول للحكم وصار ايضا الحكام (القناصل) في روما يتجاوزون حدود وظيفتهم ويقعون على كرسي الحكم اكثر من المدة القانونية ، وكان الحكام المذكورون يركزون في قيامهم بهذا العمل الغير الشرعي مستندين لا على الشعب بل على الجيش الذي اصبح موطنة من المحترفين المرتزقين المستعدين لسند قوادهم في انقلاب او ثورة سياسية : ففي هذا العهد صار القناصل السابقون (١) اقوى من قناصل روما فكانوا كثيرا مايدخلونها كالفاتحين ويحدثون بها الانقلابات ويتسلمون الحكم او يسلمونه لشخص معين : وقوة القناصل السابقين في هذا العهد تعود لكونهم قواد للجيش الرومانية الموجودة خارج روما فنظرا لانشغال قناصل روما بالامور السياسية ونظرا لاتساع رقعة الدولة الرومانية فلقد تركوا قيادة الجيوش في اواخر عهد الجمهورية واعطوها للقناصل السابقين ، الامر الذي جعل كما قلنا هؤلاء القناصل السابقين اقوياء جدا ففكروا باحداث الانقلابات المذكورة التي اخذت تتالى ويتبدل بموجبها النظام الجمهوري تدريجيا ، واليك بملخص سلسلة هذه الانقلابات :

١ - انقلاب سيللام (٨٢) قبل المسيح ، انقلاب بومبي ، و كراسوس ، وسيزار ، عام ٦٠ قبل المسيح ، انقلاب جول سيزار عام (٤٩) قبل المسيح ، واخيرا

(١) القناصل السابقون هم الحكام الذين انتهت مدة حكمهم اي

قنصليتهم في روما فتمددت في خارج روما واسمهم بالفرنسية : Proconsuls

انقلاب اكتافوس (المسرحي) عام (٢٧) قبل المسيح الذي تمام عملية تحويل
الحكم الجمهوري الى حكم امبراطوري ، وحظي من مجلس (السينا) بلقب
(اوكست) (له ولان يحيون بعده) وهو لقب لم يفسد قبلا الا للامنة ،
وهكذا اتت هذه الانقلابات العسكرية تدريجيا على النظام الجمهوري القنصلي
واصلت محله نظام الامبراطورية الرومانية ، وقد عمرت هذه الامبراطورية
بالقرب حتى تاريخ سقوطها عام ٤٧٦ على يد الجرمان وعمرت في الشرق حتى
عام ١٤٥٣ حيث سقطت ما صمتها القسطنطينية على يد العثمانيين

اما اليوم فنرى اكثر الدول تمطي للحكومات او لرؤسائها صلاحيات واسعة
اثناء توقع الخطر ، كالحرب مثلا ، فتمارس هذه الحكومات هذه الصلاحيات حتى
اذا ما انتهى الحرب ، انتهى معه حق ممارسة هذه الصلاحيات الواسعة (مثل ذلك :
حكومة تشرشل في الحرب العالمية الاخيرة ، وحكومة كليمنسو في الحرب
العالمية الاولى والى آخره ..)

المقطع الثاني : الحكم الدكتاتوري :

الحكم الدكتاتوري هو حكم الفرد ويسود في الامة غالبا عندما او بعدما
تتخبط بالفوضى الداخلية ،

- ١ - ومن محاسنه سرعة التنفيذ لجميع المشاريع والقضايا التي ترغب الحكومة
في تحقيقها
- ٢ - ومن مساوئه كون الاصلاحات الاجتماعية التي يقوم بها
الحاكم الفرد لا تركز غالبا على ادراك الامة لها فنرى اكثر هذه الصروح
الاصلاحية الاجتماعية التي يقيمها الدكتاتور غالبا تنهار بانهاره ، تسقط بسقوطه
كانها لم تكن . بل نرى احيانا حدوث رد فعل بعد ذهاب الدكتاتور وعودة الى الوراء
ولكن لا بد من القول ان الدكتاتورية اخذت في القرن العشرين في بعض
الدول طابعا جديدا فقد اصبحت الدكتاتورية دكتاتورية حزب تجسم

بشخصية زعيمه ، فلقد كان الحكم في المانيا النازية دكتاتوريا والدكتاتورية تجسدت في شخص هتلر ولكن العقل المفكر في المانيا والذي كان يؤثر في جميع مظاهر الحياة الالمانية لم يكن هتلر وحده ، بل كان الحزب النازي - فالدكتاتورية الالمانية في القرن العشرين هي دكتاتورية حزب لادكتة - انورية فرد . ، وما تتكلمه عن المانيا ينطبق على ايتالية في عهد موسوليني ، حيث وجد ايضا الحزب الفاشيستي الايتالي والزعيم موسوليني . الا ان اسبانيا تختلف عن هاتين الدولتين فدكتاتوريتها بالحقيقة دون الظواهر هي دكتاتورية فرد لادكتة - انورية حزب . وقد يكون الحكم الدكتاتوري شرعيا وذلك عندما تسلم الامة قيادتها الى فرد من الافراد او حزب من الاحزاب . في ظروف عصبية خارجية كحالة الحرب ضد الغزاة او المستعمرين او كحالة النضال من اجل الحرية او ظروف داخلية كحالة الفوضى ، تهدد كيان الدولة وسلامتها ونلاحظ بصورة خاصة ان الحزب الشيوعي يعتبر حالة ويعتبر العالم ايضا بحالة انتقالية تقتضي دكتاتورية الطبقة العاملة ولهذا تسيطر على الشيوعية اليوم الروح الدكتاتورية في روسيا وجميع انحاء العالم وقد تضع الامة مصيرها في فلسفة معينة كما كان الحال بالمانيا الهلارية وكما هو الحال اليوم بروسيا والصين فتتجسم الدكتاتورية في شخص فرد يقود الامة اما الى المجد واما الى الهلاك والفوارق طفيفة بين الحكم الدكتاتوري والحكم العسكري فكل حكم عسكري هو حكم دكتاتوري فاشم غير شرعي مبدئيا ولكن ليس كل حكم دكتاتوري فاشما غير شرعي فلقد قلنا ان الحكم الدكتاتوري يكون شرعيا اذا قرره الامة لاسيما في الظروف الخطرة المصيبة المذكورة آنفا .

الدكتاتورية في التاريخ :

١ - ان دراسة التاريخ تثبت ان النظام الجمهوري الذي حاولت اسبانيا تطبيقه مرتين لم يتوطد وفي الحالتين حل محله النظام الفردي او المطلق .

٢ - وكذلك كان الامر في الجمهورية الرومانية كما ذكرنا سابقا في هذا الكتاب ، وكذلك كان الامر في الجمهورية الاولى والثانية في فرنسا وقد ذكرنا ذلك ايضا الى اخره . . . الى اخره . . . وتممر اليوم سوريا وبلاد العرب بمرحلة تاريخية شبيهة بمرحلة اسبانيا ، وفرنسا وغيرها ، التي نشير اليها وسوف يرسخ الحكم الجمهوري في روح سوريا لاحالة - رغم كل هذه الانقلابات العسكرية - فكان النظام الجمهوري لا يثبت من اول مرة ولا يتوطد الا بعد عودة الدكتاتورية عدة مرات ويظهر ان الشعب لا يجيد ممارسته من اول مرة على الغالب ولذلك يتحطم الحكم الجمهوري غالبا في بادىء الامر ويحل محله دكتاتورية عسكرية او دكتاتورية مدنية ولكنه لا يلبث ان يعود وقد يروح وييجيء مرارا الى ان يتوطد اخيرا ويثبت ويزي الحكم الجمهوري عندما يثبت ، ترسخ روحه بالشعب فيعود لا يستطيع مفارقتة واذا تطور المجتمع بعد ذلك فانما يمس التطور اولا اتجاهها اقتصاديا او اجتماعيا او سياسيا دون ان يمس النظام الجمهوري باذى وبالعكس نراه عندما يؤثر عليه تأثيرا ايجابيا يحسن اساسيه فقط .
نكتفي بهذا من البحث بالحكم الدكتاتوري ، منتقلين الى الحكم العسكري :

المقطع الثالث : الحكم العسكري :

وهو طغيان السلطة العسكرية على السلطة المدنية واستلامها دفة الحكم .

١ - ومن مساويء هذا الحكم انه يجمع كل مساويء الحكم الدكتاتوري فقد قلنا ان كل حكم عسكري هو حكم دكتاتوري وبصورة خاصة ان الحكم العسكري لا يمكن مبدئيا في اية صورة من الصور ان يكون شرعيا وهو يعرّن الضباط على احداث الانقلابات فتراهم يفكرون بها من وقت

لاخر ويحاولون اجراءها وتأخذ هذه الانقلابات بالحدوث والتكرار احيانا الى ان
تم انقراض الجيش فتجري دماء الجنود ويقتل الضباط وينتهي الامر بالخسارة
المظلمة وتكون النتيجة غير محدودة المقياس ولكن قد يتواجد بالجيش بعض
الضباط المخلصين الذين يحرسون على دماء الجنود : ويريدون ان ينهوا الحكم
المسكري بطريقة من الطرق فيعيدون جنود الامة الى الثكنات ويملنون
انسحابهم من الحياة المدنية ويتركون الحكم المدني للمدنيين وقد يقبضون على
الراغبين بالحكم العسكري ويسلمونهم للسلطة المدنية فيما بعد وقد يعدمونهم او
قد يفر هؤلاء فتنتطوي في جميع هذه الاحوال عندئذ تلك الصفحة السوداء من
حياة الجيش في تاريخ الامة . ومن مساوي الحكم العسكري طغيان طبقة الجند
فتراهم يفتنون ويمشون بالارض فسادا .

٢ - ومن محاسن الحكم العسكري سرعة التنفيذ فيه لكل مشروع او
قضية حكومية ، ومطابقته بصورة خاصة لعهود الفوضات الداخلية او عهد
الحروب الخارجية .

ولكن اثم الحكم العسكري وزهله الحكم الدكتاتوري الصرف ، الفردي
اكثر من نفعهما ، كما ان مبدأ التكيف السياسي المتبع في اكثر الدول يقوم مقام
الحكم المسكري من حيث محاسنه :

مبدأ التكيف : وهو اعطاء صلاحيات واسعة للحكومة تجعل منها دكتاتورا
وذلك في ايام الفوضات الداخلية ، وايام الحروب ، والاضطراب الخارجية على ان
تصبح هذه الصلاحيات ملفية وتزول بزوال الاسباب التي اوجدتها وقد مارس
الرومان كما ذكرنا هذا المبدأ قديما .
« نقف عند هذا الحد من البحث في الحكم العسكري الغير الشرعي » .

ملاحظة : ولكن هناك حالة استثنائية يكون بها الحكم العسكري شرعيا وهي :
الحالة التي لا توجد بها حكومة مدنية وذلك يحدث في حالات عديدة مثلا عندما
تقوم ثورة بالبلاد وتودي بالحكومة ؛ او عندما تكون البلاد بحالة حرب مسع
دولة اجنبية وتقع الحكومة اسيرة في قبضة العدو ؛ ففي هذه الحالات يحق للسلطة
المسكينة اسلام الحكم لحفظ الامن وتسيير دفة الحكم المدني بصورة مؤقتة
وحتي تعود المياه الى مجاريها فقط لا الى الابد .

القسم الحادي عشر

المظة والدرس التاريخي من الانقلابات :

كان بإمكان الجيش المصري ؛ وبصورة خاصة ، كان بإمكان الجيش السوري ،
وان بإمكان الجيوش العربية كلها ، ان يأخذوا عظة من تجارب العالم ، فيوفر كل
جيش على نفسه مشقة القيام بالتجربة الانقلابية التي قام بها بعض الضباط والتي
تلعب باذهان بعضهم حتى اليوم ، اذ انه يجب اعتبار البشرية كلها شخصا واحدا
من ناحية التجارب التاريخية وعليها ان نأخذ نحن الشرقيين شرقي شاطيء
المتوسط ان نتصفح التاريخ ونذكر ان له وجها اخلاقيا تجريبيا هو تلك العبر
وقدلمح احد المؤرخين العرب من هذا الوجه حين لفظ لأول مرة بلفظنا : لفظ
تاريخ العبر وان نأخذ من هذه العبر درسا قيما هاما بدون ثمن . وكما هو صعب على
الامة التي تنقطع عن تجارب العالم ، ان تعيش بحالها ساعية وراء تجاربها الخاصة
فهي ستقضي الاف السنين بالتجارب لتتوصل الى ما توصلته الامم بالتاريخ وقد
لاتوصل اليه .

قال بعض الضباط النبهاء : ان الجيش قد اخذ عظة من تدخله بالامور المدنية ومن تحطم رؤسائه . اما انا فاقول كان عليه ان يأخذ العظة من تجارب العالم الماضي في اية بقعة من بقاع الارض واية دولة من الدول والافسنبقى مة آخرين عن ركب البشرية الاف السنين والايعضا سوف نقضي اكثر عمرنا بالتجارب .

القسم الثاني عشر

امكانية احداث انقلاب بطريقة شرعية

يجب ان لا يسرب الى الذهن ان لاعلاقة لافراد الجيش بتانا بالحكم المدني ، لا ، انهم كسائر افراد المجتمع ومن حقهم ان يحتجوا ، ومن حقهم ان يسعوا لاصلاح جهاز الحكومة ولكن ليس الا بالطرق الدستورية القانونية ؛ انما من الممكن احداث انقلاب بصورة شرعية على الشكل الاتي :

يمكن لرجال الجيش ان يتفاهموا كمواطنين مع بعض رجالات البلاد ويففقوا على اعلان ثورة طامة في البلاد ، على ان يقف الجيش موقف المتفرج ولا ينفذ امر الحكومة بخصوص قمع الثورة عند صدوره ، ومن الممكن ايضا ان يتضمن الاتفاق سير الجيش وراء الحركة الثورية وثأبيدها عندما تشند . وتعم ولكن في جميع الاحوال يجب ان يلتزم الجيش الشكنة بعد سقوط الحكومة ، وهكذا يكون تدخل الجيش محتملا وخصوصا اذا كانت البلاد مستعدة لمثل هذه الثورة وكانت الحكومة غير مرغوب فيها ومكروهة من الشعب او من اكثريةه ومستعدة فيه وقد اقترب انقلاب لبنان الاخير من الشكل الشرعي المشار اليه .

اقرأ الجيش اللبناني صفحة ٥٦ .

اما ان يكلم الجيش الشعب من فوق لا من تحت ، وان يسير لتخطيهم

الحكومة قبل الشعب ويحدث انقلابه قبل أن يحدث الشعب ثورته ودون أن يشترك الجيش معه فذلك ما ليس من حقه وما يذان عليه وما لا يقبله أن يصدر عن أي جيش من جيوش العالم العربي حتى ولا عن أي جيش من جيوش العالم .

« انتهى القسم الثاني عشر »
« انتهى الكتاب الاول »
ملاحظة : تقدم المؤلف بنسختين من الكتاب الثاني فقط ، لمجلس الوزراء السوري وللمجلس النيابي السوري بتاريخ ٦ / ٥ / ١٩٥٤

تصحيح خطأ : ضع بالصفحة (٢٠) من الكتاب الاول بالسطر « ١٣ »
كلمتي (هذا العالم) بدلا من كلمتي « الامة العربية »
وضع بالصفحة (٦٠) باول السطر (٧) كلمة (ودخلهم) بدلا من كلمة (ويدخلون) وبالصفحة (٨٧) بالسطر (٦) كلمة (لوبون) بمدة كلمة (يقول) وبالصفحة (١٢٠) بالسطر (١٠) كلمتي « الثوري المذكور » بمدة كلمة « القومي » وبالصفحة (١٠٠) بالسطر « ٤ » كلمة (عتيقة) بدلا من كلمة « عتيقة »

تصحيح خطأ : ضع بالصفحة (١٢) من الكتاب الثاني بالسطر (٢٠) كلمتي « فامثل » بدلا من كلمتي « فامثال » وبالصفحة (١٤) ومن الكتاب الثاني ايضا بالسطر « ١٣ » جملة « اثني عشر مليون نسخة » بدلا من جملة (اثنتي عشرة نسخة) .

« نكتفي بتصحيح هذه الاخطاء فقط »



تصحيح من أخطاء الكتاب الاول

صفحة	سطر	الخطا	المواب
٤	٥	جور حياس	جور حياس
٢٢	٢	ليس	ليست
٢٢	١٧	اي	اية
٢٤	٨	دو كيم	دور كيم
٢٥	٧	لاي	لاية
٢٨	٦	عن	على
٣١	١٠	وليم تل	وليم تل و البطل الخرافي
			للاستقلال السويسري
٣١	١٢	يال	بال
٣٧	١٩	وانتخاب	ووضع
٤٧	١٨	ساروا	ناروا
٥١	١٣	دستورية	الدستورية
٥١	١٥	في الثالثة	الثالثة في
٥٢	١٥	في	(احذفها)
٥٤	٧	اولي	اولو
٥٦	٣	نقوك	نقول
٦٠	٧	الامة	آلامه
٦٠	١٨	فتشكل	فتشكلت
٦٠	١٩	ارض	(احذفها)
٦٣	٣	المت	الستة

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٨٠	٢	الثورة	الثورة
٨٢	٥	الانقلابات	الانقلاب
٨٥	١١	ثورية	ثورة
٩٥	١٠	وينتفضون	وينتفضون
٩٨	١٣	التمقل	التمقل الظاهري
٩٨	١٥	المقل	المقل ظاهرا
٩٨	١٧	المقل	المقل ظاهراً فقط
١٠٤	١٦	من	عن
١٠٩	١٢	لا نتحمل	لا نتحمل
١١٣	٩	سار	ثار
١١٦	١٨	عليه	عليها
١٣٧	٤	عدواته	عداوته
١٤٣	١١	مصر	مصر تقريبا
١٤٣	١٣	قسم	قسم ضئيل جدا
١٤٣	١٤	وقسم	وقسم (وهو الشعب برمته تقريبا)
١٤٥	١٦-١٧	وسوف تبقى معلوماته ضئيلة	(احذف هذه الجملة)
		بالنسبة لكل نوع	
١٤٨	٩	كثيرا ما	احيانا
١٤٩	٩	الصلاحية	الصلاحيات
١٥٣	١	حالة	ظروف
١٥٣	٢	الحالة	الظروف
١٥٣	١٣	ان نأخذ	ان نأخذ منها العظة
١٥٥	١	قبل	قبل سير
١٥٥	١٤	ان نتصفح	علينا ان نتصفح

تجميع من اخطاء الكتاب الثاني

الاصواب	الخطا	صفحة	سطر
دو كول	بينان	٧	١٣
الاستفتاء	الاستفاء	١٣	١٣
الدستور	الدستور	١٤	١٤
الذي	الذين	١٥	٩
التمصية	بعض الصفات	١٥	٢١
انهم يجب ان يقوموا	انهم يجب ان يقوموا	١٧	١٢
سواء	سود	١٩	١٩
مطلق « لبعض اوضاع »	مطلق	٢١	٢١
مقيد « لبعض اوضاع ايضا »	مقيد	٢١	٢٢
« ادي « لبعض اوضاع ايضا »	طادي	٢٢	٢
« لبعض اوضاع اخرى ايضا »	« للقوانين »	٢٢	٣
أ	ا	٢٤	٧
احذفها	T	٢٤	٨
(الجزائية)	الجزائية	٢٤	١٠
ا - نظرية	نظرية	٢٤	١٢
كان لهم « أي لمؤلاء البشر »	كان « أي لمؤلاء البشر المشار اليهم » لهم	٢٤	١٩
المشار اليهم			
للواقع	لواقع	٢٥	١٣
المستقبل	المستقل	٣٠	١٥

ملحوظة : اضيف بالصفحة « ١٣٠ » ، بعد السطر « ٨ » ، الجملة التالية : « اما في مصر
فقرى في تاريخ نضالها الشبيه بالنضال السوري زعماء كباراً امثال : احمد عرابي
باشا ، وسعيد باشا زغول ، ومصطفى النحاس باشا . »

الكتاب الثاني :

في العقاب ومعاينة الخارصين على القانون والنظام

القسم الاول

الشبه بين اوضاع فرنسا الغير الشرعية في عهد الجنرال بيتان وبين اوضاع العالم العربي الغير الشرعية في عهد الانقلابات العسكرية

يتمتع الفرنسيون تاريخ ١٦ حزيران من عام ١٩٤٠ بداية حكم الجنرال بيتان الغير الشرعي .

فلقد سقطت فرنسا انثى امام الجيش الالماني واحتل الالماني قسما منها ولكن تفاوض المارشال بيتان مع الريخ الثالث وادت المفاوضات الى توقيف حركة الاحتلال وانقسمت فرنسا الى قسمين : قسم محتل ومشغل بالقوات الالمانية ، عاصمته باريس ، وقسم غير محتل وتابع لحكومة المارشال بيتان وعاصمته فيشي اما الشعب الفرنسي فقد سكنت بالاجمال امام القوة الالمانية الا ان بعض الافراد الوطنيين اتروا الموت على ان يروا الجيش الالماني يمر بشوارع باريس فانتحروا حتى لا يروا مثل هذا المنظر ثم تألفت بفرنسا الجمعيات السرية والمصابات الى غير ذلك من الحركات التي تسمت بحركة المقاومة

وفي هذه الحقبة العظيمة التي وقعت بها فرنسا قام رجل جبار من رجال الجيش الفرنسي وهو الجنرال دو كول وهرب مع الهاربين في باديء الامر الى انكسرتة من فرنسا واعان عدم اعترافه على حكومة بيتان الزعومة . والتي نشأت بالخيانة لانها كانت تماشى سياسة المحور فخرجت بذلك على سياسة فرنسا واذا بمحنة بمحنة

دستوريا اتبينا الى الحكم بعدم شرعية حكم - ومة بيتان وربما لخيانة رجالها الذين
تدخلوا مع الفاتحين الالمان وتعاونوا معهم
لقد قام الجنرال دو كول وناضل في بادئ الامر بقبضة من الرجال التفوا
حواله منذ تاريخ ١٩ حزيران عام ١٩٤٠ وقد اعترفت انكلترة بتاريخ ٢٨ حزيران
من السنة المذكورة بالجنرال دو كول قائدا للفرنسيين الاحرار وفي ٢٧ تشرين
عام ١٩٤٠ انضم لحركة دو كول قسم من الامبراطورية الفرنسية فتألف مجلس
الدفاع عنها ثم تالفت بموجب امر موقع من دو كول بتاريخ ٢٤ سبتمبر عام ١٩٤١
هيئة (تشبه الوزارة) (برئاسة دو كول) سميت الهيئة الوطنية الفرنسية
le comité national français ولو في هذه الاونة سميت فرنسا الحرة باسم فرنسا الحاربة
فاعترفت عليها انكلترة مرة ثانية ، وكذلك الاتحاد السوفييتي ثم اجتمع الجنرال (جيرو)
القائد الفرنسي المدني والمسكرى بافريقيا الشمالية ، بالجزائر ومراكش وتونس
والمعترف عليه من قبل الحلفاء اجتمع هذا الجنرال بالدار البيضاء (كازابلانكا)
مع الجنرال دو كول واتحدا فبديل اسم الهيئة السابقة وصارت تدعى الهيئة
الفرنسية للتحرير القومي *comité français de la libération nationale*
وتنظمت بموجب امر صادر بتاريخ ٣ حزيران ١٩٤٣ ثم بالمر صدر بتاريخ ٤
آب ١٩٤٣ وفي تاريخ ٣ حزيران ١٩٤٤ تحولت هذه الهيئة في الجزائر حيث
بدأ تأليفها الى حكومة مؤقتة للجمهورية الفرنسية وهذه الحكومة المؤقتة هي التي
انتقلت في آب عام ١٩٤٤ الى باريس واستلمت ادارة البلاد . الفعالية ثم جرى
استفتاء شعبي فتحولت هذه الحكومة بنتائج من حكومة فعلية الى حكومة
حقوقية ، تدير البلاد بصورة مؤقتة .

وهكذا نرى انه بعد نضال عدة سنوات تمكنت هذه القبضة من الرجال
برئاسة دو كول من ان توجد في باريس وتفرض احترامها على المنتصرين وعلى

المغلوبين الذين ألزمتهم قيادة الحلفاء ان يمثلوا امام حكومة دو كول ، قبل كل الدول ؛ ويوقعوا لها على نص الاستسلام (انتهاء الحرب)
وقد دل هذا العمل الصادر عن الحلفاء على عطفهم على حركة المقاومة الفرنسية اثناء الاحتلال الالماني في فرنسا وعلى اعترافهم على حكومة دو كول الذي اعلنوه منذ البداية ، وعلى رغبتهم في احترام فرنسا المحاربة
وقد قيل بهذا العدد :

اذا كانت فرنسا اول دولة انكسرت بالحرب الحديثة امام الالمان فاننا احتراماً لمقامها منعداول كرسي لها على طاولة الاستسلام والمفاوضات وعلى المغلوبين المتدين ان يوقعوا نصوص الاستسلام والمفاوضات امام ممثليها قبل ان يوقعوها مع اية دولة اخرى (١)

لنعد الان الى حكومة الجنرال دو كول : لما انتقلت هذه الحكومة الى باريس شعرت بانها حكومة فعلية ذات قيمة في فرنسا وليس كما كانت في اول تأليفها . فتبوأ المركز الرسمي الاول في البلاد واعلنت على لسان الجنرال دو كول ان الجمهورية لا تزال قائمة وان جميع الاوضاع التي نتجت عن عهد المارشال بيتان منذ ١٦ حزيران عام ١٩٤٠ حتى تاريخ اقامة الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية هي باطلة وباطلة المفعول كما سيجي . وظهر من هذه الحكومة انها سوف تحاكم من استسلموا للحكومة الريدخ الثالث ومن تعاونوا معها ومن استفادوا

(١) لم يكن لالمانيا رأي بقانا في وضع معاهدات الصلح ولقد استسلمت بلا قيد ولا شرط وما تنكلم عنه من توقيع عقود ليس الا من قبيل المسائل الشكلية فلقد كانت جميع معاهدات الصلح مع المانيا معاهدات بين منتصر يفرض ما يريد ومنكسر لا يثبت بنت شفه

من الاوضاع الغير الشرعية والى آخره .. كما سيجيء .

اوضاع بلاد العرب في عهد الانقلابات

(أ) اوضاع - سورية :

حدث في آذار عام ١٩٤٩ انقلاب عسكري اول في سوريا ادى الى حكم ديكتاتوري عسكري وكان زعيم هذا الانقلاب الغير الشرعي هو القائد الزعيم حسني الزعيم رئيس اركان الجيش السوري آنذ .

وفي عهد هذا الرجل جرى تصديق اتفاقية التابلاين الاميركية وتجددت الاتفاقية المالية مع بنك سوريا ولبنان ؛ وصدرت مراسيم ارهاية فضيحة والى آخره ...

(٢) ثم حدث انقلاب عسكري ثاني في آب عام ١٩٤٩ ، تزعمه الزعيم سامي الحناوي ؛ وقد قتل رجال هذا الانقلاب ليلة وقوعه الزعيم حسني الزعيم ومحسن البرازي .

وقد دعا سامي الحناوي زعماء البلاد الى ماهرة - حكم الشعب فلبى قسم كبير منهم الدعوة وعلى رأسهم شخصية بيضاء الصفحة السيد هاشم الاتاوي فجرت انتخابات المجلس التأسيسي الذي وضع دستوراً للبلاد واقره في ايلول عام ١٩٥٠ ثم تحول بموجبه الى اول مجلس نيابي منتخب عنه .

وقد تصدقت في عهد هذا الانقلاب الثاني اتفاقية مع شركة آي ، بي ، سي الانكليزية لمد خط بترولي جديد الى بانياس . ولم يبلغ هذا العهد اي اتفاق استعماري ولا اي مرسوم ارهاي حتى المرسوم رقم ١٥٠ الخاص بالاحكام العرفية وقد جرت القطيعة الاقتصادية بين لبنان وسوريا في هذا العهد

(٣) ثم حدث انقلاب عسكري ثالث في كانون الاول عام ١٩٥١ ادى الى تعطيل حكم الشعب وعودة الحكم العسكري بشكل من الاشكال وكان زعيم هذا

الانقلاب العقيد ادب الشيشكلي وفي هذا العهد حدث تسليم مشروع مرفأ
اللاذقية الى الشركة البحرية اليوغوسلافية وحل الطاغية الاحزاب السياسية
وصدرت سلسلة من المراسيم الارهابية وحرمت الصحافة من حرية النشر ،
وحرم على الطلاب كل نشاط سياسي ، وفرض الطاغية الشيشكلي نظام الحزب
الواحد وبدأ يقنن التعليم ويسعى لتضييقه وازدادت الضرائب وتضخمت الاموال
المرسودة للتجسس الداخلي . وفي هذا العهد قمع الشيشكلي كل المظاهرات
واحيانا استخدم الرصاص والاسلحة الجهنمية وفي هذا العهد امتلأت السجون
والمعتقلات بالمئات من خيرة المناضلين الوطنيين وخصوصا الطلاب

وفي عهد هذا الانقلاب الثالث كان الاستفتاء المزيف وكان الدستور المزيف
ايضا وكانت الانتخابات المزيفة ؛ فكثر الاحتجاجات وكثرت مظاهرات
الطلاب وفي هذا العهد حدث الميثاق الوطني للاحزاب السورية في حمص التي
ناهضت الطاغية ولم تتمرف عليه وفي عهد هذا الانقلاب الثالث ثار مع رجاله - لطلان
باشا الاطرش في جبل النضال ومقل الحريه

٤) ثم حدث الانقلاب العسكري الرابع في اواخر شهر شباط عام ١٩٥٤
فادى الى فرار الطاغية ودعوة الجيش رجالات البلاد الى ممارسة حكم الشعب
فعاد المجلس النيابي الذي وضع دستور عام ١٩٥٠ وعاد السيد هاشم الاتاسي
لمنصة الرئاسة وتألقت وزارة برئاسة صبري العسلي ويظهر ان الجيش قد قرر
الرجوع الى الثكنة والاستسلام للنظام ولعله لن يخرج من الثكنة الا بناء على
طلب السلطة المدنية الشرعية

ولعل هذا الانقلاب الرابع يكون خاتمة الانقلابات العسكرية السود .
فهل يصدق ضباط الجيش السوري من انهم لن يتدخلوا بعد الان ولن
يسمحوا لاحد منهم ان يتدخل في امور الحكومة ؟؟؟

هذا ما نأمل في التمدد القريب والتد البعيد : « وان غدا لناظره قريب »

ب - اوضاع مصر : اما في مصر فقد حدث عام ١٩٥٢ في الاسبوع الاخير من يوايو انقلاب عسكري واحد ولم يحدث غيره . حتى اليوم وزعيم هذا الانقلاب هو القائد العسكري محمد نجيب الا انه احد رجال الحركة الانقلابية فقط المؤلفة من مجموعة من امثاله كصلاح سالم وجمال عبد الناصر و... والى آخره ..

وفي عهد هذا الحكم العسكري خفق الطغاة العسكريون الحريات العامة في مصر ، واضطهدوا الاحزاب السياسية ، والزعماء الوطنيين الذين انشأوا مع اسلافهم نهضة مصر ، وحدثوا محكمة مموها محكمة الثورة كذبا وبهتاناً فليس هناك ثورة في مصر وانما عصاة خرجوا على القانون وليس هناك محكمة وانما مجموعة اشخاص يحاكمون الابرياء والاحرار وزعماء مصر طمعا في ان يستلب لهم الامر عن طريق الظلم والاستبداد والارهاب ويصادرون اموالهم طمعا في نعيم الدنيا واغباها لتهمهم وارواء لجشعهم

ولقد نار المصريون منذ عدة ايام في وجه الطغيان في شوارع القاهرة وغيرها فوجدت الطغاة باقامة عهد جمهوري والقاء محكمة الثورة وربما رجوع الجيش الى الثكنة ولما استتب الامن وهذا الجو ظهر كذب الطغاة فعادوا لمجالس ثورتهم المزعومة وطادوا يصدرون كل يوم مرسوما ويخرجون به الى العالم المصري ويرهنون به عن انهم غير شرعيين وعن انهم لا يصلحون للحكم شي . وعن انهم مختلفون فيما بينهم وسوف يأتون على بعضهم البعض حتى لا يبقى منهم احد وحتى ينود حكم الشعب الى الشعب الى صاحبه .

تقف عند هذا الحد من البحث في اوضاع سوريا ومصر ، لاننا نريد ان يكون كتابنا كتابا صغيرا ولان اوضاع سوريا ومصر في عهد الحكم العسكري

اوضاع غير شرعية لاستحق البحث والتدقيق .
اذن : وجه الشبه بين اوضاع فرنسا واوضاع بلاد العرب التي حدثت بها
انقلابات عسكرية :

- ١ - في كل من العالمين نرى سلطة عسكرية غير شرعية تحكم البلاد
- ٢ - في كل من العالمين نرى احزابا ورجالات وزعماء وثوارا يعلنون عدم
اعترافهم على السلطة العسكرية الغير الشرعية .
- ٣ - في كل من العالمين نرى احزابا ورجالات وزعماء يثورون في وجه
الحكم العسكري الغير الشرعي ويقودون المناضلين لسحق هذا الحكم .
ولكن اذا كان هناك وجه شبه بين العالمين فان بينهما وجه تباين وانما
نكتفي باظهار وجه الشبه فقط الذي يهمنا

القسم الثاني

٢ - كيف تصفت بعد الحرب العالمية الثانية الاوضاع الغير الشرعية لفرنسا

نذكر هنا الامر التشريعي الصادر عن حكومة الجنرال بيتان بتاريخ ٩
آب عام ١٩٤٤ من اجل اعادة الصفة الشرعية للجمهورية :
تملن المادة الثانية من هذا الامر : (باطلة وباطلة المفعول جميع النصوص
الدستورية، والتشريعية، والتنظيمية وكذلك القرارات المتخذة، من اجل تنفيذها،
تحت اي تسمية كانت، المذاعة في المنطقة الفرنسية الاوروبية بعد تاريخ ١٦ حزيران
عام ١٩٤٠ حتى تاريخ اقامة الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية ولكن الفقرة
الثانية من هذه المادة تستدرك بالحال فنقول :

ان هذا البطلان يجب ان يكون ملحوظا صراحة

قبل ان نستعمل بالموضوع يجب ان نفرق بين المفهوم الحقيقي للابطال

او للبطلان . والمفهوم الحقوقي للإلغاء. ويقابل الاولى بالفرنسية : *Annulation* ويقابل الثانية : *Abrogation* والفارق بينهما مبدئيا سهل : فالاولى تتضمن مفعولا رجحيا للنص الذي قع عليه ان الابطال يلغي مفعول القانون بالماضي والحاضر والمستقبل . اما الالغاء فلا يلغيه الا بالحاضر والمستقبل

ولقد علق الاستاذ شوقاياه في مقدمته للحقوق المدنية على هـ - هذه الطريقة التشريعية التي سلكتها حكومة الجزائر دو كول بما يأتي :

١ - لم يرغب الشارع الجديد ان يعطي قيمة بصورة اجمالية لتشريع حكومة فيشي وذلك لكرامة المبادي ولكي لا يعترف لنظام فيشي بنوع من الصفة الشرعية التي لا يملكها ولهذا ابطال الشارع الجديد هذا التشريع الصادر عن حكومة بيتان مبدئيا بصورة كلية، ولكن لابقاء كل الاوضاع التي لم تنكرها حكومة دو كول الشرعية فلقد اوجبت هذه الحكومة الاخيرة ابطالا صريحا ، الامر الذي يديم مفعول جميع القوانين التي لم يلحظ الشارع الجديد صراحة عدم اتفاقها مع الصفة القانونية الجمهورية .

ان هذه الطريقة ليست عمليا سهلة الاستعمال : فحيث ان المبدأ الذي اتبعته حكومة دو كول هو الابطال لجميع تشريعات بيتان وملحقاتها فان ابقاء المفعول لقانون ما يفترض تحقق الاثبات السلبي بان الشارع الجديد لم يعلن صراحة عدم اتفاق هذا القانون مع الصفة القانونية الجمهورية

٢ - ان هذا النص التشريعي يدخل بعالم الحقوق مفهوما جديدا مورطبا فهو بجانب مفهوم الالغاء الحقوقي لقوانين يدخل مفهوم الابطال

ان التمييز بينهما هو واضح من الناحية المنطقية : فالالغاء يتضمن الغاء للمستقبل والابطال يتضمن الغاء رجحيا : انه يجب اذن ان يؤدي الى ابطال كل المفعول الناتج من التطبيق السابق للقانون الذي

« اعلان الشارع ابطاله وابطال مفعوله » وهكذا نفهم في كثير من الحالات بان هذه الصفة الرجعية للقانون تستطيع ان تسبب مساوئ فظيمة ، لذلك فقد كتبنا الشارع الجديد لبعض القوانين مشيرا الى ان الحاظ ابطالها لا يؤدي الى مساس مفعولها الناتج من تطبيقها السابق لتاريخ ابطالها . ولكن اوليس في ذلك عودة الى المفهوم التقليدي للإلغاء تحت اسم الابطال ؟ لاليس تماما : لناخذ مثلا واحدا فقط : لقد رفضت محكمة التمييز الفرنسية ان تنقض الاحكام القضائية والقرارات التي لم تطبق نصوص القانون الصادر في ٢ نيسان ١٩٤١ المتعلق بالطلاق والذي اطلته حكومة الجنرال دو كول . مع ان هذه القرارات والاحكام اتخذتها المحاكم في ظل القانون المذكور قبل تاريخ الابطال ولكن لم تبت بها محكمة التمييز المرة الاخيرة الا بعد تاريخ الابطال وهذا يعني ان اجتهاد القضاة الفرنسي كان يعطي مفعولا رجعيا احيانا كما ترى حتى لا يبطال بعض القوانين التي الحظ الشارع الجديد ان ابطالها لا يؤدي الى مساس مفعولها الناتج من تطبيقها بالماضي .

ولكن نلاحظ ان هذا النوع من المفعول الرجعي التي تطبقه محكمة التمييز الفرنسية اجتهادا هو مثبت للقرارات والاحكام التي لم تراعى تشريع بيتان فقط واولس لاغيا للقرارات والاحكام التي راعت تشريع بيتان فالقضاء الفرنسي لم يبلغ ولا بلغي مثل هذه القرارات والاحكام الاخيرة الا بموجب قانون او قوانين اطلت صراحة القوانين التي ارتكزت عليها هذه القرارات او هذه الاحكام .

ويقول الاستاذ شماس في كتابه الحقوق الدستورية ان الامر التشريعي الصادر في ٩ آب المذكور لم يعلن نظرا للضرورات العملية ابطال النصوص الحقوقية التي اتخذها نظام فيشي بفرنسا الا بمدة أشكال :

١ - فقد ابطال بصورة مطلقة بعض النصوص ؛ النصوص الدستورية ؛
النصوص المفروضة من قبل المحتل (كالعمل الاجباري) والنصوص المأمرة
للحريات العامة الى آخره ..

٢ - الا ان البعض الاخر من هذه النصوص لم تبطل الا للمستقبل

٣ - كما ان نوعا ثالثا من هذه النصوص بقي ساري المفعول بصورة مؤقتة .
ولكن هذا الامر التشريعي الذي اعلن شرعية الجمهورية وابطل ماسواها
(مبدئيا) من اوضاع حكومة بيتان الفسير الشرعية في نظره لم يقصد اعادة
دستور الجمهورية الثالثة دستور ١٨٧٥ فلقد رغب دو كول منذ البدء حتى النهاية
في تجديد الدستور الفرنسي ، بارادة الشعب كما ظهر ذلك في امر منه صادر في
٢١ نيسان ١٩٤٤ ، وهكذا لم يقصد دو كول من اعادة الصفة الشرعية للجمهورية
اعادة دستور ١٨٧٥ بل ارجاع مبادي الحرية التقليدية فقط باعتبار نتيجة للحكم
الجمهوري والديمقراطي ، وقد اتخذت حكومة دو كول الموقته الصفات التالية :
أ - بقيت هذه الحكومة في عامي ١٩٤٤ - ١٩٤٥ حكومة فعلية

ب - تغلب على هذه الحكومة الموقته الصفة المطلقة : فرائسها دو كول كان
يتصرف اجمالا بالسلطتين التنفيذية والتشريعية
ت - ولكن هذه الحكومة اعلنت لنفسها المبادي الديمقراطية واكدت
انها تركن عليها

ث - وايضا اعلنت انها حكومة مؤقتة .

وقد كان للحكومة الموقته مجلس استشاري وتظهر في طريقة تأليفه
اسس العقاب ١ - فلقد تحرم الدخول في هذا المجلس الاستشاري على بعض اعضاء
المجلس النيابي الفرنسي ومجلس الشيوخ الفرنسي الذين كانوا يقومون بوظيفتهما
عام ١٩٣٩ وهؤلاء الاعضاء هم الذين وافقوا على اعطاء السلطة التشريعية للمارشال
بيتان لما دعا هذا المارشال المجلسين اثناء استلامه دفة الحكم بعد انكسار فرنسا

٢ - وكذلك وقع الحرمان المذكور (اي منـع الاشتراك في المجلس الاستشاري) على اعضاء حكومة فيشي

٣ - وكذلك وقع الحرمان على اعضاء البرلمان ، والموظفين او العملاء العاملين ، الذين افادوا اعمال العدو بصورة مباشرة او غير مباشرة كالذين اضعفوا نضال الامم المتحدة والفرنسيين المقاومين وكالذين حصلوا او جربوا ان يحصلوا على فائدة مادية من تطبيق التنظيمات المخالفة للقوانين السارية المفعول بتاريخ ١٦ حزيران عام ١٩٤٠ وما قبله

٤ - وكذلك وقع الحرمان على الاشخاص الذين قبلوا في فرنسا في عهد بيتان وظيفة ذات سلطة او كرسيا في مجلس قومي او مجلس محافظة وقد وقع هذا الحرمان ليس فحسب بخصوص تأليف المجلس الاستشاري للحكومة المؤقتة بل ايضا بخصوص المجالس الادارية المحلية .

وقد صدرت كل هذه الحرمانات بموجب الامر الصادر في ٢١ نيسان ١٩٤٤ ثم صدر امر بتاريخ ٦ نيسان ١٩٤٥ احدث تبديلا طفيفا في هذه الحرمانات فاصبحت هذه الحرمانات واقعة على الفئات الست الآتية :

١ - اعضاء حكومة فيشي الامن يتبرؤون بقرار او بثبوت عدم اتصالحهم بقصر الحكومة (حكومة بيتان)

٢ - الاشخاص المحكوم عليهم بمقوبات نقدية من استفادتهم استفادة غير قانونية .

٣ - اعضاء مجلس المحافظة او المجلس البلدي في باريس المعينين بأمر حكومة فيشي

٤ - الاشخاص الذين حضروا المجلس القومي او اشتركوا باحدى لجانه

(المجلس القومي وضع من اوضاع حكومة بيتان الغير الشرعية)
 ٥ - اعضاء البرلمان القديم (برلمان ١٩٣٩) الذين صوتوا لاعطاء السلطات
 عام ١٩٤٠ لحكومة بيتان او الذين قبلوا بعد تاريخ شهر نيسان ١٩٤٢ وظيفة
 (ولو بدون اجرة) من قبل حكومة فيشي اي حكومة بيتان
 ملاحظة : ان الحرمانات الثلاثة الاخيرة يمكن ان تزال عن كل شخص
 اذا ثبت بموجب قرار من (مجلس محلفي الشرف) ان هذا الشخص قد ساهم
 باعمال المقاومة ضد المحتلين الالمان

وقد شكلت الحكومة المؤقتة مجالس محلفين من اجل الحاظ هذه الحرمانات
 كما ان المحاكم الافرنية نفسها استطاعت معاقبة كثير من الذين تقع عليهم
 هذه الحرمانات وذلك تطبيقا للامور التشريعية الصادرة عن حكومة دوكول
 واحيانا تطبيقا للاصول والقوانين العامة الفرنسية، وقد حوكم لاف من البشر في فرنسا
 في هذا المضمار ولا عيب في ذلك فالمعاقبة والمحاكمات خير من الاهمال ولو كانت
 المحاكمات والمعوقات تطول عددا كبيرا من افراد الشعب ؛ ففي المقاب تربية لا
 نراها في غيره .

وقد تألفت ايضا في فرنسا محاكم خاصة متعددة اهمها المحاكم ذات الطابع
 السياسي كما انه صدرت اوامر وقوانين متعددة، ادانت بعض الاشخاص والفئات
 فحوكم هؤلاء بموجها وغصت السجون بالمجرمين والجائحين والمخالفين اذ اصاب
 هذه الاوامر والقوانين الاف البشر ، ولا بد لنا من ذكر محاكمة الماريشال
 بيتان اذ ان تاريخ هذا الرجل الناصع البياض ، الملي بالخدمات لفرنسا لم يخلصه
 من برائن القانون فلمثال امام المحكمة كسائر المتهمين وحوكم محاكمة دقيقة
 وحوسب على الشاردة والواردة واخيرا وقع عليه حكم الاعدام ولكن نظراً لسنه

و... فقد ابدلت المحكمة حكمها عليه بالسجن المؤبد الا ان بيتان لم يجبه هذا الحكم فقرر ان لا يكلم احدا بالسجن وان لا يطالب شيئا سوى زهرة قصيرة مع كلبه الوديع ضمن السجن.

ولقد مات بيتان الرجل العظيم في السجن وهو ينفذ فيه الحكم فكان في ذلك ابرز صفة من صفات قوة الشعب الفرنسي وهي : سيادة القانون وحدته وشدته وجبروته ؛ ولقد اسقطت من جهة اخرى بعض الاوامر والقوانين جزءاً من الحقوق المدنية لبعض الفئات وخصوصاً الحقوق السياسية وكل ذلك زيادة على الاصول والقوانين العامة التي ادانت ايضاً الافا من البشر في العالم الفرنسي والى آخره .. والى آخره .. فبالحقيقة لا كرامة للدولة ان لم يثقل كل فرد ما يستحقه ؛ من جزاء او عقاب

اما من الناحية التنظيمية العامة فقد قامت الحكومة المؤقتة باستفتاء شعبي في فرنسا في اول عام ١٩٤٥

وهذا هو نص الاستفتاء الموجه للمواطنين الفرنسيين :

١ - هل تريد ان يكون المجلس المنتخب اليوم مجلساً تأسيسياً

٢ - واذا اجاب المستفتون بالموافقة على السؤال الاول فهل تقبل بتنظيم السلطات العامة حسب مشروع القانون المرفق حتى وضع الدستور الجديد في نطاق التنفيذ ؟ ان مشروع القانون المشار اليه في السؤال الثاني هو بالحقيقة تحديد لسلطات المجلس التأسيسي المنتخب فالحكومة تخشى ان ينتهي هذا المجلس الى اطلاق سلطته والى تطويل مسدة وضع الدستور وقد كانت نتائج الاستفتاء الشعبي ايجابية فصدر بتاريخ ٢ تشرين ثاني عام ١٩٤٥ القانون الجديد المتضمن التنظيم المؤقت للسلطات العامة وهكذا تحولت الحكومة المؤقتة الفعلية الى حكومة مؤقتة شرعية بفضل هذا الاستفتاء الشعبي وفي نفس اليوم الذي

جرى به الاستفتاء جرت الانتخابات التأسيسية وقد تضمن القانون الجديد تحديدًا مزدوجًا لسلطة التأسيسية :

١ - ان لا تزيد مدة وضع الدستور عن سبعة اشهر والا سينحل المجلس المذكور ، وتدعو الحكومة الى انتخاب مجلس تأسيسي آخر

٢ - يجب ان يحدث استفتاء شعبي من اجل قبول او رفض الدستور بعد وضعه من قبل المجلس التأسيسي ؛ ولما اجتمع المجلس التأسيسي المنتخب في ٢١ تشرين اول عام ١٩٤٥ كانت اكثريته من الاشتراكيين والشيوعيين تقريبا ولكن الحزب الجمهوري كان ممثلا به ايضا تمثيلا قويا ، الامر الذي ادى الى خلافات شديدة بالمجلس وقد حدثت مظاهرات بين نواب المجلس ووزراء الحكومة وخصوصا الاشتراكيين والشيوعيين والجمهوريين لاسيما بعد استقالة الجنرال دو كول من رئاسة الدولة بتاريخ ٢٠ كانون ثاني عام ١٩٤٦

واخيرا وضع المجلس التأسيسي دستورا وصادق عليه بتاريخ ١٩ نيسان عام ١٩٤٦ فطبعت الحكومة اثنتي عشرة نسخة من الدستور ووزعتها على الشعب مستفتية اياه فرفض الشعب هذا الدستور بتاريخ ٥ ايار ١٩٤٦

وفعلا انحل المجلس التأسيسي الاول المذكور (بعد اجراء هذا الاستفتاء) وجرت انتخابات تأسيسية ثانية جديدة بتاريخ ٢ حزيران عام ١٩٤٦ ووضع المجلس التأسيسي الجديد دستورا جديدا قرر ٥ بتاريخ ٢٩ ايلول عام ١٩٤٦ وفي ١٣ تشرين اول حدث الاستفتاء الشعبي الثاني وكانت النتيجة ايجابية واذاغت الحكومة الدستور النهائي بتاريخ ٢٧ تشرين الاول عام ١٩٤٦ ونشرته بتاريخ ٢٨ منه على ان يكون ساري المفعول ابتداء من اجتماع المجلس الجمهورية المنصوص عنه بالدستور الجديد المقرر ، الذي اجتمع في ٢٤ كانون اول عام ١٩٤٦ حيث انتهى مفعول قانون ٢ تشرين ثاني عام ١٩٤٥ المتضمن التنظيم المؤقت

للسلطات العامة . وهكذا انتهت فرنسا الى اعلان الجمهورية الرابعة التي بدأت بتطبيقها في تاريخ ٢٤/١٢/١٩٤٦ المذكور كما رأيت

القسم الثالث

كيف يجب ان تتصفى الاوضاع الغير الشرعية في كل قطر من اقطار العالم العربي التي حدثت او تحدث بها انقلابات .

تمهيد : لاتقوم الدولة الا على احترام القانون كما يتضح في جميع سطور هذا الكتاب الذي يحوم حول هذه الفكرة ولكن العقاب يجب ان يكون اجتماعيا : العقاب يجب ان يكون اجتماعيا : واقصد بذلك ان يكون مستوى العقاب من مستوى العقوبة الاجتماعية كما هو الحال في العقاب الذين نلاحظه في القوانين الجزائية بالماء ، فالقوانين الجزائية العالمية تختلف من دولة لاخرى لانها اجتماعية تميل الى مطابقة النفسية الاجتماعية في كل مجتمع بشري ونرى في دولة واحدة تباين العقاب بالنسبة لمستوى الشخص العلمي او الفني او بالنسبة لسنه ، او بالنسبة لحالته العقلية فالجنون مثلا غير مسؤول جزائيا (على العموم) عن ما يصدر عنه ولهذا لا يمكن ولا اسمح لاحد بان يدعي بائي اطالب بتصفية المهود الغير الشرعية في سوريا مثلا كما تصفت الاوضاع الغير الشرعية في فرنسا ففرنسا دولة عريقة وقديعة في حريتها وصرحها الحقوقي ذو اساس متين والروح القانونية قد دخلت في نفوس الافرنسيين ورسخت الى حد بعيد والمستوى الحقوقي في فرنسا هو اعلى مستوى في العالم من حيث العلم الحقوقي والمعرفة الحقوقية والثقافة الحقوقية اما سوريا فهي دولة جديدة ناشئة والعقاب فيها يجب ان يكون خفيفا لانها لم تمتد بعد عليه . ولست سلطة تشريعية حتى اسن قوانين التصفية في سوريا ولست ايضا حكومة موقته حتى اقوم بذكر كيفية بعض الصفات ولكني

اخاف من اهل الحكومة الحاضرة وتفاضيها وتأثرها بالمحيط الاجتماعي رغم اعترافي بان رجال الحكومة اليوم في سوريا وزعماء مصر المناضلين هم اقوياء وقديرون وقد حنكتهم التجارب والايام والاحداث وخصوصا الاحداث الاخيرة زيادة على معلوماتهم الخاصة وهم الذين حرصوا على استقلال سوريا ومصر بل انهم وامثالهم وهم الذين لا يلقون قبضة من الرجال احياء وامواتا امثال هنانو وزغلول اقول انهم وامثالهم هم الذين بنوا صرح سوريا ومصر ورفعوا صوتها عاليا بين الدول . ولكنني لاسطيع رغم كل ذلك الا ان انبههم الى ضرورة العقاب وتطبيق القانون : لا استطيع الا ان اسامع معهم في خدمة هذا العالم الذي ربيت به واشعر بان له فضلا علي فانا اشرب ماءه والبس ثيابه وانام على فراش صنعه لي وآكل تقريبا مايسمح لي وجداني بأكله متناولا اياه من المجتمع وقد رباني وتقتني وعلمني الخير والشر وانا مدين له بكل شيء تقريبا ولذلك اريد ان ارد له قسما من ماقدمه لي ولهذا طرقت موضوع هذا الكتاب والفته لكي يقرأ اولو الامر قبل كل شيء ثم افراد المجتمع فلملي اقدم له شيئا وافي له بقسط مما له علي

« انتهى التعهد »

١ - في تحديد تاريخ بدء اليهود الغير الشرعية .
ان تحديدها في مصر سهل جداً ذلك لانه لم يحدث بها الا انقلاب واحد وهو الانقلاب المسمى بانقلاب محمد نجيب .
اما في سوريا فلقد تكررت الانقلابات . ولذلك صار صعبا علي الباحثين تحديد اللحظة التي بدأت بها اليهود الغير الشرعية :
اذ انه لا حدث انقلاب سامي الحناوي في آب عام ١٩٤٩ وادي هذا الانقلاب الى قتل الطاغية حسني الزعيم وعحسن البرازي، دعا الحناوي المذكور زعماء البلاد لممارسة حكم الشعب فقاطع الوطنيون الانتخابات التي جرت وكأني

كل الحق في جانبهم لان عهداً غير شرعي عهداً كعهد حسني الزعيم يجب النظر فيه ويجب تصفيته وحزب الشعب لم ينظر الى الوراء بل سار الى الامام وخاض حركة الانتخابات فتكررت المأساة وظهر على المسرح طاغية افظع هو ادب الشيشكلي .

وعليه فهل يجب العودة الى تاريخ وقوع انقلاب الشيشكلي واعتباره مبدأ المهود الغير الشرعية ؟ ام يجب العودة الى تاريخ اعتقال السيد شكري القوتلي واعتباره مبدأ المهود الغير الشرعية ؟

ان شعباً كالشعب الفرنسي مثلاً لا يمكنه الا ان يعود الى بداية الانقلاب الاول ليعتبرها مبدأ لتصفية المهود الغير الشرعية ، اما نحن العرب فلا اظن ان العقلية الاجتماعية مستعدة للرجوع لهذا التاريخ البعيد ويظهر ان الحزبين الوطني والشبي متفقان على اعتبار بدء انقلاب الشيشكلي هو بداية المهود الغير الشرعية في سورية الا انهم يجب ان يقوموا ولو في هذه الحالة ببعض التصفية لعهد حسني الزعيم .

٢ - في مطابقة العقاب لمستوى الشعوب العربية :

اذا اردنا ان نقاب بشدة وصرامة وان نطبق القوانين العامة فقط بالحرف الواحد وحق بدون اصدار قوانين جديدة فان بالثمة ثمانين على الاقل من المواطنين سوف يتألمهم القانون .

وعليه كيف يجب الان ان نسير ؟؟ افهل يجب ان نحكم الشعب السوري اي اكثرية مثلاً او الشعب المصري اي اكثرية ؟؟ هنالك فيلسوف قديم قال كلمة صليحت لان تكون قانوناً طاماً في جميع المواضيع تقريباً : لقد قال بلاتونس : خير الامور اوسطها . وانا ارى ان العقاب ، يجب ان يتحدد بشكل يستحيل

به ادانة اكثر من نصف الشعب فما يفعله نصف الشعب او اكثرية هو شرعي ولا يجوز لاحد محاكمة الشعب لانه هو مصدر السلطات اذن اقول لا يجوز محاكمة الشعب لهذا السبب مهما كانت الحاجة ماسة الى تأليف دولة حقوقية تحترم القانون بل بالعكس اكتفي في شعب مثل شعبنا السوري والمصري ان ينال القانون ويماقب الفئات المفضوحة في نفعيتها المفضوحة في اختراق القانون الفئات التي كانت في كل بلد هي الحجر الاساسي الذي سند الطغيان ، والى آخره ..

٣- في ذكر بعض المقولات وذكر الفئات التي يجب ان يقع عليها العقاب:

أ- محاكمة جميع متهمي حرمات الدستور ماضيا ومستقبلا وخصوصا الدستور المصري ؛ والدستور السوري الاول والثاني سواء المدنيين ثم العسكريين سواء الاحياء منهم والاموات وسواء الحاضرين منهم او الغائرين كاديب الشيشكلي حكما وجاهيا او غائبا . وبصورة خاصة محاكمة تاريخية لحسن الزعيم والبرازي والحادي وغيرهم ممن اتهمتهم في بلاد العرب بمران الانقلابات العسكرية وبحث قضبة اسقاطهم من الحقوق المدنية لاسيما اسقاط الشيشكلي من هذه الحقوق واسقاط الآخرين ايضا منها او من بعضها والحكم على المجرمين الكبار بالاشغال الشاقة الى الابد . وكذلك اتهم اكرم الحوراني ومحاكمته فلربما ثبت تعاون هذا الرجل بالبداية مع رجال الانقلابات العسكرية السورية او احدها بعد حدوثها على الاقل ، وفي هذه الحالة يجب محاكمة الحزب العربي الاشتراكي وحزب البعث العربي متحدين او كل على حدة - زيادة على محاكمة اكرم وزملائه - وكذلك يجب محاكمة سائر رؤساء الاحزاب الذين تعاونوا مع العبود الغير الشرعية ولو قليلا وفي البدء .

ب- وبصورة عامة محاكمة المشتركين في جميع الحكومات المزعومة الاقليمية او حكومات عهد الانقلابات .

ج - ابطال جميع الدسائير والقوانين والمراسيم والقرارات ، انشريعة والتنظيمية اي :

الفاء جميع الاوضاع الحقوقية المزعومة المنشأة في سوريا او مصر او غيرها من البلاد العربية التي حدثت او تحدث بها انقلابات منذ بدء المهود الغير الشرعية ثم اعادة النظر بها وتثبيت ما يصلح منها للبلاد فقط ، وابقاء المفعول في الماضي لبعضها حسب الضرورة العملية ، والغاء بعضها الفاء عاذاً وابقاء بعضها الاخر بصورة مؤقتة ساري المفعول ، وابطال الباقي اطلاقاً نهائياً بالماضي والحاضر ، وكل ذلك بققرات وقوانين جديدة ؟

د - وبصورة خاصة اصدار قوانين تحرم الوزراء ورؤساء البلديات والنواب وسائر الموظفين الكبار اثناء المهود الغير الشرعية ، من الخدمة العامة بالدولة وتحرمهم حق الانتخابات وحق ترشيح انفسهم في اي نوع من الانتخابات العامة لمدة من الزمن تتفاوت حسب شدة اجرام المهروم

هـ - وبصورة عامة اصدار قوانين تحرم المشتركين بحكومات المهود الغير الشرعية او المتعاونين مع هذه المهود كل بقدر (تعاونه) (ونيته) (واستفادته من المنافع والمصالح العامة بالدولة) .

و - اصدار قوانين تبطل اطلاقاً نهائياً وبدون تحفظ جميع الاتفاقات مع الدول الاجنبية والعقود مع اشركات الاجنبية ، حتى تملاذ هـ - هذه الدول الاجنبية وهذه الشركات الاجنبية على عدم الاعتراف على مثل هذه الحكومات الطاغية الناتجة عن انقلابات عسكرية مدود في بلاد العرب او في اية دولة من دول العالم فنحن لا قبل الفوضى في بلادنا ونرجوا ان لاتقع يوما في اية دولة اجنبية كانت ايضا

ز - مخاكمة الضباط الذين خرجوا على حسني الزعيم والشبكلي والى

آخره .. وتخفيف الحكم والعفو عنهم اخيرا بقانون خاص .
و قاعدة هذه المحكمة هي احترام هيبة القانون والذظام والفاء هذا الاحترام في نفوس الضباط والشعب حيث يتذكر كل فرد انه لولا قانون العفو عن هؤلاء او لولا العفو عنهم لادينوا فيها بون القانون والنظام ويعلمون ان اختراقه لا يؤدي للسلامة والنجاة الا بمثل هذه الحالة اي حالة ضرورة المصلحة العامة .

ز - احداث محاكم خاصة عند الاقتضاء للحكم على من تجرمهم القوانين الجديدة المذكورة ومماقتهم وكذلك للحكم على المتعاونين والمستفيدين والمشاركين بالعهود الغير الشرعية ومماقبة كل فرد بقدر نيته وقادته وتعاونيه واشتراكه كما ذكرنا
ح - النظر بتسريع جميع الموظفين السياسيين الكبار بالدولة كالوزراء والنواب والمحافظين ورؤساء البلديات الذين تعاونوا مع العهود الغير الشرعية او قبلوا مناصبهم في هذه العهود بموجب مراسيم او قرارات وحرمانهم او حرمان بعضهم، اذا اقتضى الامر، من وظائف الدولة والمنافع العامة والتزامات الدولة وما شاكل ، ومحاكمتهم او محاكمة بعضهم، اذا اقتضى الامر، وذلك بموجب قوانين خاصة بصدرها المجلس التأسيسي او المجلس التشريعي واستعادة معاشاتهم وما قبضوه من الخزينة العامة بموجب قانون تشريعي

ط - تسريع جميع الموظفين الاخرين الذين توظفوا في العهود الغير الشرعية على الاقل ومحاكمتهم بقانون خاص اذا اقتضى الامر .
ي - الفاء او تعطيل بعض الصحف التي كانت تشكلم بلسان العهود الغير الشرعية او كانت تسند بدعايتها حكم الطغاة .

ك - محاكمة رؤساء فروع حزب التحرير - ل - اصدار قانون لمصادرة قسم على الاقل من اموال الموظفين السياسيين الكبار (والسياسيين الاخرين) الذين

تعاونوا مع المهود الغير الشرعية

م - ادانة الحزب القومي لاشتراكه بانتخابات غير شرعية في سوريا
ن - اما الشيوعيون فلقد حاولوا ايضا الاشتراك بالانتخابات الغير الشرعية
وهم يدانون من هذه الناحية وارى انهم اخطأوا في ميامنتهم من حيث الطريقة
فقط لا من حيث الغاية :

ان رجلا كاديب الشيشكلي الذي لا يمكن ان يأتمنه الانسان على شيء
مقدس او منحه احد رجلا كهذا المجرم الذي انتهك حرمة الدستور وداس
بقدمه على كرامة انقانون ولم يحترم رجلا قضوا عمرهم في النضال ضد الاستعمار
ولم يعتبر ويقدر ممثلي الشعب ، ان رجلا كهذا لا يمكن تصديقه حين يقول :
« تعاونوا لنتعاون » ، تعاونوا ورشحوا انفسهم تعاونوا وانعموا بالحريه التي نشرت لكم
مبادئها ، انه كذاب وقد ثبت كذبه مراراً كما ثبت خيائته وعليه لا يجوز اتقائه ..
وكان على الحزب القومي وعلى الشيوعيين بل على الحزب الشيوعي ان
يدركا ذلك .

س - والى آخره .. والى آخره ..

ع - والخلاصة :

ابطال ثم اعادة النظر بجميع الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية
الغير الشرعية على الشكل التالي :

ابطال مبدئي لجميع الاوضاع الغير الشرعية ثم تقييد هذا الابطال ليكون
ساري المفعول بصفة (الصراحة القانونية) وتنويمه حسب الضرورة بحيث يصبح
على اربعة اشكال :

١ - ابطال صريح مطلق .

٢ - ابطال مقيد يقرب مفهومه من الالزام دون ان ينطبق عليه (اقرأ ما يمتاق

بفرنسا عن الإبطال الصفحات ٧ - ٨ - ٩ - ١٠)

٣ - الغاء عادي

٤ - ابقاء موقت « للقوانين » ثم محاكمة المشتركين في جميع الاوضاع المذكورة او المؤيدين لها او المستفيدين منها - كل حسب ما اقترب . .

القسم الرابع

الاعتراف بجميل من اعدوا العهد الشرعي « او ساعدوا على اعدته » او من لم يمتروا على العهد الغير الشرعي او ناهضوه وتقديرهم جميعا كل بقدر ما يستحق ونحت التماثيل لرجال العالم العربي وانشاء : مقر او مرقد العظماء . :

اذا لم نحترم من يناضل في سبيل نهضة سوريا والعرب ؛ في سبيل انشاء دولة ؛ واذا لم نقدر من يضعون حياتهم رهين المصلحة العامة والواجب قلن تحمس القادرون على خدمة البلاد على الاقدام على اي تضحية الا نادراً لذلك يجب ان نكون عادلين امام هؤلاء فلا ننس لهم على الاقل خدماتهم ونضالهم . والا لن يكون هناك حرمة ولا قيمة للنهضة ، والدولة ، والمصلحة العامة ، والواجب ، اذا لم يكن هناك احترام ولا قيمة لمن يهب حياته في سبيلها ، وعليه ، اطالب بتحقيق البنود التالية :

آ - اصدار قانون لنحت ونصب تماثيل بالمدن ، كالسلحات العامة فيها ، والشوارع ، تماثيل لابطال الحرية والاستقلال امثال : ابراهيم هنانو ، يوسف العظمة . فوزي الغزي ، سعد الله الجابري ؛ عبد الرحمن شهنندر ، « في سوريا » سعد زغلول ، احمد اعرابي « في مصر » وغيرهم . .

ب - اعطاء الاوسمة المدنيين والعسكريين الذين ناضلوا في سبيل اعادة

العهد الشرعي للبلاد . او من يناضلون في سبيل اعادة هذا العهد في اي قطر من اقطار البلاد العربية كمصر التي حدث بها او يحدث بها انقلابات عسكرية والاعتراف بجميل من ساعدوا على اعادة العهد الشرعي او من لم يعترفوا على العهد الغير الشرعي ؛ وتقديرهم جميعا كل بقدر مايستحق وبصورة خاصة ترقية رجال الجيش الذين سحقوا او ساءموا في سحق الطغاة .

ج - اصدار قانون خاص لنحت ولنصب تمثال في جبل الحرية والنضال ومقل ابطال الاستقلال ، المناضل الكريم سلطان باشا الاطرش . احدى هذه الربوع من كل طاغية مستبد .

هـ - انشاء مقر او مرقد العظماء (ففي اكثر دول العالم رى العظيم ممن خدموا الدولة عندما يفارق هذا العالم ، محترما مكرما ، وبرى الدولة تدفنه مع زملائه من العظماء في مكان معين . وقد نحت له على قبره او قربه تمثالا عظيما اعترافا بخدماته للدولة والانسانية . وهذا ما تراه اذا ذهبت اليوم مثلا الى روسيا او الى الولايات المتحدة الاميركية . حيث ترى في مقر العظماء رسل الانسانية (الصغار) امثال جورج واشنطن و ابراهيم لنكولن وقد شخصت تماثيلهم في هذا المقر الاخير الى الابد وهم يوحون للناظر اليهم بالخير والعلمانية والحب والسلام .

فهل جفت ارض الشرق من امثال هؤلاء العظام الذين شيدوا صرح اميركا ؟؟ لقد كان الشرق مهبط الوحي ومبعث الرسل ، ومنه دوت اصوات اعظم الانسانيين في هذا العالم وعنه اخذ العالم بأسره تعاليم الحب والاخوة والسلام . فهل ننسى مصادرنا التاريخية الانسانية في جبال الجليل ، في الصحراء ؟؟

اتقي ادعو الشرق الى استئناف سيره للمجد فلقد سبقه بعض تلاميذه
الاوروبيين ، فهل يتفرض من خوله وينادي بمن وراءه ويذهب بهم الى الامام
مستنيراً بمبادئ الحب والخير والانسانية ؟
ذلك ما نأمله في القريب العاجل

القسم الخامس

نتائج العقاب :

١ - في اسس النظريات الحقوقية - الجزائية
آ - ان دراسة تطور الحقوق الجزائية اظهرت لعماء هذه الحقوق تأثر
التشريع بعدة افكار وقد تألف من هذه الافكار عدة نظريات في اساس حق
العقاب (اي عدة نظريات في اسس الحقوق الجزائية - ونلخص هذه النظريات
بما يلي :

نظرية العقد الاجتماعي : وهي النظرية التي سادت (على العموم) في
القرن الثامن عشر وتعني ان المجتمع البشري قد نتج عن عقد جرى بين الافراد
الاولين من البشر الذين حددوا شروط هذا العقد ووافقوا عليها بحرية تامة
وقرروا ان ينشأ مجتمعاً بشرياً رافضين ان يعيشوا منفردين بالطبيعة

يقول صاحب هذه النظرية جان جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعي :
ان البشر الذين كانوا يعيشون بالطبيعة منفردين كان لهم انثذ حق معاقبة
من يرتكبون ضدّهم الاعمال التي كانت تنتهك حرمة حقوقهم ،
ويقول العالم الجزائي بيكاريا : كان (أي هؤلاء البشر المشار اليهم) لهم حق
الدفاع ضد الاعتداءات وان هذا الحق الشخصي هو الذي انتقل للمجتمع

واصبح حقا له بموجب العقد المشار اليه .
ويقول روسو بما معناه : ان الافراد بمدتوقيع هذا العقد ، يوافقون على ان
يتعاقبوا في الحالة التي يمسون بها شروطه .

يقول الاستاذ قرداخي : ان هذه النظرية وخصوصا حسب مفهوم بيكاريا
حيث تعطى الضحية الى المجتمع حقها الشخصي المحدود بضرورة الدفاع ؛ ان
هذه النظرية ذات اساس عقلي مقبول وهي تبني سلطة المعاقبة على الحق والمسدل
وان هذه النظرية هي بجميع الاحوال اسمى بكثير من نظرية اثار الخصاص
القديمة ، وانما تركز هذه النظرية (اي نظرية العقد الاجتماعي) على فرضية غير
صحيحة (انتهى كلام الاستاذ قرداخي) فالمجتمع البشري كان منذ كانت البشرية
وقد لازمها دون انقطاع الم تر بلاتون يقول : الانسان حيوان اجتماعي

يقول الاستاذ المذكور : (ان الرجل بالفعل
يمش بالجممع ولا يستطيع ان يحيا وحيدا ، والحالة الطبيعية والعقد الذي انهاها
هما فرضيتان محتملتان لا اثر لهما للواقع . انهما من اقتراح الفيلسوف روسو ليتمكن
من الجاهلية ضد المبالاة وفضائل العقوبات القديمة . وايضا ، لا ترى لماذا كلف
الرجل القديم عليك حق المعاقبة كما ان حق الدفاع هو غير شرعي الا في
حالة التمدي) .

٢ — النظرية اللفمية : وهكذا تركز النظرية السابقة على فكرة مفلوطة
وقد رفض الانكليزي بنتام الفيلسوف النفمي نظرية العقد الاجتماعي واعتبر النفمية
اساسا لحق العقاب .

يقول بنتام ان ما يجعل العذاب عادلا هو فائدته الكبرى ولنقل بصـ — ورة
اخرى هو ضرورته . فالمقترفون هم اعداء طامون . اذن ، يتشرع (اي يصبح

شرعيا) العقاب بفائدته الاجتماعية ، وليس له مقياس آخر الا هذه النفعية (اي الفائدة) .

ان كل عقاب هو بالفعل ، ضرر فردي لانه بسبب عذابا للشخص الذي وقع عليه العقاب ؛ والعقاب ايضا هو ضرر جماعي لانه يستلزم مصاريف ، (مصاريف ، انشاء وادامة السجون بصورة خاصة مثلا) فلا يجب اذن تطبيق العقاب الا اذا نتج عن تطبيقه فائدة مقابلة ويجب ان ينقضى العقاب من ناحية اخرى بطريقة يكون بها تحسب وقوعه مرهبا ورادعا عن الجريمة المرغوب ارتكابها : يجب حساب العقاب (او الجزاء) بطريقة تجعل المرتكب الموضوع امام اختيار احد امرين : وهما اما اقرار الجريمة وتحمل العقاب او اجتنابها والخلص من العقاب ، ان يكون له فائدة بالتجنب .

٣ - نظرية التكفير او القصاص . ان المقترف بموجب هذه النظرية يجب ان يجازى لان في شيء من العدل ان يتعاقب من سبب الاذى وان يكفر عن اذاه ويجب ان يتناسب العقاب مع فداحة الضرر ولا يطول الا المرتكبين المسؤولين بمقدار ما يمكن تحميلهم مسؤولية الاجرام . وقد عرض بلاون قديما هذه النظرية ثم اعاد النظر بها (ايمانويل كانت) ودافع عنها جوزيف دوميستير يقول الاستاذ قرداخي : ان عيب هذه النظرية ، انها تدخل (او تملط) الحقوق الجزائية والاخلاق دون اخذ فداحة ، الارتكابات من وجهة النظر الاجتماعية ، بعين الاعتبار .

٤ - النظرية الانتقائية :

حاولت هذه النظرية ان توفق بين فكرة النفعية الاجتماعية وفكرة العدالة فهي تمان : ان المجتمع حق العقاب ولكن بقدر ما يكون هذا الحق

عادلا ونافعا وايس باكثر من ذلك

ويلاحظ اصحاب هذه النظرية الانتقائية ان نظرية الدفاع عن المجتمع النفعية التي لا تحسب اى حساب لفكرة العدالة تنكر المبدأ الاساسي القائل : بان العقاب يجب ان لا يصيب الا الذي يمكن ان نعزو اليه غلطة اخلاقية وان العقاب يجب ان يكون لحد ما متناسبا مع هذه الغلطة .

ان هذه النظرية التي انتشرت حوالي ١٨٣٠ بفضل كوزان ، وكيزو ؛ جردت لتحسب حسابا بآن واحد لفداحة العمل من وجهة النظر الاجتماعية ومسؤولية الاجرام (*culpabilité*) لدى المرتكب ولكنها ذات تطبيق عملي كثير الصعوبة : فلقد بينت التجربة بالفعل ؛ الاشكال والصعوبة ، والسيئات الفادحة لتحديد درجات المسؤولية عندما نتخذ البحث وتقدير درجة الحرية الاخلاقية للمرتكب اساسا : الامر الذي يقود الى اعتبار المجرم ثلث او ثلثي او ثلاثة ارباع مجرم اخلاقي والى تطبيق ثلث او ثلثي او ثلاثة ارباع العقاب والى اساءة استعمال العقوبات الصغيرة ذات التحديد الكيفي الدائم ، وذلك على حساب قمع الاجرام .

والتشريع الجزائية في العالم لا تتفق نفس الموقف من هذه النظريات : فالقوانين الجزائية الحديثة في العصر الحاضر متأثرة الى حد ما بالنظرية الانتقائية اما قانون الجزاء الفرنسي وهو قانون قديم وضعه الفرنسيون بالسنين الاولى من القرن التاسع عشر فهو يحمل في بعض مواده تأثير النظرية النفعية بالعقاب رغم كثرة التعديلات التي طرأت عليه وهو بالحقيقة قد تحرر تحت تأثير افكار للنظرية النفعية ..

اما التشريع الاسلامي فتغلب عليه نظرية التكميز التي يمكن ان نسميها

بنظرية القصاص . ولكن هذا لا يعني ان كل تشريع انفرد بنظرية واقتصر عليها ، لا ، بل انه بالعكس يتبين من مواد اي تشريع في العالم انه متأثراً أكثر هذه النظريات لا بواحدة ولكن تغلب عليه واحدة على الغالب أكثر من سائر النظريات

ب - حاجتنا للتشديد في العقاب ولكن لحدما كما ذكرنا : ورد في القرآن :
« ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب »

ان العقاب عبرة ايضاً للمعترف وعبرة للمجرمين وعبرة لمن تحذتهم نفوسهم بالجرعة وعبرة للجميع .

انما في هذه الفترة الانتقالية بسوريا وقريبا في مصر في اشد الحاجة الى ضرورة العقاب ولا يجوز ابدا الغفوة عن ماضى حتى لا يعود الجيش الى ما كان عليه وحتى لا يتعاون احد من جديد مع حكومة غير شرعية اما اذا لم نعاقب احداً ولم نكافئ ايضاً احدا فسوف يكون عدم العقاب وعدم المكافأة تشجيعاً لسائر الناس ليميدوا الكرة ويفعلوا مثل ما فعل غيرهم فانه واضح حتى لدى العامة انه من سرق مرة ولم يطله القانون او لم يعاقبه سرق مرة ثانية وتحمس بنشاط الى السرقة اما من سرق وطاله القانون وعوقب فقد لا يعود الى السرقة بمد تنفيذ العقاب فيه وقد يكون عقابه درساً للآخرين فيبتعدون عن السرقات والموبقات نعم هناك نظرات في عدم المعاقبة ذات طابع اخلاقي ولكن المجتمع الحقوقي لا يستطيع ان يأخذها فقد يتحول هذا المجتمع الى فوضى اذا تركنا المجرمين وشأنهم ننظر منهم دافعا داخليا يردعهم فربما لا يتحرك فيهم هذا الوجدان ويبقى نائماً الى الابد . قد تناسى في قاعة المحكمة الارتكاب الاول ونهمله ونغفو عن المرتكب طمعاً في ابقاء الروح الاخلاقية بالمرتكب منتظرين منه ان لا يعود لمثل ما اقترف من تلقاء نفسه مكتفين بتخويقه بالعقاب وتصوره له فلعلمه

يرهب ويخشى مالا يعرفه ، مبتدئين بآديء الامر عن معاقبته لكونها قد تجعله
يتفجر فيخرج من السجن مستهيناً به ويرتكب الجرائم من جديد ، نعم اقول
قد نصل بالمرتكب في اول ارتكاب يقوم به الى العفو عنه من اجل هذه النظرات
وقد تخفف عنه الحكم احياناً فقط لنفس هذه النظرات او ما يقاربها ولكننا نرى
انفسنا مضطرين الى السير في خط معاكس تماماً معه عندما تتكرر ارتكابه ،
نرانا نشدد الحكم عليه ونجمله يزرع تحت عقاب شديد فحيث لم تكن طريقة العفو
والتخفيف ناجمة فلربما تكون طريقة العقاب وطريقة تشديده وازادته ناجمة :

لقد تكررت الانقلابات وما ذلك الا لتساهل السلطات الشرعية به — عدم
تصفية العهود الغير الشرعية وما ذلك الا لعدم قيام السلطات الشرعية بمعاينة الذين
تكرر منهم حوادث الاجرام ، وحوادث التلون والتذبذب وتأيد كل عهد من اجل
مصالحهم الخاصة . انه من المسلم به اليوم في الحقوق الجزائية :

ان التكرار في الارتكاب ليس فحسب يمنع عدم المعاقبة ، ليس فحسب يمنع
العفو والتفاضي بل يشدد العقاب على المرتكب وقد يصل الحد بالقانون الى اعدام
المرتكب او اقصائه نهائياً عن المجتمع الذي يعيش به اما بسجنه للأبد او بنقله الى
مكان نائي ، وبالحقيقة ان ثورة صغيرة او كبيرة ؛ او عودة لعهد شرعي ، لاقية
لها بتاتا بدون تصفية ، فالتصفية لازمة ولو نتج عنها الحكم بالاعدام وما شاكله من
الاحكام الثقيلة الشديدة ؛ ان ثورة او انقلابا او عودة لحياة شرعية بدون محاكمات
وبدون تصفية وبدون دم عند الحاجة لاقية لها ولذلك كله نرى بصورة خاصة
ضرورة البحث عن الشيشكلي والقبض عاياه ومحاكمته والحكم عليه باقصي
العقوبات اذا اقتضى الامر واذا كان الحكم غيابيا فعلى الدولة بعد الحكم ملاحقة
هذا المجرم والوصول اليه ولو كان هارباً متوارياً ولو كان مختبئاً في معقل في

اقاصي المعمورة لتنفيذ الحكم فيه حتى لا تتكرر مثل هذه المآسي التي كادت ان تجعل من العمران خراباً ومن القانون فوضى ومن الحرية استعباداً ومن الاستقلال امتعازاً أكيداً .

القسم السادس :

(ذكر ما يتعلق بالعقاب من بيان وزارة السيد صبري العسلي) (بدون تعليق)
« ان تصفية اليهود الغير الشرعية تصفية قانونية هي من غاية هذا الكتاب وهي امانة في عنق من ادركوها وان طلب تحقيقها هو وثيقة للمؤلف وللمؤمنين بذلك . » :

اصدرت الوزارة الانتقالية على لسان رئيسها صبري العسلي بياناً وزارياً باواسط شهر آذار من عام ١٩٥٤ وردت فيه الجمل التالية المتعلقة بتصفية اليهود الغير الشرعية اي بالعقاب والمعاينة : وهذا هو نصها :

« وتسهيلاً لمهمة الحكومة خلال الفترة الانتقالية (١)

(١) بل ان سوريا والبلاد العربية لانزال منذ انتهاء القرن التاسع عشر وبصورة خاصة منذ اليوم الذي تستقل به كل منطقة عربية وتخلص من الانتداب الى حدماء، اقول ان هذه البلاد منذ ذلك التاريخ حتي اليوم والى المستقبل ونأمل ان يكون المستقبل القريب، اردد القوت ان هذه البلاد منذ ذلك التاريخ هي في طور انتقالي وليس فقط في هذه الفترة العصيبة، كما ان العالم ايضا بالقرن العشرين هو في طور انتقالي ايضا وهو يتنازع في كل بقعة من بقاع العالم وكأنه سوف يتمخض عن شيء جديد قد يولد حياً او ميتاً .

ستقدم اليكم الحكومة بعض المشاريع المستعجلة التي تقتضيها فترة الانتقال ، لاقرار وتعديل او الغاء بعض القوانين ومنها الحاق قوى الامن الداخلي بوزارة الداخلية والغاء القوانين التي اقتضاها النظام الرئاسي في ممارسة السلطة .

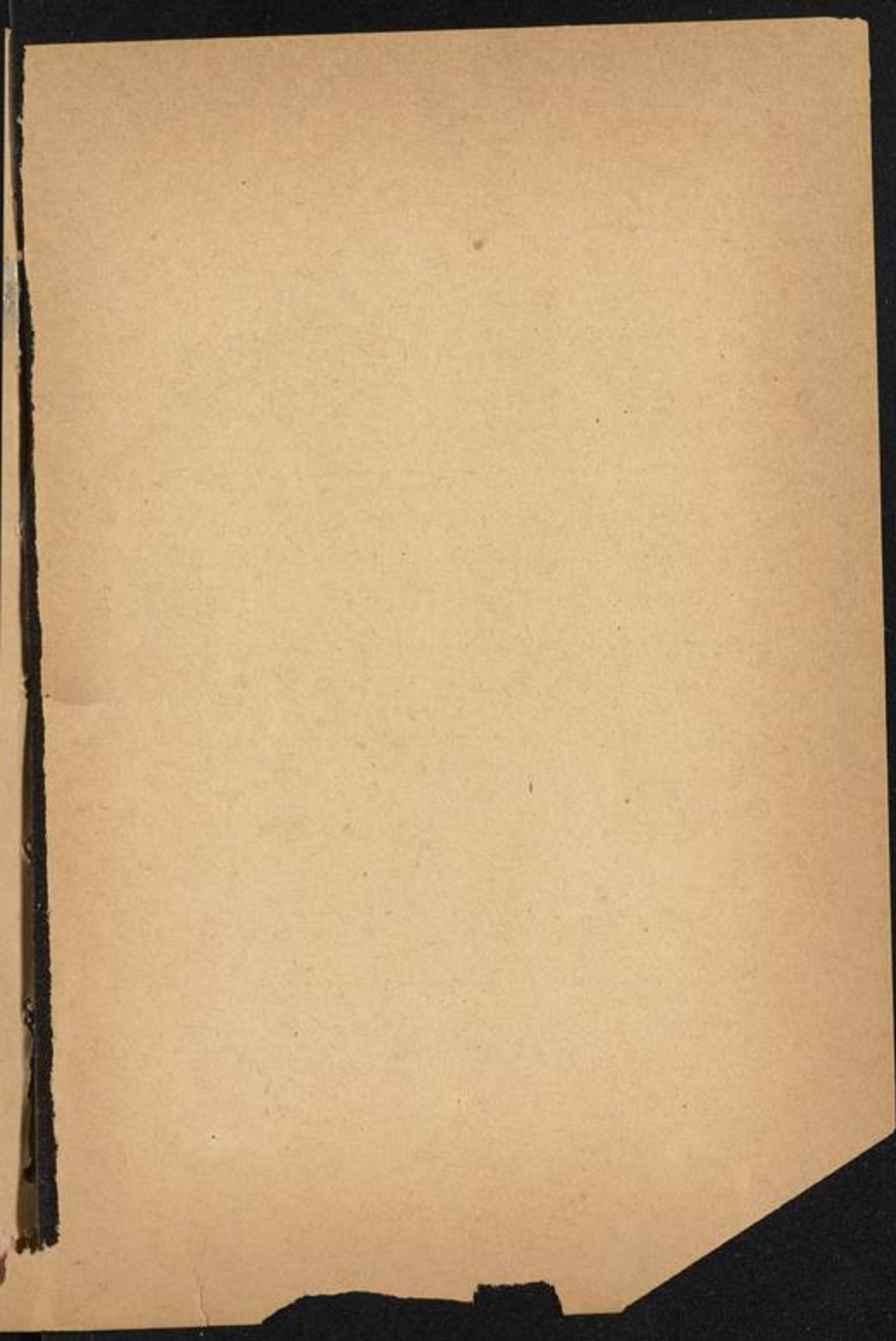
« الثواب والعقاب »

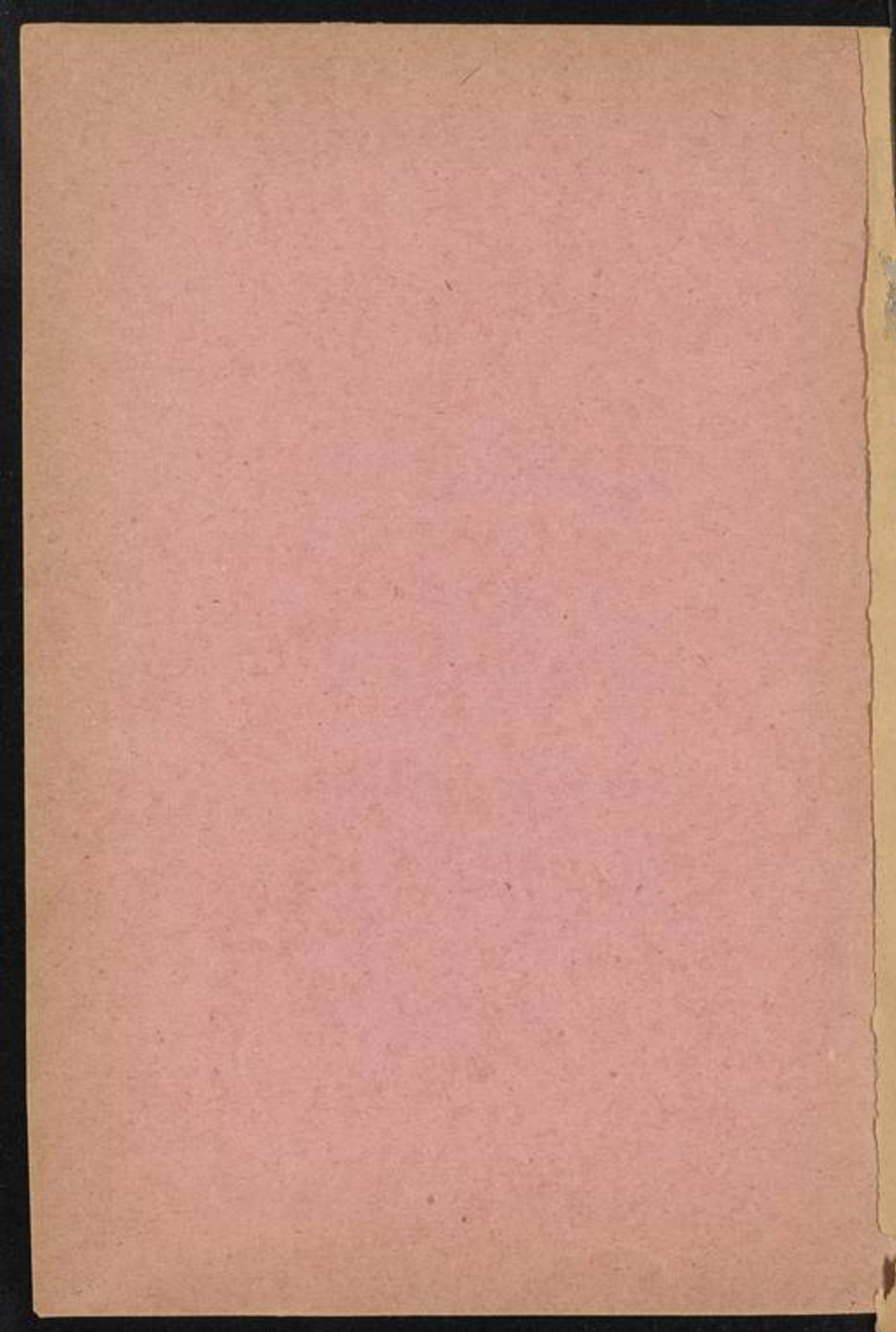
« وترغب الحكومة في ان تعطي المثل الصالح للثواب والعقاب ومكافأة المحسن ومجازاة المسيء ، تحقيقا في تنفيذ المباديء والعدل والحق ؛ واصلاحا للفساد الذي ادخله العهد القارط اذ سخر الدولة وموظفيها في سبيل مآربه واوطارهم واننا نرى لا بد لتثبيت القيم الفكرية والاخلاقية ان يبحث عن اولئك الذين كانوا عوناً للباغي في شروعه واثامه وجعلوا انفسهم رهن خدمته وترويح مآربه ولبلوغ هذا الغرض سوف تتقدم الحكومة الي مجلسكم الموقر بمشروع قانون يتضمن الضوابط الواجب تحكيمها في مؤاخذة المسؤولين عن هذا »

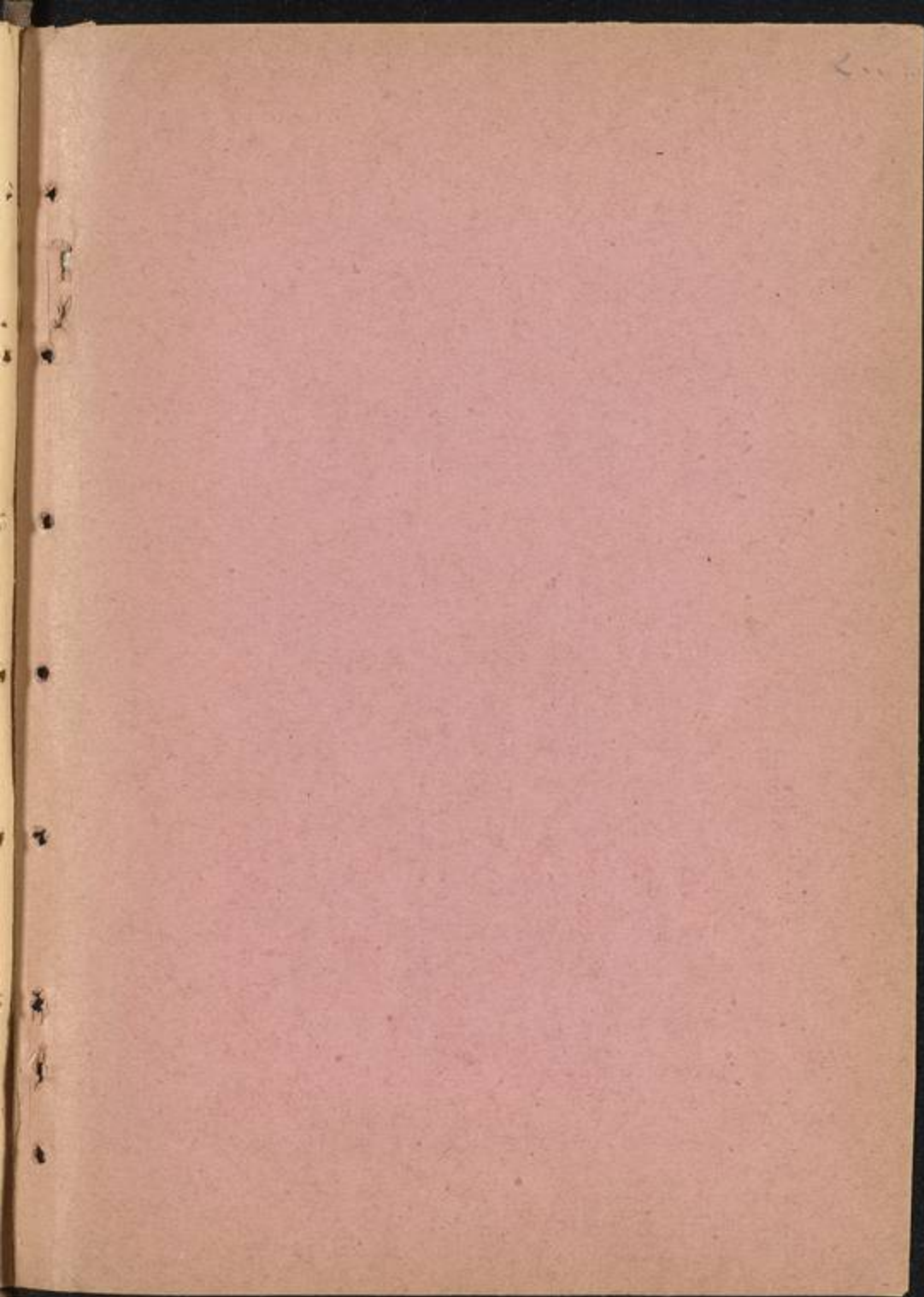
(فاذا انجزت الحكومة مهمتها الانتقالية واطمأنت البلاد الى قيام مجلس النواب العتيد قدمت استقالتها وفقا للتقاليد الدستورية المعروفة) وقد انتهى البيان بالفقرة التالية :

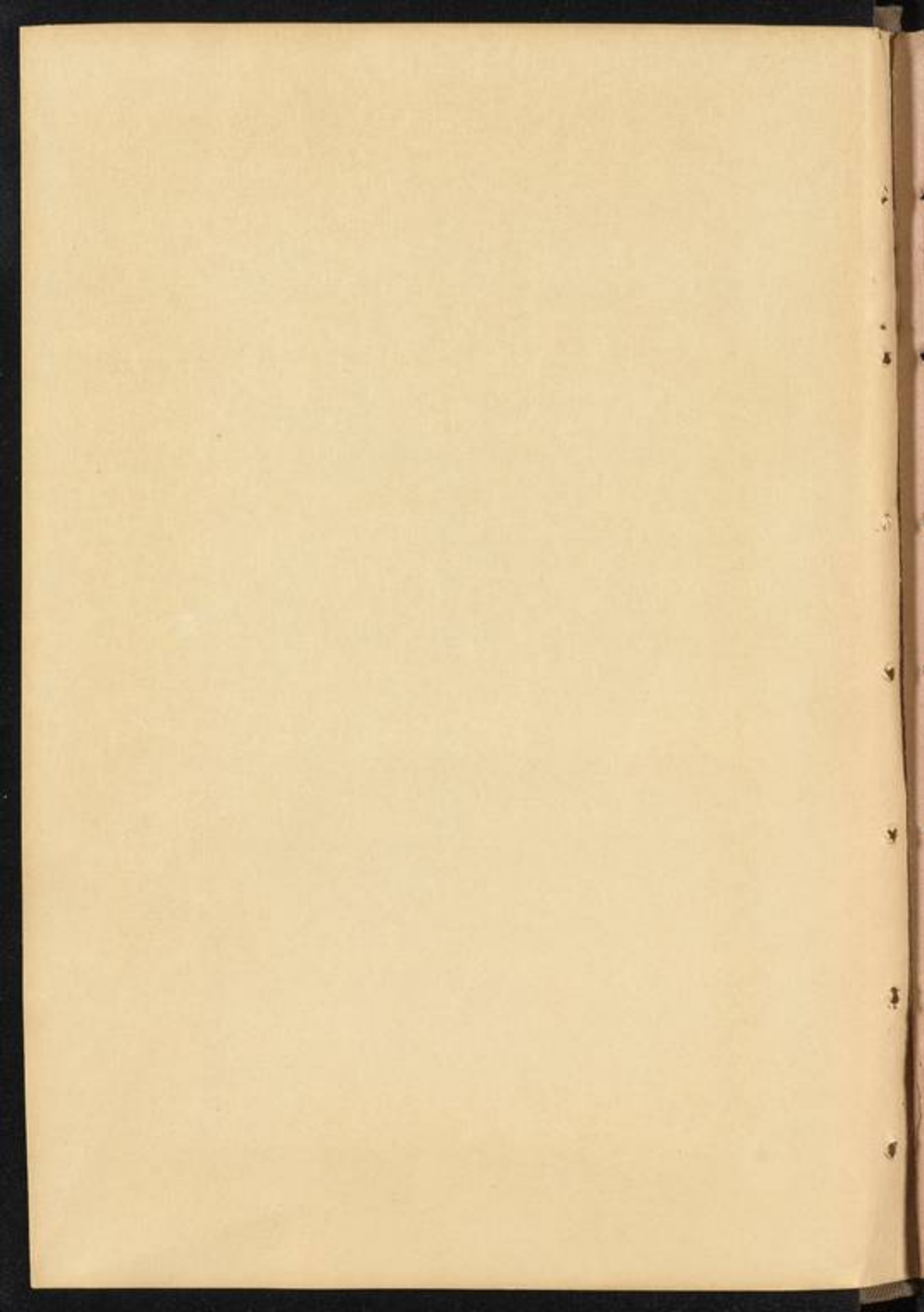
(نقف اليوم على آثار ماض قريب ملي بالغصص والالام ونحن مدعوون بما افاء الله علينا من حرمة وشورى وبما انعم علينا من ائتلاف وتضامن ان نحس هذه الآثار وان نهني لهذا الشعب المستقبل الذي تروى اليه ابصارنا ونحقق له قلوبنا وتفكر فيه عقولنا فנסاهم في خدمة الحضارة ونقدم المدينة بالنصيب الذي نأمله ونرجوه والله وحده المرتجي في تسديد الخطى والوصول الى الهدف المأمول والسلام) .

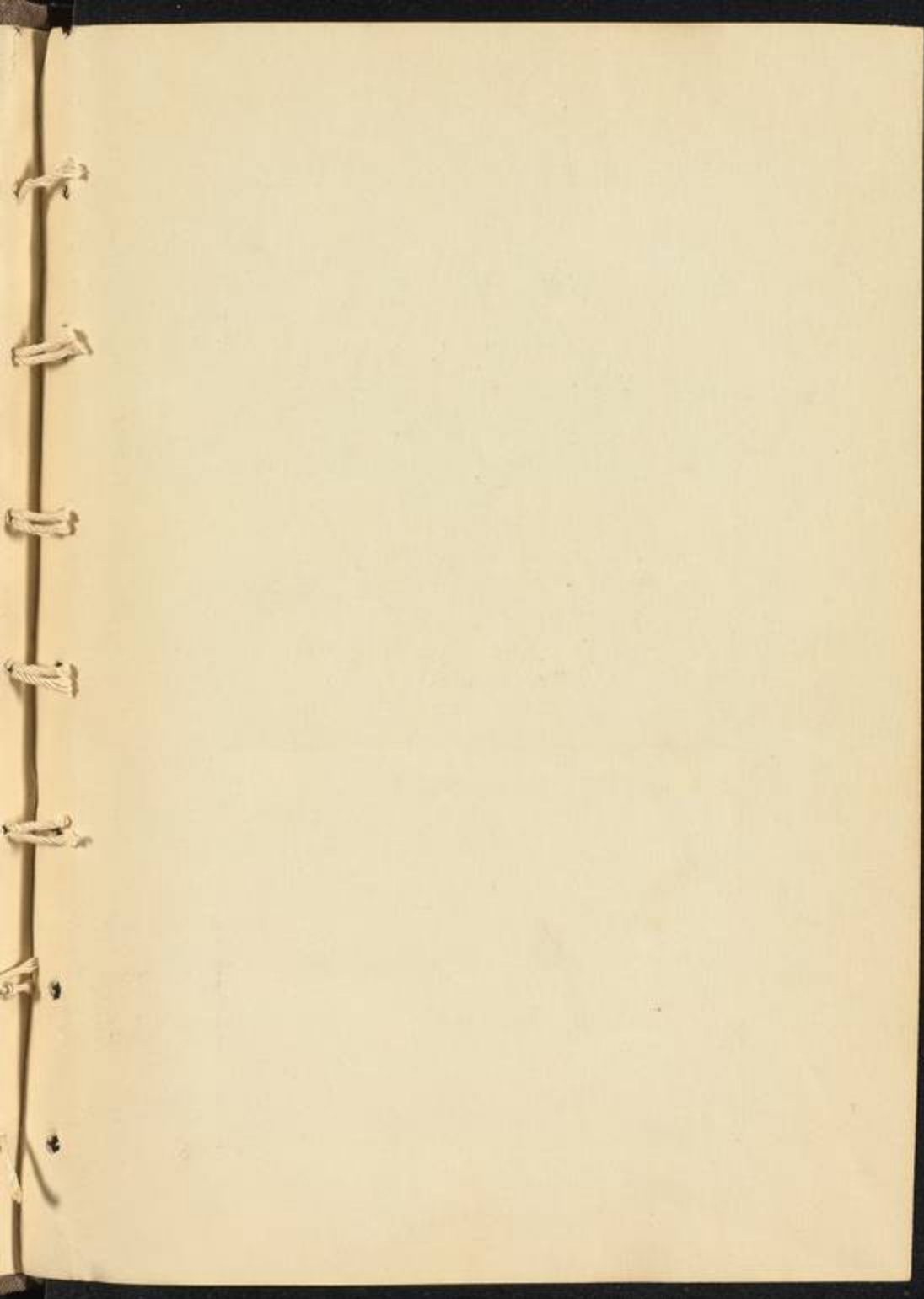
« انتهى الكتاب »











COLUMBIA UNIVERSITY



0026812690

956.9
J56

BOUND

JUL 19 1955

